

الآية : 88

القول في تأويل قوله تعالى: { قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لُخْرَجْتُكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ } ..

يقول تعالى ذكره: قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا يعني بالملأ: الجماعة من الرجال, ويعني بالذين استكبروا: الذين تكبروا عن الإيمان بالله والانتهاة إلى أمره واتباع رسوله شعيب لما حذرهم شعيب بأس الله على خلافهم أمر ربهم, وكفرهم به. لُخْرَجْتُكَ يَا شُعَيْبُ ومن تبعك وصدقك وأمن بك, وبما جئت به معك من قريتنا. أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا يقول: لترجعن أنت وهم في ديننا وما نحن عليه. قال شعيب مجيبا لهم: أَوْ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ؟ ومعنى الكلام: أن شعيبا قال لقومه: أخرجونا من قريتكم, وتصدقنا عن سبيل الله, ولو كنا كارهين لذلك؟ ثم أدخلت ألف الاستفهام على واو «أَوْ لَوْ».

الآية : 89

القول في تأويل قوله تعالى: { قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبَّنَا وَسِعَ رَبَّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ } ..

يقول جل ثناؤه: قال شعيب لقومه, إذ دعوه إلى العود إلى ملتهم والدخول فيها, وتعودوه بطرده ومن اتبعه من قريتهم إن لم يفعل ذلك هو وهم: قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا يقول: قد اختلقنا على الله كذبا, وتخرصنا عليه من القول باطلاً إن نحن عدنا في ملتكم, فرجعنا فيها بعد إذ أنقذنا الله منها, بأن بصرنا خطاها وصواب الهدى الذي نحن عليه, وما يكون لنا أن نرجع فيها فندين بها ونترك الحق الذي نحن عليه. إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبَّنَا: إلا أن يكون سبق لنا في علم الله أن نعود فيها, فيمضي فينا حينئذ قضاء الله, فينفذ مشيئته علينا. وَسِعَ رَبَّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا يقول: فإن علم ربنا وسع كل شيء فأحاط به, فلا يخفى عليه شيء كان ولا شيء هو كائن فإن يكن سبق لنا في علمه أن نعود في ملتكم ولا يخفى عليه شيء كان ولا شيء هو كائن, فلا بد من أن يكون ما قد سبق في علمه, وإلا فإننا غير عائدین في ملتكم.

وينحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11605- حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبَّنَا وَسِعَ رَبَّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ يقول: ما ينبغي لنا أن نعود في شرككم بعد إذ نجانا الله منها إلا أن يشاء الله ربنا, فالله لا يشاء الشرك, ولكن يقول: إلا أن يكون الله قد علم شيئا, فإنه وسع كل شيء علما.

وقوله: عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا يقول: على الله نعتد في أمورنا وإليه نستند فيما تعدونا به من شرككم أيها القوم, فإنه الكافي من توكل عليه. ثم

فزع صلوات الله عليه إلى ربه بالدعاء على قومه, إذ أيس من فلاحهم, وانقطع رجاؤه من إذعانهم لله بالطاعة والإقرار له بالرسالة, وخاف على نفسه وعلى من أتبعه من مؤمني قومه من فسقتهم العطب والهلكة بتعجيل النقمة, فقال: رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ يَقُول: احكم بيننا وبينهم بحكمك الحق الذي لا جور فيه ولا حيف ولا ظلم, ولكنه عدل وحق وأنت خير الفاتحين يعني: خير الحاكمين. ذكر الفراء أن أهل عمان يسمون القاضي: الفاتح والفتاح. وذكر غيره من أهل العلم بكلام العرب أنه من لغة مراد, وأنشد لبعضهم بيتا وهو:

أَلَا أْبْلُغُ بَنِي عَضْمٍ رَسُولًا فَإِنِّي عَن فُتَاخَتِكُمْ عَنِّي

وينحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11606- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن مسعر, عن قتادة, عن ابن عباس, قال: ما كنت أدري ما قوله: رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول: تعال أفاتحك, يعني: أقاضيك.

11607- حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس, قوله: رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ يقول: اقض بيننا وبين قومنا.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو دكين, قال: حدثنا مسعر, قال: سمعت قتادة يقول: قال ابن عباس: ما كنت أدري ما قوله: رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول: تعال أفاتحك.

11608- حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ: أي اقض بيننا وبين قومنا بالحق.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, قال: حدثنا معمر, عن قتادة: افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ: اقض بيننا وبين قومنا بالحق.

11609- حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي, أما قوله: افْتَحْ بَيْنَنَا فَيَقُول: احكم بيننا.

11610- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريح, قال: قال الحسن البصري: افتح: احكم بيننا وبين قومنا, وإِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا: حكما لك حكما مبينا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريح, قال: قال ابن عباس: افتح: اقض.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله بن الزبير, قال: حدثنا مسعر, عن قتادة, عن ابن عباس, قال: لم أكن أدري ما افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لزوجها: انطلق أفاتحك.

الآية : 90

القول في تأويل قوله تعالى: { وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ ابْتِغَمْنَا شُعْبًا مِّنكُمْ إِذَا لَخَّاسِرُونَ } ..

يقول تعالى ذكره: وقالت الجماعة من كفرة رجال قوم شعيب, وهم الملا الذين جحدوا آيات الله وكذبوا رسوله وتمادوا في غيهم, لآخريين منهم: لئن أنتم اتبعتم شعيبا على ما يقول وأجتموه إلى ما يدعوكم

إليه من توحيد الله والانتهاز إلى أمره ونهيه وأقررتهم بنبوته، أُنكُم إِدَا
لِحَاسِرُونَ يقول: لمغبونون في فعلكم، وترككم ملتكم التي أنتم عليها
مقيمون إلى دينه الذي يدعوكم إليه، وهالكون بذلك من فعلكم.

الآية : 91

القول في تأويل قوله تعالى: { فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جَاثِمِينَ } ..

يقول: فأخذت الذين كفروا من قوم شعيب الرجفة، وقد بينت معنى
الرجفة قبل، وأنها الزلزلة المحركة لعذاب الله. فأصبحوا في دَارِهِمْ
جاثمين على ركبهم موتى هلكى.

وكانت صفة العذاب الذي أهلكهم الله به كما:

11611- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال:
حدثنا أسباط، عن السدي: وإلى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ: إن الله بعث
شعيبا إلى مَدِينِ، وإلى أصحاب الأيكة والأيكة: هي الغيضة من الشجر
وكانوا مع كفرهم يبخسون الكيل والميزان، فدعاهم فكذبوه، فقال لهم ما
ذكر الله في القرآن، وما ردوا عليه، فلما عتوا وكذبوه، سألوه العذاب،
ففتح الله عليهم بابا من أبواب جهنم، فأهلكهم الحر منه، فلم ينفعهم
ظل ولا ماء، ثم إنه بعث سحابة فيها ريح طيبة، فوجدوا برد الريح وطيبها،
فتنادوا: الظلة، عليكم بها فلما اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونسأؤهم
وصبيانهم، انطبقت عليهم، فأهلكتهم، فهو قوله: فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ
الظلة.

11612- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كان
من خبر قصة شعيب وخبر قومه، ما ذكر الله في القرآن، كانوا أهل بخس
للناس في مكابيلهم وموازينهم، مع كفرهم بالله وتكذيبهم نبيهم وكان
يدعوهم إلى الله وعبادته وترك ظلم الناس وبخسهم في مكابيلهم
وموازينهم فقال نُصْحًا لَهُمْ وَكَانَ صَادِقًا: مَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمُ إِلَى مَا أَنهَيْتُمْ
عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
وَإِلَيْهِ أُنِيبُ قال ابن إسحاق: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
ذكر لي يعقوب بن أبي سلمة إذا ذكر شعيبا، قال: «ذَلِكَ حَطِيبُ الْأَنْبِيَاءِ»
لحسن مراجعته قومه فيما يراد بهم، فلما كذبوه وتوعدوه بالرحم
والنفي من بلادهم، وعتوا على الله، أخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان
عذاب يوم عظيم، فبلغني أن رجلاً من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهاء
لما رآها قال:

يَا قَوْمِ إِنَّ شُعَيْبًا مُرْسَلٌ فَذَرُّوا عَنكُم سَمِيرًا وَعِمْرَانَ بْنَ سَدَّادٍ
إِنِّي أَرَى عَيْمَةً يَا قَوْمِ قَدْ طَلَعْتِدُّعُو بِصَوْتِ عَلَى صَمَّاتَةِ الْوَادِي
وَإِنكُم إِنْ تَرَوْا فِيهَا صَحَاةً عَدِلًا الرَّقِيمَ يُمَسِّي بَيْنَ أَنْجَادٍ
وسمير وعمران: كاهنهم، والرقيم: كلبهم.

11613- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، قال:
فبلغني والله أعلم أن الله سلب عليهم الحر حتى أنضحهم، ثم أنشأ لهم
الظلة كالسحابة السوداء، فلما رأوها إبتدروها يستغيثون ببردها مما هم
فيه من الحر، حتى إذا دخلوا تحتها أطبقت عليهم، فهلكوا جميعا، ونجى
الله شعيبا والذين آمنوا معه برحمته.

11614_ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: حدثني أبو عبد الله البجلي, قال: أبو جاد, وهوز, وحطي, وسعفص, وقرشت: أسماء ملوك مدين, وكان ملكهم يوم الظلة في زمان شعيب كلمون, فقالت أخت كلمون تنكيه:

كَلْمُونُ هَدَّ رُكْنَيْهِلُكُهُ وَسَطَ الْمَجَلَّةِ
سَيِّدُ الْقَوْمِ أَتَاهُ الْحَنْفُ: نَارًا وَسَطًا ظَلَّةً
جُعَلَتْ نَارًا عَلَيْهِمْ دَارُهُمْ كَالْمُضْمَجَلَّةِ

الآية : 92

القول في تأويل قوله تعالى: {الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا
الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ} ..

يقول تعالى ذكره: فأهلك الذين كذبوا شعيبا فلم يؤمنوا به, فأبادهم, فصارت قريتهم منهم خاوية خلاء كأن لم يعنوا فيها يقول: كأن لم ينزلوا قط, ولم يعيشوا بها حين هلكوا, يقال: عني فلان بمكان كذا فهو يعنى به عني وعنيا: إذا نزل به وكان به, كما قال الشاعر:
وَلَقَدْ يَعْنِي بِهِ جِرائِكَ الْمِسْكُ مِنْكَ بَعْدَ وَوَصَالٍ
وقال رؤبة:

وَعَهْدٌ مَعْنَى دِمْنَةٍ يَصْلَفَعَا

إنما هو مفعول من عني. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11615_ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, قال: حدثنا معمر, عن قتادة: كأن لم يعنوا فيها: كأن لم يعيشوا, كأن لم ينعموا.

11616_ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس: كأن لم يعنوا فيها يقول: كأن لم يعيشوا فيها.

11617_ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: كأن لم يعنوا فيها كأن لم يكونوا فيها قط.

وقوله: الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ يقول تعالى ذكره: لم يكن الذين اتبعوا شعيبا الخاسرين, بل الذين كذبوه كانوا هم الخاسرين الهالكين, لأنه أخبر عنهم جل ثناؤه أن الذين كذبوا شعيبا قالوا للذين أرادوا اتباعه: «لَيْنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ» فكذبهم الله بما أحل بهم من عاجل نكاله, ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ما خسر تباع شعيب, بل كان الذين كذبوا شعيبا لما جاءت عقوبة الله هم الخاسرين دون الذين صدقوا وأمنوا به.

الآية : 93

القول في تأويل قوله تعالى: {فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِيسَالَاتِ رَبِّي وَتَصَحَّتْ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ} ..

يقول تعالى ذكره: فادبر شعيب عنهم شاخصا من بين أظهرهم حين أتاهم عذاب الله, وقال لما أيقن بنزول نعمة الله بقومه الذين كذبوه حزنا عليهم: يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي وأدبت إليكم ما بعثني به إليكم من تحذيركم غضبه على إقامتكم على الكفر به وظلم الناس أشياءهم. وَتَصَحَّتْ لَكُمْ بِأَمْرِي إِيَّاكُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَنَهَيْكُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ. فَكَيْفَ آسَىٰ

يقول: فكيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله وأتوجع لهلاكهم؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.
11618- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: فَكَيْفَ آسَى يعني: فكيف أحزن.

11619- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: فَكَيْفَ آسَى يقول: فكيف أحزن.
11620- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: أصاب شعيبا على قومه حزن لما يري بهم من نقمة الله، ثم قال يعزّي نفسه فيما ذكر الله عنه: يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَتَصَحُّتْ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ.

الآية : 94

القول في تأويل قوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ } ..

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم معرفه سنته في الأمم التي قد خلت من قبل أمته، ومذكر من كفر به من قريش لينزجروا عما كانوا عليه مقيمين من الشرك بالله والتكذيب لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ قَبْلِكَ، إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وهو البؤس وشظف المعيشة وضيقها والضراء: وهي الضر وسوء الحال في أسباب دنياهم. لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ: يقول: فعلنا ذلك ليتضرعوا إلى ربهم، ويستكينوا إليه، وينيبوا بالإقلاع عن كفرهم، والتوبة من تكذيب أنبيائهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

11621- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن مفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ يقول: بالفقر والجوع.

وقد ذكرنا فيما مضى الشواهد على صحة القول بما قلنا في معنى البأساء والضراء بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقيل: يضرعون، والمعنى: يتضرعون، ولكن أدغمت التاء في الضاد، لتقارب مخرجهما.

الآية : 95

القول في تأويل قوله تعالى: { ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَّوْا وَوَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } ..

يقول تعالى ذكره: ثم بدلنا أهل القرية التي أخذنا أهلها بالبأساء والضراء، مكان السيئة، وهي البأساء والضراء. وإنما جعل ذلك سيئة، لأنه مما يسوء الناس، ولا تسوؤهم الحسنة، وهي الرخاء والنعمة والسعة في المعيشة. حتى عَفَّوْا يقول: حتى كثروا، وكذلك كل شيء كثير، فإنه يقال فيه: قد عفا، كما قال الشاعر:

ولكنا نعضّ السيف منها بأسوق عافيات الشحم كؤم
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

11622- حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةِ قَالَ: مَكَانَ الشَّدَّةِ رِخَاءٍ حَتَّى عَقَّوْا.

11623- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ قَالَ: السَّيِّئَةُ: الشَّرُّ, وَالْحَسَنَةُ: الرِّخَاءُ وَالْمَالُ وَالْوَلَدُ. حدثنا المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ قَالَ: السَّيِّئَةُ: الشَّرُّ, وَالْحَسَنَةُ: الْخَيْرُ.

11624- حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ يَقُولُ: مَكَانَ الشَّدَّةِ الرِّخَاءُ.

11625- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَقَّوْا قَالَ: بَدَّلْنَا مَكَانَ مَا كَرِهُوا مَا أَحْبَبُوا فِي الدُّنْيَا, حَتَّى عَفَوْا مِنْ ذَلِكَ الْعَذَابِ وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الصَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ. واختلفوا في تأويل قوله حتى عَقَّوْا فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه. ذكر من قال ذلك.

11626- حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: حَتَّى عَقَّوْا يَقُولُ: حَتَّى كَثُرُوا وَكَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ.

حدثني القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: حَتَّى عَقَّوْا قَالَ: جَمَّوْا.

11627- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: حَتَّى عَقَّوْا قَالَ: كَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

11628- حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: حَتَّى عَقَّوْا حَتَّى كَثُرُوا.

11629- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جريز, عن مغيرة, عن إبراهيم: حَتَّى عَقَّوْا قَالَ: حَتَّى جَمَّوْا وَكَثُرُوا.

قال: ثنا جابر بن نوح, عن أبي روق, عن الضحاك, عن ابن عباس: حَتَّى عَقَّوْا قَالَ: حَتَّى جَمَّوْا.

11630- قال: ثنا المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك: حَتَّى عَقَّوْا يَعْنِي جَمَّوْا وَكَثُرُوا.

قال: ثنا عبد الله بن رجاء, عن ابن جريج, عن مجاهد: حَتَّى عَقَّوْا قَالَ: حَتَّى كَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ.

11631- حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: حَتَّى عَقَّوْا كَثُرُوا كَمَا يَكْثُرُ النَّبَاتُ وَالرِّيشُ, ثُمَّ أَخَذَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.

وقال آخرون: معنى ذلك: حَتَّى سُرُّوا. ذكر من قال ذلك.

11632- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: حتى عَقَوْا يقول: حتى سَرَّوا بذلك. وهذا الذي قاله قتادة في معنى عَفُوا تأويل لا وجه له في كلام العرب، لأنه لا يعرف العفو بمعنى السرور في شيء من كلامها إلا أن يكون أراد حتى سَرَّوا بكثرتهم وكثرة أموالهم، فيكون ذلك وجهاً وإن بُعد. وأما قوله: وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فإنه خبر من الله عن هؤلاء القوم الذين أبدلهم الحسنة السيئة التي كانوا فيها استدراجاً وابتلاءً أنهم قالوا إذ فعل ذلك بهم: هذه أحوال قد أصابت من قبلنا من آباءنا ونالت أسلافنا، ونحن لا نعدو أن نكون أمثالهم بصيبننا ما أصابهم من الشدة في المعاش والرخاء فيها، وهي السراء، لأنها تسر أهلها. وجهل المساكين شكر نعمة الله، وأغفلوا من جهلهم استدامة فضله بالإجابة إلى طاعته، والمسارعة إلى الإقلاع عما يكرهه بالتوبة، حتى أتاهم أمره وهم لا يشعرون. يقول جل جلاله: فَأَخَذْنَاهُمْ بَعْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ يقول: فأخذناهم بالهلاك والعذاب فجأة، أتاهم على غرة منهم بمجيئه، وهم لا يدرون، ولا يعلمون أنه يجيئهم، بل هم بأنه أتاهم مكذبون حتى يعاينوه ويروه.

الآية : 96-99

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} * أَقَامِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوْ أَمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ * أَقَامِنَا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} ..

يقول تعالى ذكره: أقامن يا محمد هؤلاء الذين يكذبون الله ورسوله ويجحدون آياته، استدراج الله إياهم بما أنعم به عليهم في دنياهم من صحة الأبدان ورخاء العيش، كما استدراج الذين قص عليهم قصصهم من الأمم قبلهم، فإن مكر الله لا يأمنه، يقول: لا يأمن ذلك أن يكون استدراجاً مع مقامهم على كفرهم وإصرارهم على معصيتهم إلا القوم الخاسرون وهم الهالكون.

الآية : 100

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِدُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} .. يقول: أو لم يبين للذين يستخلفون في الأرض بعد هلاك آخرين قبلهم كانوا أهلها، فساروا سيرتهم وعملوا أعم الهمة، وعتوا عن أمر ربهم أن لو نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِدُنُوبِهِمْ يقول: إن لو نشاء فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم، فأخذناهم بدنوبهم، وعجلنا لهم بأسنا كما عجلناه لمن كان قبلهم ممن ورثوا عنه الأرض، فأهلكناهم بدنوبهم. وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ يقول: ونختم على قلوبهم فهم لا يسمعون موعظة ولا تذكيراً سماع منفع بهما. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

11633- حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: أَوْ لَمْ يَهْدِ قَالَ: يبين. حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

11634- قال: ثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: **أَوْ لَمْ يَهْدِ** أو لم يبين.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: **أَوْ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا** يقول: أو لم يبين لهم.

11635- حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: **أَوْ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا** يقول: أو لم يتبين للذين يرثون الأرض من بعد أهلها هم المشركون.

11636- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: **أَوْ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا** أو لم يبين لهم, أن لَوْ نَشَأْ أَصْبَاهُمْ يَدُّوهُمْ قَالُوا: والهدى: البيان الذي بعث هاديا لهم مبينا لهم, حتى يعرفوا, ولولا البيان لم يعرفوا.

الآية : 101

القول في تأويل قوله تعالى: **{ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ }** ..

يقول تعالى ذكره: هذه القرى التي ذكرت لك يا محمد أمرها وأمر أهلها, يعني: قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب نُقِصَّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا فنخبرك عنها وعن أخبار أهلها, وما كان من أمرهم, وأمر رسل الله التي أرسلت إليهم, لتعلم أنا ننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا على أعدائنا وأهل الكفر بنا, ويعلم مكذبوك من قومك ما عاقبة أمر من كَذَّبَ رَسُلَ اللَّهِ, فيرتدعوا عن تكذيبك, وينيبوا إلى توحيد الله وطاعته. **وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ** يقول: ولقد جاءت أهل القرى التي قصصت عليك نبأها رسلهم بالبينات يعني بالحجج: البينات. **فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ.**

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معناه: فما كان هؤلاء المشركون الذين أهلكناهم من أهل القرى ليؤمنوا عند إرسالنا إليهم بما كذبوا من قبل ذلك, وذلك يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام. ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: **فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ** قال: ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فأمنوا كرها.

وقال آخرون: معنى ذلك: فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق في علم الله أنهم يكذبون به يوم أخرجهم من صلب آدم عليه السلام. ذكر من قال ذلك:

11637- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن أبي جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية, عن أبي بن كعب: **فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ** قال: كان في علمه يوم أقرؤا له بالميثاق.

11638- حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع بن أنس, قال: يحقُّ على العباد أن يأخذوا من العلم ما أبدى لهم ربهم والأنبياء ويدعوا علم ما أخفى الله عليهم, فإن

علمه نافذ فيما كان وفيما يكون، وفي ذلك قال: وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ
الْكَافِرِينَ قَالَ: نفذ علمه فيهم أيهم المطيع من العاصي حيث خلقهم في
زمان آدم، وتصديق ذلك حيث قال لنوح اهبط بسلام منا وبركات عليك
وعلى أمم ممن معك وأمم ستمتعهم ثم يمسخهم منا عذاب أليم، وقال
في ذلك: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، وفي ذلك قال وما
كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا وفي ذلك قال: لَئِنَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ
حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ، ولا حجة لأحد على الله.

وقال آخرون: معنى ذلك: فما كانوا لو أحييناهم بعد هلاكهم ومعاينتهم ما
عابنوا من عذاب الله ليؤمنوا بما كذبوا من قبل هلاكهم، كما قال جل ثناؤه:
وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ. ذكر من قال ذلك:

11639- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا
عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ
قَالَ: كقوله: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ.

قال أبو جعفر: وأشبه هذه الأقوال بتأويل الآية وأولاها بالصواب، القول
الذي ذكرناه عن أبي بن كعب والربيع، وذلك أن من سبق في علم الله
تبارك وتعالى أنه لا يؤمن به، فلن يؤمن أبدا، وقد كان سبق في علم الله
تعالى لمن هلك من الأمم التي قصّ نبأهم في هذه السورة أنه لا يؤمن
أبدا، فأخبر جل ثناؤه عنهم، أنهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم به مكذبون في
سابق علمه قبل مجيء الرسل وعند مجيئهم إليهم. ولو قيل تأويله:
فما كان هؤلاء الذين ورثوا الأرض يا محمد من مشركي قومك من بعد أهلها
الذين كانوا بها من عاد وثمود، ليؤمنوا بما كذب به الذين ورثوها عنهم من
توحيد الله ووعده ووعيدة، كان وجها ومذهبا، غير أن لا أعلم قائلًا قاله
ممن يعتمد على علمه بتأويل القرآن. وأما الذي قاله مجاهد من أن
معناه: لو رُدُّوا ما كانوا ليؤمنوا، فتأويل لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل،
ولا من خبر عن الرسول صحيح. وإذا كان ذلك كذلك، فأولى منه بالصواب
ما كان عليه من ظاهر التنزيل دليلي.

وأما قوله: كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ فإنه يقول تعالى ذكره:
كما طبع الله على قلوب هؤلاء الذين كفروا بربهم وعصوا رسله من هذه
الأمم التي قصصنا عليك نبأهم يا محمد في هذه السورة حتى جاءهم
بأس الله فهلكوا به، كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب
عليهم أنهم لا يؤمنون أبدا من قومك.

الآية: 102

القول في تأويل قوله تعالى: { وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا
أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ } ..

يقول تعالى ذكره: ولم نجد لأكثر أهل هذه القرى التي أهلكناها
واقترضنا عليك يا محمد نبأها من عهد، يقول: من وفاء بما وصيناهم به
من توحيد الله، وإتباع رسله، والعمل بطاعته، واجتناب معاصيه وهجر
عبادة الأوثان والأصنام. والعهد: هو الوصية، وقد بينا ذلك فيما مضى بما
أغنى عن إعادته. وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ يقول: وما وجدنا أكثرهم إلا
فسقة عن طاعة ربهم، تاركين عهده ووصيته. وقد بينا معنى الفسق قبل.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11640- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله تعالى: وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ قال: القرون الماضية.

11641- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريح, عن مجاهد, قوله: وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ... الآية, قال: القرون الماضية وعهده الذي أخذه من بني آدم في ظهر آدم ولم يفوا به.

11642- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية, عن أبي بن كعب: وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ قال: في الميثاق الذي أخذه في ظهر آدم عليه السلام.

11643- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن ابن عباس: وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ وذلك أن الله إنما أهلك الفري لأنهم لم يكونوا حفظوا ما أوصاهم به.

الآية : 103

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} ..

يقول تعالى ذكره: ثم بعثنا من بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب موسى بن عمران. والهاء والميم اللتان في قوله: مِنْ بَعْدِهِمْ هي كناية ذكر الأنبياء عليهم السلام التي ذكرت من أول هذه السورة إلى هذا الموضوع. بآياتنا يقول: بحججنا وأدلتنا إلى فرعون وملئه, يعني: إلى جماعة فرعون من الرجال. فَظَلَمُوا بِهَا يقول: فكفروا بها. والهاء والألف اللتان في قوله «بها» عائدتان على الآيات. ومعنى ذلك: فظلموا بآياتنا التي بعثنا بها موسى إليهم. وإنما جاز أن يقال: فظلموا بها, بمعنى: كفروا بها, لأن الظلم: وضع الشيء في غير موضعه, وقد دلت فيما مضى على أن ذلك معناه بما أغنى عن إعادته. والكفر بآيات الله: وضع لها في غير موضعها, وصرف لها إلى غير وجهها الذي عنيت به. فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فانظريا محمد بعين قلبك كيف كان عاقبة هؤلاء الذين أفسدوا في الأرض, يعني فرعون وملأه, إذ ظلموا بآيات الله التي جاءهم بها موسى عليه السلام, وكان عاقبتهم أنهم أغرقوا جميعا في البحر.

الآية : 104

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} ..

يقول جل ثناؤه: وقال موسى لفرعون: يا فرعون إني رسول من رب العالمين.

الآية : 105-106

القول في تأويل قوله تعالى: {حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} ..

اختلفت القراء في قراءة قوله: حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ فقرأه جماعة من قراء المكيين والمدنيين والبصرة والكوفة:

حَقِيقٌ عَلِيٌّ أَنْ لَا أَقُولَ بِإِرْسَالِ الْيَاءِ مِنْ «عَلَى» وَتَرَكَ تَشْدِيدَهَا، بِمَعْنَى: أَنَا حَقِيقٌ بِأَنْ لَا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ، فَوَجَّهُوا مَعْنَى عَلَى إِلَى مَعْنَى الْبَاءِ، كَمَا يُقَالُ: رَمَيْتَ بِالْقَوْسِ وَعَلَى الْقَوْسِ، وَجِئْتَ عَلَى حَالِ حَسَنَةٍ، وَبِحَالِ حَسَنَةٍ. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ يَقُولُ: إِذَا قَرِئَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَمَعْنَاهُ: حَرِيصٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ إِلَّا بِالْحَقِّ. وَقَرَأَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ: «حَقِيقٌ عَلِيٌّ أَنْ لَا أَقُولَ» بِمَعْنَى: وَاجِبٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ، وَحَقٌّ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، قد قرأ بكل واحد منهما أئمة من القراء، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب في قراءته الصواب.

وقوله: قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ يَقُولُ: قَالَ مُوسَى لِفِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ: قَدْ جِئْتُكُمْ بِبِرْهَانٍ مِنْ رَبِّكُمْ يَشْهَدُ أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَى صِحَّةِ مَا أَقُولُ وَصَدَقَ مَا أَذْكَرُ لَكُمْ مِنْ إِرْسَالِ اللَّهِ إِلَيَّ رَسُولًا، فَأَرْسَلْ يَا فِرْعَوْنَ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ: إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بَأَيَّةٍ، يَقُولُ: بِحُجَّةٍ وَعَلَامَةٍ شَاهِدَةٍ عَلَى صَدَقَ مَا تَقُولُ. فَاتَّ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ.

الآية : 107-108

القول في تأويل قوله تعالى: { قَالَتِ عَصَاُ فَإِذَا هِيَ تَنْبُتُ مُبِينٌ * وَتَرَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ } ..

يقول جل ثناؤه: قَالَتِ مُوسَى عَصَاُ فَإِذَا هِيَ تَنْبُتُ مُبِينٌ قَالَ حِيَةَ، مُبِينٌ يَقُولُ: تَبَيَّنَ لِمَنْ يَرَاهَا أَنَّهَا حِيَةَ.

وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11644- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: فَإِذَا هِيَ تَنْبُتُ مُبِينٌ قَالَ: تَحَوَّلَتْ حِيَةَ عَظِيمَةً. وَقَالَ غَيْرُهُ: مِثْلَ الْمَدِينَةِ.

11645- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: فَإِذَا هِيَ تَنْبُتُ مُبِينٌ يَقُولُ: فَإِذَا هِيَ حِيَةَ كَادَتْ تَنْسُورُهُ، يَعْنِي كَادَتْ تَنْبُ عَلَيْهِ.

11646- حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: فَإِذَا هِيَ تَنْبُتُ مُبِينٌ وَالتَّعْبَانُ: الذِّكْرُ مِنَ الْحَيَاتِ، فَاتِحَةٌ فَاهَا، وَاضِعَةٌ لِحَيْهَا الْأَسْفَلَ فِي الْأَرْضِ، وَالْأَعْلَى عَلَى سَوْرِ الْقَصْرِ. ثُمَّ تَوَجَّهَتْ نَحْوَ فِرْعَوْنَ لِتَأْخُذَهُ، فَلَمَّا رَأَتْهَا ذَعَرَ مِنْهَا، وَوَثِبَ فَأَحْدَثَ، وَلَمْ يَكُنْ يُحَدِّثُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَصَاحَ: يَا مُوسَى خُذْهَا وَأَنَا مُؤْمِنٌ بِكَ وَأَرْسَلْ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَخُذْهَا مُوسَى فَعَادَتْ عَصَا.

11647- حدثني عبد الكريم بن الهيثم، قال: حدثنا إبراهيم بن بشار، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، قال: حدثنا أبو سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس: فَإِذَا هِيَ تَنْبُتُ مُبِينٌ قَالَ: أَلْقَى الْعَصَا فَصَارَتْ حِيَةَ، فَوَضَعَتْ قَعْمًا لَهَا أَسْفَلَ الْقَبَةِ، وَفَقَمَا لَهَا أَعْلَى الْقَبَةِ قَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ: قَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَأَشَارَ سَفِيَانُ بِأَصْبَعِهِ الْإِبْهَامَ وَالسَّبَابَةَ هَكَذَا شَبَهَ الطَّاقَ فَلَمَّا أَرَادَتْ أَنْ تَأْخُذَهُ، قَالَ فِرْعَوْنُ: يَا مُوسَى خُذْهَا فَأَخُذْهَا مُوسَى بِيَدِهِ، فَعَادَتْ عَصَا كَمَا كَانَتْ أَوَّلَ مَرَّةٍ.

11648- حدثنا العباس بن الوليد، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا الأصمغ بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب، قال: ثني سعيد بن جبير،

عن ابن عباس، قال: ألقى عصاه، فتحولت حية عظيمة فاغرة فاهها، مسرعة إلى فرعون فلما رأى فرعون أنها قاصدة إليه، اقتحم عن سريره، فاستغاث بموسى أن يكفها عنه، ففعل.

11649- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: تُعْبَانُ مُبِينٌ قال: الحية الذكر.

11650- حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: ثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول: لما دخل موسى على فرعون، قال له موسى: أعرفك؟ قال: نعم، قال: أَلَمْ تُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا؟ قال: فردّ إليه موسى الذي ردّ، فقال فرعون: خذوه فبادره موسى فألقى عصاه، فإذا هي ثعبان مبین، فحملت على الناس فانهمزوا، فمات منهم خمسة وعشرون ألفا، قتل بعضهم بعضا، وقام فرعون منهزما حتى دخل البيت.

11651- حدثني الحارث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا أبو سعد، قال: سمعت مجاهدا يقول في قوله: فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ قال: ما بين لحيها أربعون ذراعا.

11652- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عبدة بن سليمان، عن جوير، عن الضحاك: فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ قال: الحية الذكر.

قال أبو جعفر: وأما قوله: وَتَرَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ فإنه يقول: وأخرج يده فإذا هي بيضاء تلوح لمن نظر إليها من الناس، وكان موسى فيما ذكر لنا آدم، فجعل الله تحول يده بيضاء من غير برص له آية وعلى صدق قوله إني رسول من رب العالمين حجة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11653- حدثنا العباس، قال: أخبرنا يزيد، قال: حدثنا الأصمغ بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب، قال: ثني سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: أخرج يده من جيبه فأراها بيضاء من غير سوء يعني: من غير برص ثم أعادها إلى كفه، فعادت إلى لونها الأول.

11654- حدثني المثنى، قال: قال: عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ يقول: من غير برص.

11655- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: وَتَرَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ قال: نزع يده من جيبه بيضاء من غير برص. حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

11656- حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: وَتَرَعَ يَدَهُ أَخْرَجَهَا مِنْ جَيْبِهِ، فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ. 11657- حدثني الحرث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا أبو سعد، قال: سمعت مجاهدا يقول في قوله: وَتَرَعَ يَدَهُ قال: نزع يده من جيبه، فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ وكان موسى رجلا آدم، فأخرج يده، فإذا هي بيضاء أشدّ بياضا من اللبن من غير سوء، قال: من غير برص آية لفرعون.

الآية : 109-110

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَادًا تَأْمُرُونَ } ..

يقول تعالى ذكره: قالت الجماعة من رجال قوم فرعون والأشراف منهم: إن هذا، يعنون موسى صلوات الله عليه، لساحرٌ عليمٌ يعنون: أنه يأخذ بأعين الناس بخداعه إياهم حتى يخيل إليهم العصا حية والأدم: أبيض، والشيء بخلاف ما هو به. ومنه قيل: سحر المطر الأرض: إذا جادها فقطع نباتها من أصوله، وقلب الأرض ظهرا لبطن، فهو يسحرها سحرا، والأرض مسحورة إذا أصابها ذلك. فشبه سحر الساحر بذلك لتخييله إلى من سحره أنه يرى الشيء بخلاف ما هو به ومنه قول ذي الرمة في صفة السراب:

وَسَاحِرَةُ الْعُيُونِ مِنَ الْمَوَامِيثِ قَصُ فِي تَوَاشِيهِهَا الْأُرُومُ
وقوله عَلِيمٌ يقول: ساحر عليم بالسحر، يريد أن يخرجكم من أرضكم أرض مصر معشر القبط السحرة. وقال فرعون للملأ: فَمَادًا تَأْمُرُونَ يقول: فأبي شيء تأمرون أن نفعل في أمره، بأبي شيء تشيرون فيه. وقيل: فمادًا تأمرون والخبر بذلك عن فرعون، ولم يذكر فرعون، وقلما يجيء مثل ذلك في الكلام، وذلك نظير قوله: قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَسَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنِ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ فَقِيلَ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ مِنْ قَوْلِ يَوْسُفَ، ولم يذكر يوسف. ومن ذلك أن يقول: قلت لزيد: قم فإني قائم، وهو يريد: فقال زيد: إني قائم.

الآية : 111

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ } ..

يقول تعالى ذكره: قال الملأ من قوم فرعون لفرعون: أَرْجِئْهُ: أي أخره. وقال بعضهم: معناه: احبس. والإرجاء في كلام العرب: التأخير، يقال منه: أَرْجِيتَ هذا الأمر وأرجأته إذا أخرته، ومنه قول الله تعالى: تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ: تؤخر، فالهمز من كلام بعض قبائل قيس يقولون: أرجأت هذا الأمر، وترك الهمز من لغة تميم وأسد يقولون: أرجيته.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة وبعض العراقيين: «أَرْجِئْهُ» بغير الهمز وجرّ الهاء. وقرأه بعض قراء الكوفيين: أَرْجِئْهُ بترك الهمز وتسكين الهاء على لغة من يقف على الهاء في المكّي في الوصل إذا تحرّك ما قبلها، كما قال الراجز:
أُنْحَى عَلَيَّ الدَّهْرُ رَجُلًا وَيَدَايُفْسِمُ لَا يُصْلِحُ إِلَّا أفسدًا فَيُصْلِحُ الْيَوْمَ وَيُفْسِدُهُ عَدَا

وقد يفعلون مثل هذا بهاء التانيث فيقولون: هذه طلحه قد أقبلت، كما قال الراجز:

لَمَّا رَأَى أَنْ لَا دَعَةَ وَلَا شَبَعَمَالَ إِلَى أَرْطَاةٍ جَفَفٍ فَاصْطَبَحَ
وقراه بعض البصريين: «أَرْجِئْهُ» بالهمز وضمّ الهاء، على لغة من ذكرت من قيس.

وأولى القراءات في ذلك بالصواب أشهرها وأصحها في كلام العرب، وذلك ترك الهمز وجرّ الهاء، وإن كانت الأخرى جائزة، غير أن الذي اخترنا أفصح اللغات وأكثرها على ألسن فصحاء العرب.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: أَرْجِهْ فقال بعضهم: معناه: أخره. ذكر من قال ذلك:

11658- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج: أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس, قوله: أَرْجِهْ وَأَخَاهُ قال: أخره.

وقال آخرون: معناه احبسه. ذكر من قال ذلك:

11659- حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أَرْجِهْ وَأَخَاهُ: أي احبسه وأخاه.

وأما قوله: وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يقول: من يحشر السحرة فيجمعهم إليك, وقيل: هم الشُّرَط. ذكر من قال ذلك:

11660- حدثني عباس بن أبي طالب, قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم, قال: حدثنا الحكم بن ظهير, عن السدي, عن ابن عباس: وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ قال: الشُّرَط.

11661- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر, عن أبيه, عن مجاهد: وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ قال: الشرط.

11662- قال ثنا حميد, عن قيس, عن السدي: وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ قال: الشرط.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو نعيم, قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر, عن أبيه, عن مجاهد, عن ابن عباس, في قوله: فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ قال: الشرط.

حدثني عبد الكريم بن الهيثم, قال: حدثنا إبراهيم بن بشار, قال: حدثنا سفيان, قال: حدثنا أبو سعد, عن عكرمة, عن ابن عباس: وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ قال: الشرط.

الآية : 112-113

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ * وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْعَالِينَ}.. وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن مَشْوَرَةِ الْمَلَأِ من قوم فرعون على فرعون, أن يرسل في المدائن حاشرين, يحشرون كل ساحر عليم. وفي الكلام محذوف اكتفي بدلالة الظاهر من إظهاره, وهو: فأرسل في المدائن حاشرين يحشرون السحرة, فجاء السحرة فرعون قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا يقول: إن لنا لثوابا على غلبتنا موسى عندك, إن كُنَّا يا فرعون نَحْنُ الْعَالِينَ.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11663- حدثنا العباس, قال: أخبرنا يزيد, قال: أخبرنا الأصمغ بن زيد, عن القاسم بن أبي أيوب, قال: ثني سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: فأرسل في المدائن حاشرين, فحشروه كل ساحر متعالم فلما أتوا فرعون, قالوا: بم يعمل هذا الساحر؟ قالوا: يعمل بالحيات, قالوا: والله ما في الأرض قوم يعملون بالسحر والحيات والحبال والعصي أعلم منّا, فما أجرنا إن غلبنا؟ فقال لهم: أنتم قرابتي وحامتي, وأنا صانع إليكم كل شيء أحببتم.

11664- حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال: حدثنا إبراهيم بن بشار, قال: حدثنا سفيان, قال: حدثنا أبو سعد, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: قال

فرعون: لا تغالبه يعني موسى إلا بمن هو منه. فأعدّ علماء من بني إسرائيل، فبعث بهم إلى قرية بمصر يقال لها الفرما، يعلمونهم السحر، كما يعلم الصبيان الكتاب في الكتاب. قال: فعلموهم سحرا كثيرا. قال: وواعد موسى فرعون موعدا فلما كان في ذلك الموعد بعث فرعون، فجاء بهم وجاء بمعلمهم معهم، فقال له: ماذا صنعت؟ قال: قد علمتهم من السحر سحرا لا يطيقه سحر أهل الأرض، إلا أن يكون أمرا من السماء، فإنه لا طاقة لهم به، فأما سحر أهل الأرض فإنه لن يغلبهم فلما جاءت السحرة قالوا لفرعون: إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قال: نعم وَإِنَّكُمْ إِذَنْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ.

11665- حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: فَأَرْسِلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ فَحَشَرُوا عَلَيْهِ السَّحْرَةَ، فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةَ فِرْعَوْنُ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ يقول: عطية تعطينا إن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ تَعَمَّ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ.

11666- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق: أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَا تُؤَكِّبُ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ: أي كثره بالسحرة لعلك أن تجد في السحرة من يأتي بمثل ما جاء به، وقد كان موسى وهارون خرجا من عنده حين أراه من سلطانه، وبعث فرعون في مملكته، فلم يترك في سلطانه ساحر إلا أتى به. فذكر لي والله أعلم أنه جمع له خمسة عشر ألف ساحر فلما اجتمعوا إليه أمرهم أمره، وقال لهم: قد جاءنا ساحر ما رأينا مثله قط، وإنكم إن غلبتموه أكرمتكم وفضلتكم، وقررتكم على أهل مملكتي، قالوا: وإن لنا ذلك إن غلبناه؟ قال: نعم.

11667- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة، قال: السحرة كانوا سبعين. قال أبو جعفر: أحسبه أنه قال: ألفا.

11668- قال ثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا موسى بن عبيدة، عن ابن المنذر، قال: كان السحرة ثمانين ألفا.

11669- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا جرير، عن عبد العزيز بن رفيع، عن خيثمة، عن أبي سودة، عن كعب، قال: كان سحرة فرعون اثني عشر ألفا.

الآية : 114-115

القول في تأويل قوله تعالى: { قَالَ تَعَمَّ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ } ..

يقول جل ثناؤه: قال فرعون للسحرة إذ قالوا له: إن لنا عندك ثوبا إن نحن غلبنا موسى قال: نعم، لكم ذلك، وإنكم لمن أقربيه وأدنيه مني. قالوا يا موسى يقول: قالت السحرة لموسى: يا موسى اختر أن تلقي عصاك، أو تلقي نحن عصينا ولذلك أدخلت «أن» مع «إما» في الكلام لأنها في موضع أمر بالاختيار، فإن «أن» في موضع نصب لما وصفت من المعنى، لأن معنى الكلام: اختر أن تلقي أنت، أو تلقي نحن، والكلام مع «إما» إذا كان على وجه الأمر، فلا بد من أن يكون فيه «أن» كقولك للرجل إما أن تمضي، وإما أن تقعد، بمعنى الأمر: امض أو اقعد، فإذا كان على وجه الخبر لم يكن فيه أن كقوله: وأحزبون مخرجون لإمير الله إما

يُعَذِّبُهُمْ وَإِنَّمَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُسَمَّى التَّخْيِيرَ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا كَانَ عَلَى وَجْهِ الْخَبَرِ، وَ«إِنَّمَا» فِي جَمِيعِ ذَلِكَ مَكْسُورَةٌ.

الآية : 116

{ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقُوا سَخَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ } ..
يقول تعالى ذكره: قَالَ مُوسَى لِلسَّحَرَةِ: أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ، فَأَلْقَتِ السَّحَرَةُ مَا مَعَهُمْ. فَلَمَّا أَلْقُوا ذَلِكَ سَخَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ خَيْلُوا إِلَى أَعْيُنِ النَّاسِ بِمَا أَحْدَثُوا مِنَ التَّخْيِيلِ وَالْخَدَعِ أَنَّهَا تَسْعَى. وَاسْتَرْهَبُوهُمْ يَقُولُ: وَاسْتَرْهَبُوا النَّاسَ بِمَا سَحَرُوا فِي أَعْيُنِهِمْ، حَتَّى خَافُوا مِنَ الْعَصِيِّ وَالْحِبَالِ، ظَنَّا مِنْهُمْ أَنَّهَا حَيَاتٌ. وَجَاءُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ بِسِحْرِ عَظِيمٍ: بِتَخْيِيلِ عَظِيمٍ كَثِيرٍ، مِنَ التَّخْيِيلِ وَالْخَدَعِ.

وذلك كالذي: 11670- حدثنا موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، قال: قال لهم موسى: ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم، وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل، ليس منهم رجل إلا معه حبل وعصا. فَلَمَّا أَلْقُوا سَخَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ يَقُولُ: قَرَّقُوهُمْ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى.

11671- حدثني عبد الكريم، قال: حدثنا إبراهيم بن بشار، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا أبو سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: ألقوا حبالاً غلاظاً وخشياً طوالاً، قال: فأقبلت تخيل إليه من سحرهم أنها تسعى.

11672- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: صف خمسة عشر ألف ساحر، مع كل ساحر حباله وعصيه، وخرج موسى معه أخوه يتكئ على عصاه حتى أتى الجمع وفرعون في مجلسه مع أشرف مملكته، ثم قالت السحرة: يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حَبَالُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ فَكَانَ أَوَّلَ مَا اخْتَلَفُوا بِسَحْرِهِمْ بَصَرَ مُوسَى وَبَصَرَ فِرْعَوْنَ، ثُمَّ أَبْصَرَ النَّاسَ بَعْدَ، ثُمَّ أَلْقَى كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَا فِي يَدِهِ مِنَ الْعَصِيِّ وَالْحِبَالِ، فَإِذَا هِيَ حَيَاتٌ كَأَمْثَالِ الْحِبَالِ، قَدْ مَلَأَتِ الْوَادِي يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا. فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى وَقَالَ: وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لِعَصِيَّتِي فِي أَيْدِيهِمْ، وَلَقَدْ عَادَتِ حَيَاتٌ، وَمَا تَعْدُو هَذَا أَوْ كَمَا حَدَّثَ نَفْسَهُ.

11673- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن علية، عن هشام الدستوائي، قال: حدثنا القاسم بن أبي بزة، قال: جمع فرعون سبعين ألف ساحر، وألقوا سبعين ألف حبل وسبعين ألف عصا، حتى جعل يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى.

الآية : 117

{ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ } ..
يقول تعالى ذكره: وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ، فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ، وَتَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ كَذِبًا وَبِاطِلًا، يُقَالُ مِنْهُ: لَقَفْتُ الشَّيْءَ فَأَنَا الْقُفُّ لَقْفًا وَلَقَفْنَا. وَذَلِكَ كَالَّذِي:

11674- حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وأوجينا إلى موسى أن ألق عصاك, فألقى موسى عصاه, فتحولت حية, فأكلت سحرهم كله.

11675- حدثنا عبد الكريم بن الهيثم, قال: حدثنا إبراهيم بن بشار, قال: حدثنا سفيان, قال: حدثنا أبو سعد, عن عكرمة, عن ابن عباس: فألقى عصاه فإذا هي حية تلقف ما يافكون, لا تمر بشيء من حبالهم وخشبهم التي ألقوها إلا التقمته, فعرفت السحرة أن هذا أمر من السماء, وليس هذا بسحر, فخرّوا سجدا وقالوا: آمنا برب العالمين رب موسى وهارون.

11676- حدثني موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السدي, قال: أوحى الله إلى موسى: لا تحف, وألق ما في يمينك تلقف ما يافكون. فألقى عصاه فأكلت كل حية لهم, فلما رأوا ذلك سجدوا, وقالوا: آمنا برب العالمين رب موسى وهارون.

11677- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: أوحى الله إليه أن ألق ما في يمينك فألقى عصاه من يده, فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيمهم, وهي حيات, في عين فرعون وأعين الناس تسعى, فجعلت تلقفها: تبتلعها حية حية, حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوه. ثم أخذها موسى فإذا هي عصاه في يده كما كانت, ووقع السحرة سجدا, قالوا: آمنا برب العالمين رب موسى وهارون لو كان هذا سحرا ما غلبنا.

11678- حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عليه, عن هشام الدستوائي, قال: حدثنا القاسم بن أبي بزة, قال: أوحى الله إليه أن ألق عصاك, فألقى عصاه فإذا هي ثعبان فاغر فاه, فابتلع حبالهم وعصيمهم, فألقى السحرة عند ذلك سجدا, فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها.

11679- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: يافكون قال: يكذبون.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: فإذا هي تلقف ما يافكون قال: يكذبون.

11680- حدثنا إبراهيم بن المستمير, قال: حدثنا عثمان بن عمر, قال: حدثنا قرة بن خالد السدوسي, عن الحسن: تلقف ما يافكون قال: حبالهم وعصيمهم تسترطها استراطا.

الآية: 118

القول في تأويل قوله تعالى: {فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.. يقول تعالى ذكره: فظهر الحق وتبين لمن شهدته وحضره في أمر موسى, وأنه لله رسول يدعو إلى الحق وبطل ما كانوا يعملون من إفك السحر وكذبه ومخايله.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11681- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فَوَقَعَ الْحَقُّ قَالَ: ظهر.

11682- حدثني الحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر, عن أبيه, عن مجاهد في قوله: **فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** قال: ظهر الحقّ وذهب الإفك الذي كانوا يعملون. حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, في قوله: **فَوَقَعَ الْحَقُّ** قال: ظهر الحقّ. حدثنا المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجیح, عن مجاهد: **فَوَقَعَ الْحَقُّ** ظهر موسى.

الآة : 119

القول في تأويل قوله تعالى: **{فَعَلَبُوا هَتَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ}**.. يقول تعالى ذكره: **فَعَلَبَ** موسى فرعونَ وجموعه هتالِكَ عند ذلك, **وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ** يقول: وانصرفوا عن موطنهم ذلك بصُغُرٍ مقهورين, يقال منه: **صَغُرَ** الرجل **يَصْغُرُ** **صِغْرًا** و**صُغْرًا** و**صَعَارًا**.

الآة : 120-122

القول في تأويل قوله تعالى: **{وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ}**.. يقول تعالى ذكره: **وَأَلْقَى** السحرة عندما عاينوا من عظيم قدرة الله, **سَاقِطِينَ** على وجوههم, **سَجَدَا** لربهم, يقولون: **آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**, يقولون صدّقنا بما جاءنا به موسى, وأن الذي علينا عبادته هو الذي يملك الجنّ والإنس وجميع الأشياء, وغير ذلك, ويدبر ذلك كله, رب موسى وهارون, لا فرعون. كالذي:

11683- حدثني عبد الكريم, قال: حدثنا إبراهيم بن بشار, قال: حدثنا سفيان, قال: حدثنا أبو سعد, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: لما رأَت السَّحْرَةَ ما رأَت, عرفت أن ذلك أمر من السماء وليس بسحر, خرّوا سجدا, وقالوا: **آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ**.

الآة : 123

القول في تأويل قوله تعالى: **{قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}**.. يقول تعالى ذكره: قال فرعون للسحرة إذ آمنوا بالله, يعني صدّقوا رسوله موسى عليه السلام لما عاينوا من عظيم قدرة الله وسلطانه: **آمَنْتُمْ** يقول: **أَصْدَقْتُمْ** بموسى وأقررتهم بنبوّته, قبل أن آذن لكم بالإيمان به. إن هذا يقول: تصديقكم إياه, وإقراركم بنبوّته, **لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ** في المدينة يقول **لِحُدُوعَةٍ** خدعتم بها من في مدينتنا لتخرجوهم منها. **فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** ما أفعل بكم, وتلقون من عقابي إياكم على صنيعهم هذا. وكان مكرهم ذلك فيما:

11684- حدثني موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في حديث ذكره عن أبي مالك وعليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, وعن مُرّة, عن ابن مسعود, وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: التقى موسى وأمير السحرة, فقال له موسى: **أرأيتك إن غلبتكَ أتؤمن بي وتشهد أن ما جئتُ به حقٌّ؟** قال السّاحر: **لأتين غدا بسحر لا يغلبه سحر, فوالله لئن غلبتني لأومنن بك**

ولأشهدنّ أنك حقّ وفرعون ينظر إليهم فهو قول فرعون: إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُتُمْوهُ فِي الْمَدِينَةِ إِذِ التَّقِيْتِمَا لَتَظَاهِرَا فَتَخْرَجَا مِنْهَا أَهْلَهَا.

الآية : 124

القول في تأويل قوله تعالى: {لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ} ..

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل فرعون للسحرة إذ آمنوا بالله وصدّقوا رسوله موسى: لأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وذلك أن يقطع من أحدهم يده اليمنى ورجله اليسرى، أو يقطع يده اليسرى ورجله اليمنى، فيخالف بين العضوين في القطع، فمخالفته في ذلك بينهما هو القطع من خلاف.

ويقال: إن أوّل من سنّ هذا القطع فرعون. ثم لأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ وإنما قال هذا فرعون، لما رأى من خذلان الله إياه وغلبة موسى عليه السلام وقهره له.

11685- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبو داود الحفريّ وحبّوبة الرازيّ، عن يعقوب القميّ، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: لأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ قال: أوّل من صلب وأوّل من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون.

الآية : 125-126

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * وَمَا نَنقِمُ مِنْآ إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفَرغ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقُّنَا مُسْلِمِينَ} ..

يقول تعالى ذكره: قال السحرة مجيبة لفرعون، إذ توعدهم بقطع الأيدي والأرجل من خلاف، والصلب: إيتا إلى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ يعني بالانقلاب إلى الله الرجوع إليه والمصير. وقوله: وَمَا نَنقِمُ مِنْآ إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا يقول: ما تنكر منا يا فرعون وما تجد علينا، إلا من أجل أن آمنّا: أي صدّقنا بآيات ربنا، يقول: بحجج ربنا وأعلامه وأدلته التي لا يقدر على مثلها أنت، ولا أحد سوى الله، الذي له ملك السموات والأرض. ثم فزعوا إلى الله، بمسئلته الصبر على عذاب فرعون، وقبض أرواحهم على الإسلام، فقالوا: رَبَّنَا أَفَرغ عَلَيْنَا صَبْرًا يعنون بقولهم: أفرغ: أنزل علينا حبسا يحبسنا عن الكفر بك عند تعذيب فرعون إيانا. وَتَوَقُّنَا مُسْلِمِينَ يقول: واقبضنا إليك على الإسلام، دين خليلك إبراهيم صلى الله عليه وسلم، لا على الشرك بك.

11686- فحدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط عن السديّ: لأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ فقتلهم وصلّبهم، كما قال عبد الله بن عباس حين قالوا: رَبَّنَا أَفَرغ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقُّنَا مُسْلِمِينَ قال: كانوا في أوّل النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء.

11687- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن إسرائيل، عن عبد العزيز بن ربيع، عن عبيد بن عمير، قال: كانت السحرة أوّل النهار سحرة، وآخر النهار شهداء.

11688- حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَالْقِي السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قال: ذكر لنا أنهم كانوا في أوّل النهار سحرة، وآخره شهداء.

11689- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريح, عن مجاهد: رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ قَالَ: كَانُوا أَوَّلَ النَّهَارِ سَحْرَةً, وَآخِرَهُ شَهْدَاءً.

الآية : 127

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُؤُا مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ قَالَ سَتَقْتُلُنَا أَتِنَاءَهُمْ وَتَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ } ..

يقول تعالى ذكره: وقالت جماعة رجال من قوم فرعون لفرعون: أتدع موسى وقومه من بني إسرائيل ليفسدوا في الأرض, يقول: كي يفسدوا خدمك وعبيدك عليك في أرضك من مصر, وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ يقول: ويدرك: ويدع خدمتك موسى, وعبادتك وعبادة آلهتك.

وفي قوله: وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ وجهان من التأويل: أحدهما أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض وقد تركك وترك عبادتك وعبادة آلهتك؟ وإذا وجه الكلام إلى هذا الوجه من التأويل كان النصب في قوله: وَيَذَرَكَ عَلَى الصَّوْفِ, لا على العطف به على قوله «ليفسدوا». والثاني: أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض وليذرك وآلهتك كالتوبيخ منهم لفرعون على ترك موسى ليفعل هذين الفعلين. وإذا وجه الكلام إلى هذا الوجه كان نصب: وَيَذَرَكَ عَلَى الصَّوْفِ لِيُفْسِدُوا.

والوجه الأوَّل أولى الوجهين بالصواب, وهو أن يكون نصب: وَيَذَرَكَ عَلَى الصَّوْفِ, لأن التأويل من أهل التأويل به جاء. وبعد, فإن في قراءة أبي بن كعب الذي:

11690- حدثنا أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا حجاج عن هارون, قال: في حرف أبي بن كعب: وقد تركوك أن يعبدوك وآلهتك. دلالة واضحة على أن نصب ذلك على الصَّوْفِ.

وقد روى عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك: وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ عطفًا بقوله: وَيَذَرَكَ عَلَى قَوْلِهِ: أَتَدْرُؤُا مُوسَىٰ كَأَنَّهُ وَجَّهَ تَأْوِيلَهُ إِلَى: أَتَدْرُؤُا مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ؟ وقد تحتمل قراءة الحسن هذه أن يكون معناها: أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض وهو يذرك وآلهتك؟ فيكون «يذرك» مرفوعًا على ابتداء الكلام.

وأما قوله: وَآلِهَتِكَ فَإِنَّ قِرَاءَ الْأَمْصَارِ عَلَى فَتْحِ الْأَلْفِ مِنْهَا وَمَدِّهَا, بمعنى: وقد ترك موسى عبادتك وعبادة آلهتك التي تعبدوها. وقد ذكر عن ابن عباس أنه كان له بقرة يعبدوها. وقد روي عن ابن عباس ومجاهد أنهما كانا يقرأنها: «وَيَذَرَكَ وَإِلَآهَتِكَ» بكسر الألف, بمعنى: ويدرك وعُبودتك. والقراءة التي لا نرى القراءة بغيرها, هي القراءة التي عليها قِرَاءَ الْأَمْصَارِ لِجَمَاعِ الْحِجَّةِ مِنَ الْقِرَاءِ عَلَيْهَا.

ذكر من قال: كان فرعون يعبد آلهة على قراءة من قرأ: وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ: 11691- حدثني موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ وآلهته فيما زعم ابن عباس, كانت البقرة كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها, فلذلك أخرج لهم عجلًا وبقرة.

11692- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن عمرو, عن الحسن, قال: كان لفرعون جُمَانَةٌ معلقة في نحره يعبدها ويسجد لها.

11693- حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي, قال: حدثنا أبان بن خالد, قال: سمعت الحسن يقول: بلغني أن فرعون كان يعبد إلهًا في السرِّ. وقرأ: «وَيَذَرُكَ وَإِلَهْتِكَ». حدثنا محمد بن سنان, قال: حدثنا أبو عاصم, عن أبي بكر, عن الحسن, قال: كان لفرعون إله يعبده في السرِّ. ذكر من قال معنى ذلك: ويذرك وعبادتك, على قراءة من قرأ: «وإلهتك»:

11694- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيينة, عن عمرو بن دينار, عن محمد بن عمرو, عن الحسن, عن ابن عباس: «وَيَذَرُكَ وَإِلَهْتِكَ» قال: إنما كان فرعون يُعبد ولا يعبد.

قال ثنا أبي, عن نافع, عن ابن عمر, عن عمرو بن دينار, عن ابن عباس أنه قرأ: «وَيَذَرُكَ وَإِلَهْتِكَ» قال: وعبادتك, ويقول إنه كان يُعبد ولا يعبد. 11695- حدثنا المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثنا معاوية, عن علي بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: «وَيَذَرُكَ وَإِلَهْتِكَ» قال: يترك عبادتك.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل عن عمرو بن دينار, عن ابن عباس أنه كان يقرأ: «وإلهتك» يقول: وعبادتك.

11696- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: «وَيَذَرُكَ وَإِلَهْتِكَ» قال: عبادتك. حدثنا سعيد بن الربيع الرازي, قال: حدثنا سفيان, عن عمرو بن دينار, عن محمد بن عمرو بن حسين, عن ابن عباس, أنه كان يقرأ: «وَيَذَرُكَ وَإِلَهْتِكَ» وقال: إنما كان فرعون يُعبد ولا يعبد.

وقد زعم بعضهم: أن من قرأ: «وإلهتك» إنما يقصد إلى نحو معنى قراءة من قرأ: وإلهتك غير أنه أنث وهو يريد إلهًا واحدًا, كأنه يريد «وَيَذَرُكَ وَإِلَهْتِكَ» ثم أنث الإله فقال: «وإلهتك».

وذكر بعض البصريين أن أعرابيا سُئِلَ عن الإلهة فقال: «هي عَلمة» يريد علما, فأنت «العلم», فكانه شيء نصب للعبادة يُعبد. وقد قالت بنت عتيبة بن الجارث اليربوعي:

تَرَوْحْنَا مِنَ اللَّعْبَاءِ عَصْرًا وَأَعْجَلْنَا الْإِلَهَةَ أَنْ تُتُوبَا

يعني بالإلهة في هذا الموضع: الشمس. وكان هذا المتأول هذا التأويل, وجه الإلهة إذا أدخلت فيها هاء التانيث, وهو يريد واحد الآلهة, إلى نحو إدخالهم الهاء في ولديتي وكوكبيتي وماءتي, وهو أهلة ذاك, وكما قال الراجز:

يَا مُصْرَّ الْحَمْرَاءِ أَنْتِ أَسْرَتِي وَأَنْتِ مَلْجَاتِي وَأَنْتِ ظَهْرَتِي

يريد: ظهري. وقد بين ابن عباس ومجاهد ما أراد من المعنى في قراءتهما ذلك على ما قرأ, فلا وجه لقول هذا القائل ما قال مع بيانهما عن أنفسهما ما ذهب إليه من معنى ذلك.

وقوله: قَالَ سَنُقْتَلُ أَبْنَاءَهُمْ يَقُولُ: قال فرعون: سنقتل أبناءهم الذكور من أولاد بني إسرائيل. وَتَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ يَقُولُ: ونستحيي إناثهم. وَإِنَّا

فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ يَقُولُ: وَإِنَّا عَالُونَ عَلَيْهِم بِالقَهْرِ، يعنى بقهر الملك والسلطان. وقد بينا أن كل شيء عال بقهر وغلبة على شيء، فإن العرب تقول: هو فوقه.

الآية : 128

القول في تأويل قوله تعالى: { قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } .. يقول تعالى ذكره: قال موسى لقومه من بني إسرائيل لما قال فرعون للملأ من قومه سنقتل أبناء بني إسرائيل ونستحيي نساءهم: اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ عَلَى فرعون وقومه فيما ينوبكم من أمركم، واصبروا على ما نالكم من المكاره في أنفسكم وأبنائكم من فرعون. وكان قد تبع موسى من بني إسرائيل على ما:

11697- حدثني عبد الكريم، قال: حدثنا إبراهيم بن بشار، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا أبو سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما أمنت السحرة، اتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل. وقوله: إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ يَقُولُ: إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ، لَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يُورِثَكُمْ إِنْ صَبَرْتُمْ عَلَى مَا نَالَكُمْ مِنْ مَكْرِهِ فِي أَنْفُسِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ مِنْ فرعون، واحتسبتم ذلك، واستقمتم على السداد أرض فرعون وقومه، بأن يهلكهم ويستخلفكم فيها، فإن الله يورث أرضه من يشاء من عباده. والعاقبة للمتقين يقول: والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله وراقبه، فخافه باجتناب معاصيه وأدى فرائضه.

الآية : 129

القول في تأويل قوله تعالى: { قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ } ..

يقول تعالى ذكره: قال قوم موسى لموسى حين قال لهم استعينوا بالله واصبروا: أُوذِينَا بِقَتْلِ أَبْنَائِنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا يَقُولُ: مَنْ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَنَا بِرِسَالَةِ اللَّهِ إِلَيْنَا لِأَنَّ فرعون كان يقتل أولادهم الذكور حين أظله زمان موسى على ما قد بينت فيما مضى من كتابنا هذا. وقوله: وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْنَا يَقُولُ: ومن بعد ما جئنا برسالة الله، لأن فرعون لما غلبت سحرته وقال للملأ من قومه ما قال، أراد تجديد العذاب عليهم بقتل أبنائهم واستحياء نساءهم. وقيل: إن قوم موسى قالوا لموسى ذلك حين خافوا أن يدركهم فرعون وهم منه هاربون، وقد تراءى الجمعان، ف قالوا له يا موسى أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا كَانُوا يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَنَا وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَنَا، وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْنَا الْيَوْمَ يَدْرِكُنَا فرعون فيقتلنا.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11698- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا مِنْ قَبْلِ إِرْسَالِ اللَّهِ إِلَيْكَ وَبَعْدَهُ.

حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

11699- حدثني موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: فلما تراءى الجمعان فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد

ردفهم, قالوا: إِنَّا لَمُدْرِكُونَ وقالوا: أَوْ ذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا. كانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا. وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْنَا الْيَوْمَ يَدْرِكُنَا فِرْعَوْنَ فَيَقْتُلُنَا، إِنَّا لَمُدْرِكُونَ.

11700- حدثني عبد الكريم, قال: حدثنا إبراهيم, قال: حدثنا سفيان, قال: حدثنا أبو سعد, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: سار موسى بنبي إسرائيل حتى هجموا على البحر, فالتفتوا فإذا هم برهج دواب فرعون, فقالوا: يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئنا, هذا البحر أمامنا وهذا فرعون بمن معه قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون.

وقوله: قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: لَعَلَّ رَبِّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ: فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، وَيَسْتَخْلِفَكُمْ يَقُولُ: يجعلكم تخلفونهم في أرضهم بعد هلاكهم, لا تخافونهم ولا أحدا من الناس غيرهم فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ يَقُولُ: فيرى ربكم ما تعملون بعدهم من مسارعتم في طاعته وتناقلكم عنها.

الآية : 130

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} ..

يقول تعالى ذكره: ولقد اخترنا قوم فرعون وأتباعه على ما هم عليه من الضلالة بالسنين, يقول: بالجدوب سنة بعد سنة والقحوط. يقال منه: أسنت القوم: إذا أجذبوا. وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ يَقُولُ: واختبرناهم مع الجدوب بذهاب ثمارهم وغلاتهم إلا القليل. لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ يَقُولُ: عظة لهم وتذكيرا لهم, لينزجروا عن ضلالتهم ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11701- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن شريك, عن أبي إسحاق, عن أبي عبيدة, عن عبد الله: وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ قَالَ: سني الجوع.

11702- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: بِالسِّنِينَ الجائحة. وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ دُونَ ذَلِكَ.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

11703- حدثني القاسم بن دينار, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, عن شيبان, عن أبي إسحاق, عن رجاء بن حيوة في قوله: وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ قَالَ: حيث لا تحمل النخلة إلا ثمرة واحدة.

11704- حدثني ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن رجاء بن حيوة, عن كعب قال: يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا ثمرة.

حدثني المثنى, قال: حدثنا الحمانى, قال: حدثنا شريك, عن أبي إسحاق, عن رجاء بن حيوة: وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ قَالَ: يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا ثمرة.

11705- حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ: أخذهم الله بالسنين

بالجوع عاما فعاما. وَتَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ فَأَمَا السنين فكان ذلك في باديتهم وأهل مواشيهم، وأما بنقص من الثمرات فكان ذلك في أمصارهم وقراهم.

الآية : 131

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهم عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} ..

يقول تعالى ذكره: فإذا جاءت آل فرعون العافية والخصب والرخاء وكثرة الثمار، ورأوا ما يحبون في دنياهم قالوا لنا هذه نحن أولى بها. وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يعني جدوب وفحوط وبلاء، يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ يقول: يتشاءموا ويقولوا: ذهبت حظوظنا وأنصباؤنا من الرخاء والخصب والعافية، مذ جاءنا موسى عليه السلام.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11706- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: {فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ الْعَافِيَةَ وَالرِّخَاءَ} قالوا لنا هذه نحن أحق بها. وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بلاء وعقوبة، يَطَّيَّرُوا يتشاءموا بِمُوسَىٰ.

حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بنحوه.

11707- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: {فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ قَالُوا: مَا أَصَابَنَا هَذَا إِلَّا بِكَ يَا مُوسَىٰ وَبِمَنْ مَعَكَ} ما رأينا شرا ولا أصابنا حتى رأيناك. وقوله: {فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ} قال: الحسنة: ما يحبون وإذا كان ما يكرهون، قالوا: ما أصابنا هذا إلا بشؤم هؤلاء الذين ظلموا قال قوم صالح: اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ فقال الله: {إِنَّمَا طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتِنُونَ}.

القول في تأويل قوله: {أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهم عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}.

يقول تعالى ذكره: ألا ما طائر آل فرعون وغيرهم، وذلك أنصباؤهم من الرخاء والخصب وغير ذلك من أنصباء الخير والشر إلا عند الله. ولكن أكثرهم لا يعلمون أن ذلك كذلك، فلجهم بذلك كانوا يطيرون بموسى ومن معه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11708- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس: {أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهم عِنْدَ اللَّهِ يَقُول: مصائبهم عند الله، قال الله: وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}.

حدثني القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج قال: قال ابن عباس: {أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهم عِنْدَ اللَّهِ} قال: الأمر من قبل الله.

الآية : 132

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ} ..

يقول تعالى ذكره: وقال آل فرعون لموسى: يا موسى مهما تأتانا به من علامة ودلالة لتسحرنا، يقول: لتلفتنا بها عما نحن عليه من دين فرعون، قَمَا نَحْنُ لَكَ يَمُؤْمِنِينَ يقول: فما نحن لك في ذلك بمصدقين على أنك محقّ فيما تدعونا إليه. وقد دللنا فيما مضى على معنى السحر بما أغنى عن إعادته.

وكان ابن زيد يقول في معنى: مَهْمَا تَأْتِيَا بِهِ مِنْ آيَةٍ مَا: 11709- حدثني يونس، قال: قال ابن زيد في قوله: مَهْمَا تَأْتِيَا بِهِ مِنْ آيَةٍ قَالَ: إن ما تأتانا به من آية، وهذه فيها زيادة «ما».

الآية : 133

القول في تأويل قوله تعالى: { فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالِدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ } .. اختلف أهل التأويل في معنى الطوفان، فقال بعضهم: هو الماء. ذكر من قال ذلك:

11710- حدثني ابن وكيع، قال: حدثنا حَبّوبة الرازي، عن يعقوب القُمي، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما جاء موسى بالآيات، كان أوّل الآيات الطوفان، فأرسل الله عليهم السماء.

11711- حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: حدثنا ابن يمان، قال: حدثنا سفيان، عن إسماعيل، عن أبي مالك، قال: الطوفان: الماء.

11712- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك، قال: الطوفان: الماء.

11713- قال: ثنا جابر بن نوح، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: الطوفان: الغرق.

11714- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: الطوفان الماء والطاعون على كلّ حال. حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الطوفان الموت على كلّ حال.

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: الطوفان: الماء. وقال آخرون: بل هو الموت. ذكر من قال ذلك:

11715- حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: حدثنا يحيى بن يمان، قال: حدثنا المنهال بن خليفة، عن الحجاج، عن الحَكَم بن ميناء، عن عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الطوفانُ المَوْتُ».

11716- حدثني عباس بن محمد، قال: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: سألت عطاء ما الطوفان؟ قال: الموت.

11717- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عبد الله بن رجاء، عن ابن جريج، عن عطاء عن حدثه، عن مجاهد، قال: الطوفان: الموت.

11718- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن عبد الله بن كثير: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ قَالَ: الموت. قال ابن جريج: وسألت عطاء عن الطوفان، قال: الموت. قال ابن جريج: وقال مجاهد: الموت على كلّ حال.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا يحيى بن يمان، عن المنهال بن خليفة، عن حجاج، عن رجل، عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الطوفان الموت».

وقال آخرون: بل ذلك كان أمرا من الله طاف بهم. ذكر من قال ذلك: 11719- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا جرير، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطوفانَ قال: أمر الله الطوفان، ثم قال: قَطَافَ عَلَيَّهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ.

وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة، يزعم أن الطوفان من السيل التُّعاق والدِّبَّاش، وهو الشديد، ومن الموت الممتاع الذريع السريع. وقال بعضهم: هو كثرة المطر والريح. وكان بعض نحويي الكوفيين يقول: الطوفان مصدر مثل الرَّجْحان والتَّقْصان لا يجمع. وكان بعض نحويي البصرة يقول: هو جمع، واحدها في القياس: الطوفانة. والصواب من القول في ذلك عندي، ما قاله ابن عباس على ما رواه عنه أبو ظبيان أنه أمر من الله طاف بهم، وأنه مصدر من قول القائل: طاف بهم أمر الله يطوف طوفانا، كما يقال: نقص هذا الشيء ينقص تقصانا. وإذا كان ذلك كذلك، جاز أن يكون الذي طاف بهم المطر الشديد، وجاز أن يكون الموت الذريع. ومن الدلالة على أن المطر الشديد قد يسمى طوفانا قول الحسن بن عرفة:

عَيَّرَ الْجِدَّةَ مِنْ آيَاتِهَا حُرْقُ الرِّيحِ وَطُوفَانُ المَطَرِ
ويروى: «حُرْقُ الرِّيحِ بطوفانِ المطر» وقول الراعي:
تُصْحِي إِذَا العَيْسُ أَدْرَكْنَا تَكَائِبَهَا حَرْقَاءَ يَعْتَادُهَا الطُوفَانُ وَالرَّوْدُ
وقول أبي النجم:

قَدْ مَدَّ طُوفَانُ قَبِيَّتٍ مَدَدًا شَهْرًا شَائِبًا وَشَهْرًا بَرَدًا
وأما القمّل، فإن أهل التأويل اختلفوا في معنا، فقال بعضهم: هو السوس الذي يخرج من الحنطة. ذكر من قال ذلك:

11720- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا جرير، عن يعقوب القمّي، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: القمّل: هو السوس الذي يخرج من الحنطة.

11721- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بنحوه.

وقال آخرون: بل هو الدّبي، وهو صغار الجراد الذي لا أجنحة له. ذكر من قال ذلك:

11722- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: القمل: الدّبي.

11723- حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، قال: الدّبي: القمل.

11724- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: القمل: هو الدّبي.

11725- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: القمل: الدّبي.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, قال: حدثنا معمر, عن قتادة, قال: القمل: هي الدّبي, وهي أولاد الجرّاد.
11726- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جابر بن نوح, عن أبي روق, عن الضحاك, عن ابن عباس, قال: القمل: الدبي.
11727- قال ثنا يحيى بن آدم, عن قيس عمن ذكره, عن عكرمة, قال: القمل: بنات الجرّاد.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثنا أبي, قال: ثنا عمي, قال: ثنا أبي عن أبيه, عن ابن عباس, قال: القمل: الدّبي.
وقال آخرون: بل القمل: البراغيث. ذكر من قال ذلك:
11728- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ قال: زعم بعض الناس في القمل أنها البراغيث.

وقال بعضهم: هي دوابّ سود صغار. ذكر من قال ذلك:
11729- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثنا حجاج, عن أبي بكر, قال: سمعت سعيد بن جبیر والحسن قالا: القمل: دوابّ سود صغار. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم اغيث.
وقال بعضهم: هي دوابّ سود صغار. ذكر من قال ذلك:

11730- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثنا حجاج, عن أبي بكر, قال: سمعت سعيد بن جبیر والحسن قالا: القمل: دوابّ سود صغار. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم بابا مُؤَصَّدًا وكان الفراء يقول: لم أسمع فيه شيئًا, فإن لم يكن جمعًا فواحد قامل, مثل ساجد وراكع, وإن يكن أسما على معنى جمع, فواحدته: قملة.
ذكر المعاني التي حدثت في قوم فرعون بحدوث هذه الآيات والسبب الذي من أجله أحدثها الله فيهم

11731- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب القمي, عن جعفر بن المغيرة, عن سعيد بن جبیر, قال: لما أتى موسى فرعون, قال له: أرسل معي بني إسرائيل فأبى عليه, فأرسل الله عليهم الطوفان, وهو المطر, فصبّ عليهم منه شيئًا, فخافوا أن يكون عذابًا, فقالوا لموسى: ادع لنا ربك, لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك, ولنرسلنّ معك بني إسرائيل فدعا ربه, فلم يؤمنوا, ولم يرسلوا معه بني إسرائيل. فأنبت لهم في تلك السنة شيئًا لم ينبت قبل ذلك من الزرع والتمر والكلأ, فقالوا: هذا ما كنا نتمنى فأرسل الله عليهم الجرّاد, فسلطه على الكلأ. فلما رأوا أثره في الكلأ عرفوا أنه لا يبقى الزرع, فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك فيكشف عنا الجرّاد, فنؤمننّ لك, ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه, فكشف عنهم الجرّاد, فلم يؤمنوا, ولم يرسلوا معه بني إسرائيل, فداسوا وأحرقوا في البيوت, فقالوا: قد أحرزنا. فأرسل الله عليهم القمل, وهو السوس الذي يخرج منه, فكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحي, فلا يردّ منها ثلاثة أقفزة, فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا القمل, فنؤمننّ لك, ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه, فكشف عنهم, فأبوا أن يرسلوا معه بني إسرائيل. فبينما هو جالس عند فرعون إذ سمع نقيق ضفدع, فقال لفرعون: ما تلقي أنت وقومك من هذا؟ فقال: وما عسى أن يكون كيد هذا؟ فما أمسوا حتى كان الرجل يجلس إلى ذقنه في

الضفادع, وبهم أن يتكلم فتثب الضفادع في فيه, فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع, فنؤمن لك, ونرسل معك بني إسرائيل فكشف عنهم فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم الدم, فكان ما استقوا من الأنهار والآبار, أو ما كان في أوعيتهم وجدوه دما عبيطا, فشكوا إلى فرعون فقالوا: إنا قد ابتلينا بالدم, وليس لنا شراب. فقال: إنه قد سحركم. فقالوا: من أين سحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئا من الماء إلا وجدناه دما عبيطا؟ فاتوه فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم, فنؤمن لك, ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه, فكشِف عنهم, فلم يؤمنوا, ولم يرسلوا معه بني إسرائيل.

11732- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حبوبة الرازي, عن يعقوب القمي, عن جعفر, عن ابن عباس, قال: لما خافوا الغرق, قال فرعون: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر فنؤمن لك, ثم ذكر نحو حديث ابن حميد, عن يعقوب.

11733- حدثنا موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو بن حماد, قال: حدثنا أسباط, عن السدي, قال: ثم إن الله أرسل عليهم, يعني على قوم فرعون الطوفان, وهو المطر, فغرق كل شيء لهم, فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا, ونحن نؤمن لك, ونرسل معك بني إسرائيل فكشف الله عنهم ونبتت به زروعهم, فقالوا: ما يسرنا أنا لم نمطر. فبعث الله عليهم الجراد, فأكل حروثهم, فسألوا موسى أن يدعو ربه فيكشفه ويؤمنوا به. فدعا فكشفه, وقد بقي من زروعهم بقية, فقالوا: لم تؤمنون وقد بقي من زرعنا بقية تكفيننا؟ فبعث الله عليهم الدبى, وهو القمل, فلحس الأرض كلها, وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه, وكان لأحدهم الطعام فيملىء دبه, حتى إن أحدهم ليينى الأسطوانة بالحصّ فيزلقها, حتى لا يرتقي فوقها شيء, يرفع فوقها الطعام, فإذا صعد إليه لياكله وجده ملآن دبه, فلم يصابوا ببلاء كان أشدّ عليهم من الدبى, وهو الرجز الذي ذكر الله في القرآن أنه وقع عليهم. فسألوا موسى أن يدعو ربه, فيكشف عنهم, ويؤمنوا به. فلما كشف عنهم أبوا أن يؤمنوا, فأرسل الله عليهم الدم, فكان الإسرائيلي يأتي هو والقبطي يستقيان من ماء واحد, فيخرج ماء هذا القبطي دما, ويخرج للإسرائيلي ماء. فلما اشتدّ ذلك عليهم سألوا موسى أن يكشفه ويؤمنوا به, فكشف ذلك فأبوا أن يؤمنوا, وذلك حين يقول الله: فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَدَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ.

11734- حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ قَالَ: أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى قَامُوا فِيهِ قِيَامًا. ثُمَّ كَشَفَ عَنْهُمْ, فلم يؤمنوا, وأخصبت بلادهم خصبا لم تخصب مثله. فأرسل الله عليه الجراد فأكله إلا قليلا, فلم يؤمنوا أيضا. فأرسل الله القمل وهي الدبى, وهو أولاد الجراد, فأكلت ما بقي من زروعهم, فلم يؤمنوا. فأرسل عليهم الضفادع, فدخلت عليهم بيوتهم, ووقعت في أنبتهم وفرشهم, فلم يؤمنوا. ثم أرسل الله عليهم الدم, فكان أحدهم إذا أراد أن يشرب تحوّل ذلك الماء دما, قال الله: آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ.

11735- حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ حَتَّى بَلَغَ: مُّجْرِمِينَ قَالَ: أَرْسَلَ

الله عليهم الماء حتى قاموا فيه قياماً، فدعوا موسى فدعا ربه، فكشف عنهم، ثم عادوا بشرّ ما يحضر بهم، ثم أنبتت أرضهم. ثم أرسل الله عليهم الجراد، فأكل عامة حروثهم وثمارهم، ثم دعوا موسى فدعا ربه فكشف عنهم. ثم عادوا بشرّ ما يحضر بهم، فأرسل الله عليهم القُمَّل، هذا الدبى الذي رأيتهم، فأكل ما أبقى الجراد من حروثهم، فلحسه. فدعوا موسى، فدعا ربه، فكشفه عنهم، ثم عادوا بشرّ ما يحضر بهم. ثم أرسل الله عليهم الضفادع، حتى ملأت بيوتهم وأفنياتهم، فدعوا موسى، فدعا ربه فكشف عنهم. ثم عادوا بشرّ ما يحضر بهم، فأرسل الله عليهم الدم، فكانوا لا يغترفون من مائهم إلاّ دماً أحمر، حتى لقد ذكر أن عدوّ الله فرعون كان يجمع بين الرجلين على الإناء الواحد، القبطي والإسرائيلي، فيكون مما يلي الإسرائيلي ماء، ومما يلي القبطي دماً. فدعوا موسى، فدعا ربه، فكشفه عنهم في تسع آيات: السنين، ونقص من الثمرات، وأراهم يد موسى عليه السلام وعصاه.

11736- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: فأرسلنا عليهم الطوفان وهو المطر حتى خافوا الهلاك، فاتوا موسى، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا المطر، فإننا نؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه، فكشف عنهم المطر، فأنبت الله به حرثهم، وأخصب به بلادهم، فقالوا: ما نجبّ أنا لم نمطر بترك ديننا، فلن نؤمن لك ولن نرسل معك بني إسرائيل فأرسل الله عليهم الجراد، فأسرع في فساد ثمارهم وزروعهم، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الجراد، فإننا سنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه، فكشف عنهم الجراد، وكان قد بقي من زروعهم ومعاشرهم بقايا، فقالوا: قد بقي لنا ما هو كافينا، فلن نؤمن لك ولن نرسل معك بني إسرائيل فأرسل الله عليهم القُمَّل، وهو الدبى، فتبع ما كان ترك الجراد، فجزعوا وأحسوا بالهلاك، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا الدبى، فإننا سنؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه، فكشف عنهم الدبى، فقالوا: ما نحن لك بمؤمنين ولا مرسلين معك بني إسرائيل. فأرسل الله عليهم الضفادع، فملا بيوتهم منها، ولقوا منها أذى شديداً لم يلقوا مثله فيما كان قبله، إنها كانت تثب في قدورهم، فتفسد عليهم طعامهم، وتطفئ نيرانهم، قالوا: يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الضفادع، فقد لقينا منها بلاءً وأذى، فإننا سنؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه، فكشف عنهم الضفادع، فقالوا: لا نؤمن لك، ولا نرسل معك بني إسرائيل. فأرسل الله عليهم الدم، فجعلوا لا يأكلون إلاّ الدم، ولا يشربون إلاّ الدم، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الدم، فإننا سنؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الدم، فقالوا: يا موسى لن نؤمن لك ولن نرسل معك بني إسرائيل، فكانت آيات مفصّلات بعضها على إثر بعض، ليكون لله عليهم الحجة، فأخذهم الله بذنوبهم، فأغرقهم في اليم.

11737- حدثني عبد الكريم، قال: حدثنا إبراهيم، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا أبو سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أرسل على قوم فرعون الآيات: الجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم آياتٍ مُفصّلاتٍ. قال: فكان الرجل من بني إسرائيل يركب مع الرجل من قوم فرعون في

السفينة، فيغترف الإسرائيلي ماء، ويغترف الفرعوني دما. قال: وكان الرجل من قوم فرعون ينام في جانب، فيكثر عليه القمل والضفادع حتى لا يقدر أن ينقلب على الجانب الآخر. فلم يزالوا كذلك، حتى أوحى الله إلى موسى: **أَنْ أُسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ.**

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: لما أتى موسى فرعون بالرسالة أبى أن يؤمن وأن يرسل معه بني إسرائيل، فاستكبر، قال: لن يرسل معك بني إسرائيل فأرسل الله عليهم الطوفان، وهو الماء، أمطر عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وامتنع منهم كل شيء، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا هذا لنؤمننَّ لك، ولنرسلنَّ معك بني إسرائيل، فدعا الله فكشف عنهم المطر، فأثبت الله لهم حروثهم، وأحيا بذلك المطر كل شيء من بلادهم، فقالوا: والله ما نحبُّ أنا لم نكن أمطرنا هذا المطر، ولقد كان خيرا لنا، فلن نرسل معك بني إسرائيل، ولن نؤمن لك يا موسى. فبعث الله عليهم الجراد، فأكل عامَّة حروثهم، فأسرع الجراد في فسادها، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا الجراد، فإنا مؤمنون لك، ومرسلون معك بني إسرائيل فكشف الله عنهم الجراد، وكان الجراد قد أبقى لهم من حروثهم بقية، فقالوا: قد بقي لنا من حروثنا ما كان كافينا، فما نحن بتاركي ديننا، ولن نؤمن لك، ولن نرسل معك بني إسرائيل فأرسل الله عليهم القمل، والقمل: الدبى، وهو الجراد الذي ليست له أجنحة، فتتبع ما بقي من حروثهم وشجرهم وكل نبات كان لهم، فكان القمل أشدَّ عليهم من الجراد. فلم يستطيعوا للقمل حيلة، وجزعوا من ذلك وأتوا موسى، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا القمل، فإنه لم يُبق لنا شيئا، قد أكل ما بقي من حروثنا، ولئن كشفت عنا القمل لنؤمننَّ لك، ولنرسلنَّ معك بني إسرائيل فكشف الله عنهم القمل فنكثوا، وقالوا: لن نؤمن لك، ولن نرسل معك بني إسرائيل. فأرسل الله عليهم الضفادع، فامتلات منها البيوت، فلم يبق لهم طعام ولا شراب إلا وفيه الضفادع، فلقوا منها شيئا لم يلقوه فيما مضى، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننَّ لك، ولنرسلنَّ معك بني إسرائيل قال: فكشف الله عنهم فلم يفعلوا، فأنزل الله: **فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْعُوءِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ...** إلى: وكأثوا عنها غافلين.

11738- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا أبو تميلة، قال: حدثنا الحسن بن واقد، عن زيد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كانت الضفادع برية، فلما أرسلها الله على آل فرعون سمعت وأطاعت، فجعلت تغرق أنفسها في القدور وهي تغلي، وفي التناير وهي تفور، فأثابها الله بحسن طاعتها برد الماء.

11739- قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: فرجع عدو الله، يعني فرعون، حين آمنت السحرة مغلوبا مغلولاً، ثم أبى إلا الإقامة على الكفر والتمادي في الشر، فتابع الله عليه بالآيات، وأخذه بالسنين، فأرسل عليه الطوفان، ثم الجراد، ثم القمل، ثم الضفادع، ثم الدم آيات مُقَصَّلَاتٍ، فأرسل الطوفان، وهو الماء، ففاض على وجه الأرض، ثم ركد، لا يقدر على أن يحرثوا، ولا يعملوا شيئا، حتى جهدوا جوعا فلما بلغهم ذلك، قالوا: يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننَّ لك،

ولنرسلنّ معك بني إسرائيل فدعا موسى ربه، فكشفه عنهم، فلم يفوا له بشيء مما قالوا. فأرسل الله عليهم الجراد، فأكل الشجر فيما بلغني، حتى إن كان ليؤكل مسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم، فقالوا مثل ما قالوا، فدعا ربه، فكشفه عنهم، فلم يفوا له بشيء مما قالوا. فأرسل الله عليهم القمل، فذكر لي أن موسى أمر أن يمشي إلى كتيب حتى يضربه بعصاه، فمضى إلى كتيب أهيل عظيم، فضربه بها، فانتال عليهم قملاً حتى غلب على البيوت والأطعمة، ومنعهم النوم والقرار فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشفه عنهم، فلم يفوا له بشيء مما قالوا. فأرسل الله عليهم الضفادع، فملأت البيوت والأطعمة والأنية، فلا يكشف أحد ثوبا ولا طعاما ولا إناءً إلا وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه. فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشفه عنهم، فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم الدم، فصارت مياه آل فرعون دما، لا يستقون من بئر ولا نهر، ولا يغترفون من إناء إلا عاد دما عبيطا.

11740- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي، أنه حدث: أن المرأة من آل فرعون كانت تأتي المرأة من بني إسرائيل حين جهدهم العطش، فتقول: اسقيني من مائك فتغرف لها من جرتها، أو تصب لها من قربتها، فيعود في الإناء دما، حتى إن كانت لتقول لها: اجعليه في فيك ثم مجّه في في فتأخذ في فيها ماء، فإذا مجّته في فيها صار دما، فمكثوا في ذلك سبعة أيام.

11741- حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: الجراد يأكل زروعهم ونباتهم، والضفادع تسقط على فرشهم وأطعمتهم، والدم يكون في بيوتهم وثيابهم ومائهم وطعامهم.

11742- قال: ثنا شبل، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: لما سال النيل دما، فكان الإسرائيلي يستقي ماء طيبا، ويستقي الفرعوني دما ويشتركان في إناء واحد، فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء طيبا وما يلي الفرعوني دما.

11743- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي بكر، قال: ثني سعيد بن جبير: أن موسى لما عالج فرعون بالآيات الأربع: العصا، واليد، ونقص من الثمرات، والسنين، قال: يا رب إن عبدك هذا قد علا في الأرض، وعتا في الأرض، وبغى عليّ، وعلا عليك، وعالي بقومه، ربّ خذ عبدك بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة، وتجعلها لقومي عظة ولمن بعدي آية في الأمم الباقية فبعث الله عليهم الطوفان، وهو الماء، وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة بعضها في بعض، فامتلات بيوت القبط ماء، حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم، من حبس منهم غرق، ولم يدخل في بيوت بني إسرائيل قطرة، فجعلت القبط تنادي: موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك، لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك، ولنرسلنّ معك بني إسرائيل قال: فوائقوا موسى ميثاقا أخذ عليهم به عهدهم، وكان الماء أخذهم يوم السبت، فأقام عليهم سبعة أيام إلى السبت الآخر، فدعا موسى ربه، فرفع عنهم الماء، فأعشبت

بلادهم من ذلك الماء، فأقاموا شهرا في عافية، ثم جحدوا وقالوا: ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا وخصبا لبلادنا، ما نحبُّ أنه لم يكن قال: وقد قال قائل لابن عباس: إني سألت ابن عمر عن الطوفان، فقال: ما أدري موتا كان أو ماء. فقال ابن عباس: أما يقرأ ابن عمر سورة العنكبوت حين ذكر الله قوم نوح فقال: فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ أَرَأَيْتَ لَوْ مَاتُوا إِلَىٰ مِنْ جَاءَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْآيَاتِ الْأَرْبَعِ بَعْدَ الطُّوفَانِ؟ قَالَ: فَقَالَ مُوسَىٰ: يَا رَبِّ إِنْ عِبَادِكَ قَدْ نَقَضُوا عَهْدَكَ، وَأَخْلَفُوا وَعْدِي، رَبِّ خُذْهُمْ بِعَقُوبَةٍ تَجْعَلُهَا لَهُمْ نِقْمَةً، وَلِقَوْمِي عِظَةً، وَلِمَنْ بَعْدَهُمْ آيَةً فِي الْأُمَمِ الْبَاقِيَةِ قَالَ: فَبِعِثَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَرَادَ فَلَمْ يَدَعْ لَهُمْ وَرْقَةً وَلَا شَجْرَةً وَلَا زَهْرَةً وَلَا ثَمْرَةً إِلَّا أَكَلَهَا، حَتَّىٰ لَمْ يُبْقِ جَنَىٰ. حَتَّىٰ إِذَا أَفْنَى الْخَضِرَ كُلَّهَا أَكَلَ الْخَشَبَ، حَتَّىٰ أَكَلَ الْأَبْوَابَ، وَسَقُوفَ الْبُيُوتِ وَابْتَلَى الْجَرَادُ بِالْجُوعِ، فَجَعَلَ لَا يَشْبَعُ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ بُيُوتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَعَجُوا وَصَاحُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَقَالُوا: يَا مُوسَىٰ هَذِهِ الْمَرَّةُ ادْعَ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِئَن كُشِفَتْ عَنَا الرِّجْزُ، لِنُؤْمِنَنَّ لَكَ، وَلِنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَعْطَاهُ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ، فَدَعَا لَهُمْ رَبَّهُ، فَكَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْجَرَادَ بَعْدَ مَا أَقَامَ عَلَيْهِمْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، مِنَ السَّبْتِ إِلَى السَّبْتِ. ثُمَّ أَقَامُوا شَهْرًا فِي عَافِيَةٍ، ثُمَّ عَادُوا لِتَكْذِيبِهِمْ وَإِنْكَارِهِمْ، وَلَا أَعْمَالِهِمْ أَعْمَالَ السَّوِّءِ، قَالَ: فَقَالَ مُوسَىٰ: يَا رَبِّ عِبَادِكَ قَدْ نَقَضُوا عَهْدِي وَأَخْلَفُوا مَوْعِدِي، فَخُذْهُمْ بِعَقُوبَةٍ تَجْعَلُهَا لَهُمْ نِقْمَةً، وَلِقَوْمِي عِظَةً، وَلِمَنْ بَعْدِي آيَةً فِي الْأُمَمِ الْبَاقِيَةِ فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقُمَّلَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جَبْرِ وَالْحَسَنَ يَقُولَانِ: كَانَ إِلَىٰ جَنْبِهِمْ كَثِيبٌ أَعْفَرٌ بِقَرِيَّةٍ مِنْ قُرَى مِصْرَ تَدْعَى عَيْنَ شَمْسٍ، فَمَشَى مُوسَىٰ إِلَىٰ ذَلِكَ الْكَثِيبِ، فَضْرَبَهُ بِعَصَاهُ ضَرْبَةً صَارَ قَمَلًا تَدْبُ إِلَيْهِمْ، وَهِيَ دَوَابٌّ سَوْدٌ صَغَارٌ، فَدَبَّ إِلَيْهِمُ الْقُمَّلُ، فَأَخَذَ أَشْعَارَهُمْ وَأَبْشَارَهُمْ وَأَشْفَارَ عَيُونِهِمْ وَحَوَاجِبِهِمْ، وَلَزِمَ جُلُودَهُمْ، كَأَنَّهُ الْجَدْرِيُّ عَلَيْهِمْ، فَصَرَخُوا وَصَاحُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ: إِنَّا نَتُوبُ وَلَا نَعُودُ، فَادْعَ لَنَا رَبَّكَ فَدَعَا رَبَّهُ فَرَفَعَ عَنْهُمْ الْقُمَّلَ بَعْدَ مَا أَقَامَ عَلَيْهِمْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ مِنَ السَّبْتِ إِلَى السَّبْتِ، فَأَقَامُوا شَهْرًا فِي عَافِيَةٍ، ثُمَّ عَادُوا وَقَالُوا: مَا كُنَّا قَطُّ أَحَقَّ أَنْ نَسْتَيْقِنَ أَنَّهُ سَاحِرٌ مِنَّا الْيَوْمَ، جَعَلَ الرَّمْلَ دَوَابًّا، وَعِزَّةَ فِرْعَوْنَ لَا نَصَدِّقُهُ أَبَدًا وَلَا نَتَّبِعُهُ فَعَادُوا لِتَكْذِيبِهِمْ وَإِنْكَارِهِمْ، فَدَعَا مُوسَىٰ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنْ عِبَادِكَ نَقَضُوا عَهْدِي، وَأَخْلَفُوا وَعْدِي، فَخُذْهُمْ بِعَقُوبَةٍ تَجْعَلُهَا لَهُمْ نِقْمَةً، وَلِقَوْمِي عِظَةً، وَلِمَنْ بَعْدِي آيَةً فِي الْأُمَمِ الْبَاقِيَةِ فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الضَّفَادِعَ، فَكَانَ أَحَدُهُمْ يَضْطَجِعُ، فَتَرْكِبُهُ الضَّفَادِعُ، فَتَكُونُ عَلَيْهِ رَكَامًا، حَتَّىٰ مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْصَرِفَ إِلَى الشَّقِّ الْآخِرِ، وَيَفْتَحُ فَاهُ لِأَكْلَتِهِ، فَيَسْبِقُ الضَّفَدَعُ أَكْلَتَهُ إِلَىٰ فِيهِ، وَلَا يَعْجَنُ عَجِينًا إِلَّا تَسَدَّخَتْ فِيهِ، وَلَا يَطْبِخُ قَدْرًا إِلَّا ائْتَلَتْ ضَفَادِعًا. فَعَذَّبُوا بِهَا أَشَدَّ الْعَذَابِ، فَشَكُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَالُوا: هَذِهِ الْمَرَّةُ نَتُوبُ وَلَا نَعُودُ. فَأَخَذَ عَهْدَهُمْ وَمِيثَاقَهُمْ، ثُمَّ دَعَا رَبَّهُ، فَكَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ الضَّفَادِعَ بَعْدَ مَا أَقَامَ عَلَيْهِمْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ مِنَ السَّبْتِ إِلَى السَّبْتِ، فَأَقَامُوا شَهْرًا فِي عَافِيَةٍ ثُمَّ عَادُوا لِتَكْذِيبِهِمْ وَإِنْكَارِهِمْ، وَقَالُوا: قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ سِحْرُهُ، وَيَجْعَلُ التُّرَابَ دَوَابًّا، وَيَجِيءُ بِالضَّفَادِعِ فِي غَيْرِ مَاءٍ فَأَذَا مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ مُوسَىٰ: يَا رَبِّ إِنْ عِبَادِكَ نَقَضُوا عَهْدِي، وَأَخْلَفُوا وَعْدِي، فَخُذْهُمْ بِعَقُوبَةٍ تَجْعَلُهَا لَهُمْ عِقَابًا، وَلِقَوْمِي عِظَةً، وَلِمَنْ بَعْدِي آيَةً فِي الْأُمَمِ الْبَاقِيَةِ فَابْتَلَاهُمُ اللَّهُ بِالْأَدَمِ، فَافْسَدَ عَلَيْهِمْ مَعَايِشَهُمْ، فَكَانَ

الإسرائيلي والقبطي يأتیان النيل فيستقيان, فيخرج للإسرائيلي ماء, ويخرج للقبطي دما, ويقومان إلى الحُبِّ فيه الماء, فيخرج للإسرائيلي في إنائه ماء, وللقبطي دما.

11744- حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا ابن سعد, قال: سمعت مجاهدا, في قوله: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ قَالَ: الموت والجراد. قال: الجراد يأكل أمتعتهم وثيابهم ومسامير أبوابهم, والقُمَّل هو الدبى, سلطه الله عليهم بعد الجراد. قال: والضفادع تسقط في أطعمتهم التي في بيوتهم وفي أشربتهم.

وقال بعضهم: الدم الذي أرسله الله عليهم كان رُعافا. ذكر من قال ذلك. 11745- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا أحمد بن خالد, قال: حدثنا يحيى بن أبي بكير, قال: حدثنا زهير, قال: قال زيد بن أسلم: أما القُمَّل فالقُمَّل وأما الدم: فسلط عليهم الرعاف.

وأما قوله: آيَاتٍ مُّقْصَلَاتٍ فَإِنْ مَعْنَاهُ: علامات ودلالات على صحة نبوة موسى, وحقية ما دعاهم إليه مفصلات, قد فُصِّلَ بينها, فجعل بعضها يتلو بعضها, وبعضها في إثر بعض.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك. 11746- حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن علي بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قال: فكانت آيات مفصلات بعضها في إثر بعض, ليكون لله الحجة عليهم, فأخذهم الله بذنوبهم فأغرقهم في اليم.

11747- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريح, قوله: آيَاتٍ مُّقْصَلَاتٍ قَالَ: يتبع بعضها بعضا ليكون لله الحجة عليهم, فينتقم منهم بعد ذلك. وكانت الآية تمكث فيهم من السبت إلى السبت, وترتفع عنه شهرا, قال الله عز وجل: فَاتَّقَمْنَا مِنْهُمُ فَأَعْرَفْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ... الآية.

11748- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: قال ابن إسحاق: آيَاتٍ مُّقْصَلَاتٍ: أي آية بعد آية يتبع بعضها بعضا.

وكان مجاهد يقول فيما ذكر عنه في معنى المفصلات, ما:

11749- حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, قال: سمعت مجاهدا يقول في «آيات مفصلات», قال: معلومات.

القول في تأويل قوله تعالى: فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ. يقول تعالى ذكره: فاستكبر هؤلاء الذين أرسل الله عليهم ما ذكر في هذه الآيات من الآيات والحجج عن الإيمان بالله, وتصديق رسوله موسى صلى الله عليه وسلم, واتباعه على ما دعاهم إليه, وتعظموا على الله وعتوا عليه وكانوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ يقول: كانوا قوما يعملون بما يكرهه الله من المعاصي والفسق عتوا وتمردا.

الآية : 134

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسِيٰ اٰدُعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} ..

يقول تعالى ذكره: ولما وقع عليهم الرجز, ولما نزل بهم عذاب الله, وحلَّ بهم سخطه.

ثم اختلف أهل التأويل في ذلك الرجز الذي أخبر الله أنه وقع بهؤلاء القوم، فقال بعضهم: كان ذلك طاعونا. ذكر من قال ذلك.

11750- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر بن المغيرة، عن سعيد بن جبير، قال: وأمر موسى قومه من بني إسرائيل، وذلك بعد ما جاء قوم فرعون بالآيات الخمس الطوفان، وما ذكر الله في هذه الآية، فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل، فقال: ليذبح كل رجل منكم كبشا، ثم ليخضب كفه في دمه، ثم ليضرب به على بابه، فقالت القبط لبني إسرائيل: لم تجعلون هذا الدم على أبوابكم؟ فقالوا: إن الله يرسل عليكم عذابا فنسلم وتهلكون، فقالت القبط: فما يعرفكم الله إلا بهذه العلامات؟ فقالوا: هكذا أمرنا به نبينا. فأصبحوا وقد طعن من قوم فرعون سبعون ألفا، فأمسوا وهم لا يتدافعون، فقال فرعون عند ذلك: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيُنْزِلَ عَلَيْنَا الرِّجْزَ وَهُوَ الطَّاعُونُ، لِنُؤْمِنَ لَكَ وَلِنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِدْعَا رَبِّهِ فَكَشَفَهُ عَنْهُمْ، فكان أوفاهم كلهم فرعون، فقال لموسى: اذهب ببني إسرائيل حيث شئت

11751- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا حبيب المرادي، وأبو داود الحفري، عن يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جبير قال حبوته: عن ابن عباس: لِيُنْزِلَ عَلَيْنَا الرِّجْزَ قَالَ: الطَّاعُونُ.

وقال آخرون: هو العذاب. ذكر من قال ذلك.

11752- حدثني محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: الرجز العذاب. حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

11753- حدثني بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ أَي العذاب.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، قال: حدثنا معمر، عن قتادة: وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ يَقُولُ: العذاب.

11754- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالَ: الرجز: العذاب الذي سلطه الله عليهم من الجراد والقمل وغير ذلك، وكل ذلك يعاهدونه ثم ينكثون.

وقد بينا معنى الرجز فيما مضى من كتابنا هذا بشواهد المغنية عن إعادتها.

وأولى القولين بالصواب في هذا الموضوع أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن فرعون وقومه أنهم لما وقع عليهم الرجز، وهو العذاب والسخط من الله عليهم، فزعوا إلى موسى بمسألته ربه كشف ذلك عنهم وجائز أن يكون ذلك الرجز كان الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، لأن كل ذلك كان عذابا عليهم، وجائز أن يكون ذلك الرجز كان طاعونا. ولم يخبرنا الله أي ذلك كان، ولا صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي ذلك كان خبر فنسلم له.

فالصواب أن نقول فيه كما قال جل ثناؤه: وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ وَلَا تَتَعَدَّاهُ إِلَّا بِالْبَيَانِ الَّذِي لَا تَمَانِعُ فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ، وهو لما حل بهم عذاب الله وسخطه، قالوا يا موسى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ يَقُولُ: بِمَا أَوْصَاكَ وَأَمْرُكَ بِهِ، وقد بينا معنى العهد فيما مضى لِيُنْزِلَ عَلَيْنَا الرِّجْزَ

يقول: لئن رفعت عنا العذاب الذي نحن فيه، لَتُؤْمِنَنَّ لَكَ يقول: لنصدقنَّ بما جئت به ودعوت إليه ولنقرنَّ به لك، وَلَتُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يقول: ولنخلينَّ معك بني إسرائيل فلا نمنعهم أن يذهبوا حيث شاءوا.

الآية : 135

القول في تأويل قوله تعالى: { فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجَرَ إِلَىٰ أَجَلٍ لَهُم بِالْعُوقُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ } ..

يقول تعالى ذكره: فدعا موسى ربه، فأجابه، فلما رفع الله عنهم العذاب الذي أنزله بهم إلى أجل لهم بالْعُوقُ ليستوفوا عذاب أيامهم التي جعلها الله لهم من الحياة أجلاً إلى وقت هلاكهم، إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ يقول: إذا هم ينقضون عهودهم التي عاهدوا ربهم وموسى، ويقيمون على كفرهم وضلالهم.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

11755- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى: إلى أجل لهم بالْعُوقُ قال: عدد مسمى لهم من أيامهم.

حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، نحوه.

11756- حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: قَلَمًا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجَرَ إِلَىٰ أَجَلٍ لَهُم بِالْعُوقُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ قال: ما أعطوا من العهود، وهو حين يقول الله: وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بالسِّنِينَ وهو الجوع، وَنَقَصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ.

الآية : 136

القول في تأويل قوله تعالى: { فَأَتَتْقُمْنا مِنْهُم فَاغْرَقْنَاهُمْ فِي اليمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ } ..

يقول تعالى ذكره: فلما نكثوا عهودهم، انتقمنا منهم، يقول: انتصرنا منهم بإحلال نعمتنا بهم وذلك عذابه فأغرقناهم في اليمِّ، وهو البحر، كما قال ذو الرمة:

داوِيةٌ وَدُجَى لَيْلٍ كَأَنَّهُمَا يَمُّ تَرَاطُنُ فِي حَافَاتِهِ الرُّومُ
وَمَا قَالَ الرَّاجِزُ:

(كَبَايِخِ اليمِّ سَبَقَهُ اليمِّ)

بأنهم كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يقول: فعلنا ذلك بهم، بتكذيبهم بحججنا وأعلامنا التي أريناهموها. وكانوا عَنْهَا غَافِلِينَ يقول: وكانوا عن النعمة التي أحلناها بهم غافلين قبل حلولها بهم أنها بهم حالة. والهاء والألف في قوله: «عَنْهَا» كناية من ذكر النعمة، فلو قال قائل: هي كناية من ذكر الآيات، ووجه تأويل الكلام إلى: وكانوا عنها معرضين فجعل إعراضهم عنها غفولاً منهم إذ لم يقبلوها، كان مذهباً يقال من الغفلة، عَقَلَ الرجل عن كذا يَعْفُل عنه عَفْلةً وَعُفُولاً وَعَفْلاً.

الآية : 137

القول في تأويل قوله تعالى: { وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي

إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ

يقول تعالى ذكره: وأورثنا القوم الذين كان فرعون وقومه يستضعفونهم، فيذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، ويستخدمونهم تسخيروا واستعبادا من بني إسرائيل، مشارق الأرض الشام، وذلك ما يلي الشرق منها، ومغاربها التي باركنا فيها، يقول: التي جعلنا فيها الخير ثابتا دائما لأهلها. وإنما قال جل ثناؤه: وأورثنا لأنه أورث ذلك بني إسرائيل، بمهلك من كان فيها من العمالقة.

وبمثل الذي قلنا في قوله: مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذكر من قال ذلك.

11757- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا يحيى بن يمان، عن إسرائيل، عن فُرَاتِ الْقَزَازِ، عَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ: وَأُورَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قَالَ: الشَّامُ.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا إسرائيل، عن فُرَاتِ الْقَزَازِ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ. حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا قبيصة، عن سفيان، عن فُرَاتِ الْقَزَازِ، عَنِ الْحَسَنِ: الْأَرْضُ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا، قَالَ: الشَّامُ.

11758- حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَأُورَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا هِيَ أَرْضُ الشَّامِ.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله: مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قَالَ: الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا: الشَّامُ.

وكان بعض أهل العربية يزعم أن مشارق الأرض ومغاربها نصب على المحل، يعني: وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها، وأن قوله: وَأُورَثْنَا إِنَّمَا وَقَعَ عَلَى قَوْلِهِ: الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَذَلِكَ قَوْلٌ لَا مَعْنَى لَهُ، لِأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكُنْ يُسْتَضْعَفُهُمْ أَيَّامَ فِرْعَوْنَ غَيْرَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سُلْطَانٌ إِلَّا بِمِصْرَ، فَغَيْرُ جَائِزٍ وَالْأَمْرُ كَذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: الَّذِينَ يُسْتَضْعَفُونَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا.

فإن قال قائل: فإن معناه: في مشارق أرض مصر ومغاربها فإن ذلك بعيد من المفهوم في الخطاب: مع خروجه عن أقوال أهل التأويل والعلماء بالتفسير.

وأما قوله: وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى فَإِنَّهُ يَقُولُ: وَفِي وَعْدِ اللَّهِ الَّذِي وَعَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِتَمَامِهِ، عَلَى مَا وَعَدَهُمْ مِنْ تَمَكِينِهِمْ فِي الْأَرْضِ، وَنَصْرِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ فِرْعَوْنَ. وَكَلِمَتُهُ الْحُسْنَى قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَتُرِيدُ أَنْ تَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَتَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

11759- حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ

الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ: ظهور قوم موسى على فرعون. و
«تمكين الله لهم في الأرض»: وما ورثهم منها.
حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي
نجيح، عن مجاهد بنحوه.

وأما قوله: وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ فَإِنَّهُ يَقُولُ: وأهلكنا ما كان
فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع. وما كانوا يَعْرِشُونَ يقول:
وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور، وأخرجناهم من ذلك كله، وخربنا جميع
ذلك. وقد بيّنا معنى التعريش فيما مضى بشواهد.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.
11760- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني
معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: وَمَا كَانُوا
يَعْرِشُونَ يقول: يبنون.

11761- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن
ابن أبي نجيح، عن مجاهد: يَعْرِشُونَ يبنون البيوت والمساکن ما بلغت،
وكان عندهم غير معروش.

حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي
نجيح، عن مجاهد، مثله.

واختلفت القراءة في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق
يَعْرِشُونَ بكسر الراء، سوى عاصم بن أبي النجود، فإنه قرأه بضمها. وهما
لغتان مشهورتان في العرب، يقال: عَرَشَ يَعْرِشُ وَيَعْرِشُ، فإذا كان ذلك
كذلك، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لاتفاق معنى ذلك، وأنها معروفان
من كلام العرب، وكذلك تفعل العرب في فعل إذا ردته إلى الاستقبال،
تضم العين منه أحيانا، وتكسره أحيانا. غير أن أحب القراءتين إليّ كسر
الراء لشهرتها في العامة وكثرة القراءة بها وأنها أصح اللغتين.

الآية : 138

القول في تأويل قوله تعالى: { وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى
قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ } ..

يقول تعالى ذكره: وقطعنا ببني إسرائيل البحر بعد الآيات التي
أرناهموها والعبير التي عاينوها على يدي نبيّ الله موسى، فلم تزرهم
تلك الآيات ولم تعظم تلك العبر والبيّنات حتى قالوا مع معانيتهم من
الحجج ما يحق أن يذكر معها البهائم، إذ مروا على قوم يعكفون على
أصنام لهم، يقومون على مثل لهم يعبدونها من دون الله، اجعل لنا يا
موسى إلها، يقول: مثالا نعبده وصنما نتخذه إلها، كما لهؤلاء القوم أصنام
يعبدونها، ولا تنبغي العبادة لشيء سوى الله الواحد القهار. وقال موسى
صلوات الله عليه: إنكم أيها القوم قوم تجهلون عظمة الله وواجب حقه
عليكم، ولا تعلمون أنه لا تجوز العبادة لشيء سوى الله الذي له ملك
السموات والأرض.

وذكر عن ابن جريج في ذلك ما:

11762- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج: وَجَاوَزْنَا
بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالَ ابْنُ
جَرِيحٍ: عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ، قَالَ: تماثيل بقر، فلما كان عجل السامريّ شبه

لهم أنه من تلك البقر، فذلك كان أول شأن العجل قالوا يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم إلهة قال إني لكم قوم تجهلون.

وقيل: إن القوم الذين كانوا عكوفًا على أصنام لهم، الذين ذكرهم الله في هذه الآية، قوم كانوا من لحم. ذكر من قال ذلك.

11763- حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا بشر بن عمرو، قال: حدثنا العباس بن المفضل، عن أبي العوام، عن قتادة: قَاتُوا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالَ: عَلَى لَحْمٍ، وَقِيلَ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْكِنَعَانِيِّينَ الَّذِينَ أَمَرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَتَالِهِمْ.

11764- وقد حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري أن أبا واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين، فمررنا بسدرة، قلت: يا نبي الله اجعل لنا هذه ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط وكان الكفار ينوطون بسلاحهم بسدرة يعكفون حولها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُ أَكْبَرُ هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، إِنَّكُمْ سَتَرَكِبُونَ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ».

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن سنان ابن أبي سنان، عن واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا نبي الله اجعل لنا هذه ذات أنواط، فذكر نحوه.

حدثني المثنى، قال: حدثنا الحجاج، قال: حدثنا حماد، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن سنان ابن أبي سنان، عن أبي واقد الليثي، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، نحوه.

حدثنا ابن صالح، قال: ثني الليث، قال: ثني عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني سنان بن أبي سنان الديلي، عن أبي واقد الليثي: أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين، قال: وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط قال: فمررنا بسدرة خضراء عظيمة، قال: فقلنا يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط قال: «فُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا قَالَ قَوْمٌ مُوسَى: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، قَالَ إني لكم قوم تجهلون أتت السنن لتركبن سنن من كان قبلكم».

الآية : 139

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبِاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ..

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل موسى لقومه من بني إسرائيل، يقول تعالى ذكره قال لهم موسى: إن هؤلاء العكوف على هذه الأصنام، الله مهلك ما هم فيه من العمل ومفسده، ومخسرهم فيه بإثابته إياهم عليه العذاب المهين، وباطل ما كانوا يعملون من عبادتهم إياها فمضمحل لأنه غير نافع عند مجيء أمر الله وحلوله بساحتهم، ولا مدافع عنهم بأس الله إذا نزل بهم، ولا منقذهم من عذابه إذا عذبهم في القيامة، فهو في معنى ما لم يكن.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

11765- حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, وحدثني موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو بن حماد, قال جميعا: حدثنا أسباط, عن السدي: **إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرُّ مَا هُمْ فِيهِ يَقُولُ: مهلك ما هم فيه.**

11766- حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن علي بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: **إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرُّ مَا هُمْ فِيهِ يَقُولُ: خسران.**

11767- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: **إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرُّ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** قال: هذا كله واحد, كهيئة «غفور رحيم», «عفو غفور». قال: والعرب تقول: إنه البائس المتبر, وإنه البائس المخسر.

الآية : 140

القول في تأويل قوله تعالى: **{ قَالَ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ }** ..

يقول تعالى ذكره: قال موسى لقومه: أسوى الله ألتمسكم إلهًا وأجعل لكم معبودا تعبدونه, والله الذي هو خالقكم, فضلكم على عالمي دهركم وزمانكم يقول: أفأبغىكم معبودا لا ينفعكم ولا يضركم تعبدونه وتتركون عبادة من فضلكم على الخلق؟ إن هذا منكم لجهل.

الآية : 141

القول في تأويل قوله تعالى: **{ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُوكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي دَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ }** ..

يقول تعالى ذكره لليهود من بني إسرائيل الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم: واذكروا مع قيلكم هذا الذي قلموه لموسى بعد رؤيتكم من الآيات والعبور, وبعد النعم التي سلفت مني إليكم, والأيدي التي تقدمت فعلكم ما فعلتم. **إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ** وهم الذين كانوا على منهاجه وطريقته في الكفر بالله من قومه. **يَسُومُوكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ** يقول: إذ يحملونكم أقبح العذاب وسيئه. وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا ما كان العذاب الذي كان يسومهم سيئه. **يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ** الذكور من أولادهم, **وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ** يقول: يستبقون إناثهم. **وَفِي دَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ** يقول: وفي سومهم إياكم سوء العذاب, اختبار من الله لكم وتعمد عظيم.

الآية : 142

القول في تأويل قوله تعالى: **{ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأْتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمِّ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ }** ..

يقول تعالى ذكره: وواعدنا موسى لمناجاتنا ثلاثين ليلة وقيل: إنها ثلاثون ليلة من ذي القعدة. وأتممناها بعشر يقول: وأتممنا الثلاثين الليلة بعشر ليال تتمة أربعين ليلة. وقيل: إن العشر التي أتمها به أربعين, عشر ذي الحجة. ذكر من قال ذلك.

11768- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن ليث, عن مجاهد: وَوَأَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَالَ: ذُو الْقَعْدَةِ وَعَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ.

قال: ثنا جرير, عن ليث, عن مجاهد: وَوَأَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَالَ: ذُو الْقَعْدَةِ وَعَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ, فِي ذَلِكَ اخْتَلَفُوا. حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجیح, عن مجاهد: وَوَأَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً هُوَ ذُو الْقَعْدَةِ وَعَشْرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ, فَذَلِكَ قَوْلُهُ: فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً.

11769- حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, عن أبيه, قال: زعم حضرمي أن الثلاثين التي كان واعد موسى ربه كانت ذا القعدة والعشر من ذي الحجة التي تمم الله بها الأربعين.

11770- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: وَوَأَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً قَالَ: ذُو الْقَعْدَةِ. وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَالَ: عَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ, مِثْلُهُ.

حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, قال: سمعت مجاهدا يقول في قوله: وَوَأَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَالَ: ذُو الْقَعْدَةِ, وَالْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ.

11771- قال: ثنا عبد العزيز, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن مسروق: وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَالَ: عَشْرَ الْأَضْحَى. وَأَمَّا قَوْلُهُ: فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَإِنَّهُ يَعْنِي: فَكَمَلَ الْوَقْتُ الَّذِي واعد الله موسى أربعين ليلة وبلغها. كما:

11772- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ قَالَ: فَبَلَغَ مِيقَاتَ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً. الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ.

يقول تعالى ذكره: لما مضى لموعد ربه, قال لأخيه هارون: أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي يَقُولُ: كُنْ خَلِيفَتِي فِيهِمْ إِلَى أَنْ أَرْجِعَ, يُقَالُ مِنْهُ: خَلَفَهُ يَخْلُفُهُ خَلْفًا. وَأَصْلِحْ يَقُولُ: وَأَصْلِحْهُمْ بِحَمْلِكَ إِيَّاهُمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ. كما:

11773- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال موسى لأخيه هارون: أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَكَانَ مِنْ إِصْلَاحِهِ أَنْ لَا يَدْعَ الْعَجْلَ يُعْبَدُ.

وقوله: وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ يَقُولُ: وَلَا تَسْلُكْ طَرِيقَ الَّذِينَ يَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ بِمَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ, وَمَعُونَتِهِمْ أَهْلَ الْمَعَاصِي عَلَى عَصِيَانَتِهِمْ رَبَّهُمْ, وَلَكِنْ اسْلُكْ سَبِيلَ الْمَطِيعِينَ رَبَّهُمْ. فَكَانَتْ مَوَاعِدَةُ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ أَنْ أَهْلَكَ فِرْعَوْنَ وَنَجَّى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيمَا قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ, كَمَا:

11774- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: وَوَأَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً... الْآيَةُ, قَالَ: يَقُولُ: إِنْ ذَلِكَ بَعْدَ مَا فَرَّغَ مِنْ فِرْعَوْنَ, وَقَبْلَ الطُّورِ لَمَّا نَجَّى اللَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْبَحْرِ وَغَرَّقَ آلَ فِرْعَوْنَ وَخَلَصَ إِلَى الْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ, أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهَا

المن والسلوى وأمره ربه أن يلقاه، فلما أراد لقاء ربه استخلف هارون على قومه، وواعدهم أن يأتيهم إلى ثلاثين ليلة ميعادا من قبله من غير أمر ربه ولا ميعاده فتوجه ليلقى ربه، فلما تمت ثلاثون ليلة، قال عدو الله السامري: ليس يأتيكم موسى، وما يصلحكم إلا إله تعبدونه فناشدهم هارون وقال: لا تفعلوا انظروا ليلتكم هذه ويومكم هذا، فإن جاء وإلا فعلتم ما بدا لكم فقالوا: نعم. فلما أصبحوا من غد ولم يروا موسى عاد السامري لمثل قوله بالأمس، قال: وأحدث الله الأجل بعد الأجل الذي جعله بينهم عشرا، فتم ميعات ربه أربعين ليلة، فعاد هارون فناشدهم، إلا ما نظروا يومهم ذلك أيضا، فإن جاء وإلا فعلتم ما بدا لكم. ثم عاد السامري الثالثة لمثل قوله لهم، وعاد هارون فناشدهم أن ينتظروا. فلما لم

يروه....

11775- قال القاسم: قال الحسن: حدثني حجاج، قال: ثني أبو بكر بن عبد الله الهذلي، قال: قام السامري إلى هارون حين انطلق موسى، فقال: يا نبي الله إنا استعزنا يوم خرجنا من القبط حلياً كثيراً من زينتهم، وإن الذين معك قد أسرعوا في الحلبي يبيعونه وينفقونه، وإنما كان عارية من آل فرعون فليسوا بأحياء فبردها عليهم، ولا ندري لعل أخاك نبي الله موسى إذا جاء يكون له فيها رأي، إما يقربها قربانا فتاكلها النار، وإما يجعلها للفقراء دون الأغنياء. فقال له هارون: نعم ما رأيت وما قلت فأمر مناديا فنادي: من كان عنده شيء من حلبي آل فرعون فليأتنا به فأتوه به، فقال هارون: يا سامري أنت أحق من كانت عنده هذه الخزانة. فقبضها السامري، وكان عدو الله الخبيث صائغا، فصاغ منه عجلاً جسداً، ثم قذف في جوفه تربة من القبضة التي قبض من أثر فرس جبريل عليه السلام إذ رآه في البحر، فجعل يخور، ولم يخرب إلا مرة واحدة، وقال لنبى إسرائيل: إنما تخلف موسى بعد الثلاثين ليلة يلتمس هذا هذا إلهكم وإله موسى فتسبي يقول: إن موسى عليه السلام نسي ربه.

الآية: 143

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَاتُهُ فَسَوِّفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ }..

يقول تعالى ذكره: ولما جاء موسى للوقت الذي وعدنا أن يلقانا فيه، وكلمه ربه ونجاه، قال موسى لربه: أرني أنظر إليك قال الله له مجيباً: لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ.

وكان سبب مسألة موسى ربه النظر إليه، ما:

11776- حدثني به موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، قال: إن موسى عليه السلام لما كلمه ربه أحب أن ينظر إليه، قال رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَاتُهُ فَسَوِّفَ تَرَانِي. فحف حول الجبل، وحف حول الملائكة بنار، ثم تجلى ربه للجبل.

11777- حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، في قوله: وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا قَالَ: ثني من لقي

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرّبه الربّ حتى سمع صريف القلم، فقال عند ذلك من الشوق إليه: رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ.

11778- حدثنا القاسم، قال: ثني الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي بكر الهذلي، قال: لما تخلف موسى عليه السلام بعد الثلاثين، حتى سمع كلام الله اشتاق إلى النظر إليه، فقال: رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وليس لبشر أن يطبق أن ينظر إليّ في الدنيا، من نظر إليّ مات. قال: إلهي سمعت منطلقك واشتقت إلى النظر إليك، ولأن أنظر إليك ثم أموت أحب إليّ من أن أعيش ولا أراك قال: فانظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه فسوف تراني.

11779- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ: أعطني.

11780- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: استخلف موسى هارون على بني إسرائيل، وقال: إني متعجل إلى ربي، فاخلفني في قومي، ولا تتبع سبيل المفسدين فخرج موسى إلى ربه متعجلاً للقيّه شوقاً إليه، وأقام هارون في بني إسرائيل، ومعه السامريّ يسير بهم على أثر موسى ليحققهم به. فلما كلم الله موسى، طمع في رؤيته، فسأل ربه أن ينظر إليه، فقال الله لموسى: إِنَّكَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَاتُهُ فَسَوْفَ تَرَانِي... الآية: قال ابن إسحاق: فهذا ما وصل إلينا في كتاب الله عن خبر موسى لما طلب النظر إلى ربه. وأهل الكتاب يزعمون وأهل التوراة، أن قد كان لذلك تفسير وقصة وأمور كثيرة ومراجعة لم تأت في كتاب الله، والله أعلم. قال ابن إسحاق عن بعض أهل العلم الأوّل بأحاديث أهل الكتاب: إنهم يجدون في تفسير ما عندهم من خبر موسى حين طلب ذلك إلى ربه أنه كان من كلامه إياه حين طمع في رؤيته، وطلب ذلك منه، وردّ عليه ربه منه ما ردّ، أن موسى كان تطهّر وطهّر ثيابه وصام للقاء ربه فلما أتى طور سيناء، ودنا الله له في الغمام فكلّمه، سبحه وحمده وكبره وقدّسه، مع تضرّع وبكاء حزين، ثم أخذ في مدحته، فقال: رَبِّ مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ شَأْنُكَ كُلَّهُ، من عظمتك أنه لم يكن شيء من قبلك، فأنت الواحد القهار، كان عرشك تحت عظمتك نار توقد لك، وجعلت سرادق من دونه سرادق من نور، فما أعظمتك ربّ، وأعظم ملكك، جعلت بينك وبين ملائكتك مسيرة خمسمائة عام، فما أعظمتك ربّ وأعظم ملكك في سلطانتك، فإذا أردت شيئاً تقضيه في جنودك الذين في السماء، أو الذين في الأرض، وجنودك الذين في البحر، بعثت الريح من عندك لا يراها شيء من خلقك إلا أنت إن شئت، فدخلت في جوف من شئت من أنبيائك، فبلغوا لما أردت من عبادك، وليس أحد من ملائكتك يستطيع شيئاً من عظمتك، ولا من عرشك، ولا يسمع صوتك، فقد أنعمت عليّ، وأعظمت عليّ في الفضل، وأحسنت إليّ كلّ الإحسان، عظمتني في أمم الأرض، وعظمتني عند ملائكتك، وأسمعتني صوتك، وبذلت لي كلامك، وأتيتني حكمتك، فإن أعدّ نعماك لا أحصيها، وإن أردت شكرك لا أستطيعها. دعوتك ربّ على فرعون بالآيات العظام، والعقوبة الشديدة، فضربت بعصاي التي في يدي البحر، فانفلق لي ولمن معي، ودعوتك حين جرت البحر،

فأغرقت عدوك وعدوي، وسألتك الماء لي ولأمّتي، فضربت بعصاي التي في يدي الحجر، فمنه أروبتني وأمّتي، وسألتك لأمّتي طعاما لم يأكله أحد كان قبلهم، فأمرتني أن أدعوك من قبل المشرق، ومن قبل المغرب. فناديتك من شرقي أمّتي، فأعطيتهم المنّ من مشرقي لنفسي، وأتيتهم السلوى من غربيهم من قبل البحر، واشتكتك الحرّ فناديتك، فظلمت عليهم بالغمام، فما أطيق نعماك عليّ أن أعدّها ولا أحصيها، وإن أردت شكرها لا أستطيعها. فجتتك اليوم راغبا طالبا سائلا متضرّعا، لتعطيني ما منعت غيري، أطلب إليك وأسألك يا ذا العظمة والعزّة والسلطان أن تريني أنظر إليك، فأني قد أحببت أن أرى وجهك الذي لم يره شيء من خلقك. قال له ربّ العزّة: فلا ترى يا ابن عمران ما تقول؟ تكلمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق، لا يراني أحد فيحيا، أليس في السموات معمري، فإنهن قد ضعفن أن يحملن عظمتي، وليس في الأرض معمري، فإنها قد ضعفت أن تسع بجندي، فليست في مكان واحد فاتجلى لعين تنظر إليّ. قال موسى: يا ربّ أن أراك وأموت، أحبّ إليّ من أن لا أراك ولا أحيا، قال له ربّ العزّة: يا ابن عمران تكلمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق، لا يراني أحد فيحيا. قال: ربّ تمم عليّ نعماك، وتمم عليّ فضلك، وتمم عليّ إحسانك هذا الذي سألتك ليس لي أن أراك فأقبض، ولكن أحبّ أن أراك فيطمئن قلبي. قال له: يا ابن عمران لن يراني أحد فيحيا. قال: موسى ربّ تمم عليّ نعماك وفضلك، وتمم عليّ إحسانك هذا الذي سألتك ليس لي أن أراك فأموت على أثر ذلك أحبّ إليّ من الحياة، فقال الرحمن المترحم على خلقه: قد طلبت يا موسى، وأعطيتك سؤالك إن استطعت أن تنظر إليّ، فاذهب فاتخذ لوجين، ثم انظر إلى الحجر الأكبر في رأس الجبل، فإن ما وراءه وما دونه مضيق لا يسع إلا مجلسك يا ابن عمران، ثم انظر فأني أهبط إليك وجنودي من قليل وكثير. ففعل موسى كما أمره ربه، نحت لوجين ثم صعد بهما إلى الجبل، فجلس على الحجر: فلما استوى عليه، أمر الله جنوده الذين في السماء الدنيا، فقال: ضعي أكنافك حول الجبل، فسمعت ما قال الربّ ففعلت أمره، ثم أرسل الله الصواعق والظلمة والضباب على ما كان يلي الجبل الذي يلي موسى أربعة فراسخ من كل ناحية، ثم أمر الله ملائكة الدنيا أن يمرّوا بموسى، فاعترضوا عليه، فمروا به طيران النعر تنبع أفواههم بالتقديس والتسبيح بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد، فقال موسى بن عمران عليه السلام: ربّ إنني كنت عن هذا غنيا، ما ترى عينا شيئا قد ذهب بصرهما من شعاع النور المتصفف على ملائكة ربي. ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى، فاعترضوا عليه، فهبطوا أمثال الأسد، لهم لَجَبٌ بالتسبيح والتقديس، ففزع العبد الضعيف ابن عمران مما رأى ومما سمع، فاقشعرت كل شعرة في رأسه وجلده، ثم قال: ندمت على مسئلتني إياك، فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه شيء؟ فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا موسى اصبر لما سألت، فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى، فاعترضوا عليه، فأقبلوا أمثال النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد، وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس كلجب الجيش العظيم أو كلهب النار، ففزع موسى، وأيست نفسه، وأساء ظنه، وأيس من الحياة،

فقال له خير الملائكة ورأسهم: مكانك يا ابن عمران, حتى ترى ما لا تصير عليه؟ ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى بن عمران. فأقبلوا وهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين مرّوا به قبلهم, ألوانهم كلهب النار, وسائر خلقهم كالثلج الأبيض, أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس, لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مرّوا به قبلهم. فاصطكت ركبته, وأرعد قلبه, واشتدّ بكاؤه, فقال خير الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران اصبر لما سألت, فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى, فهبطوا عليه سبعة ألوان, فلم يستطع موسى أن يتبعهم طرفه, ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم, وامتلاً جوفه خوفاً, واشتدّ حزنه, وكثر بكاؤه, فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدي الذي طلب أن يراني موسى بن عمران واعترضوا عليه. فهبطوا عليه في يد كل ملك مثل النخلة الطويلة نارا أشدّ ضوءاً من الشمس, ولباسهم كلهب النار, إذا سبحوا وقدّسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم, يقولون بشدة أصواتهم: سبح قدّوس ربّ العزة أبدا لا يموت, في رأس كل ملك منهم أربعة أوجه. فلما راهم موسى رفع صوته يسبح معهم حين سبحوا, وهو يبكي ويقول: ربّ اذكرني, ولا تنس عبدك لا أدري أنقلب مما أنا فيه أم لا؟ إن خرجت أحرق, وإن مكثت متّ. فقال له كبير الملائكة ورئيسهم: قد أوشكت يا ابن عمران أن يمتهن جوفك, وينخل قلبك, وبشتدّ بكاؤك فاصبر للذي جلست لتنظر إليه يا ابن عمران وكان جبل موسى جبلاً عظيماً, فأمر الله أن يحمل عرشه, ثم قال: مرّوا بي على عبدي ليراني, فقليل من كثير ما رأى فانفرج الجبل من عظمة الربّ, وغشي ضوء عرش الرحمن جبل موسى, ورفعت ملائكة السموات أصواتها جميعاً, فارتجّ الجبل فاندكّ, وكلّ شجرة كانت فيه, وخرّ العبد الضعيف موسى بن عمران صعقاً على وجهه ليس معه روحه, فأرسل الله الحياة برحمته, فتغشاه برحمته وقلب الحجر الذي كان عليه وجعله كالمعدة, كهيئة القبة لئلا يحترق موسى, فأقامه الروح مثل الأم أقامت جنينها حين يصرع, قال: فقام موسى يسبح الله ويقول: أمنت أنك ربي, وصدّقت أنه لا يراك أحد فيحيا, ومن نظر إلى ملائكتك انخل قلبه, فما أعظمك ربّ وأعظم ملائكتك, أنت ربّ الأرباب وإله الآلهة وملك الملوك, تأمر الجنود الذين عندك فيطيعونك, وتأمّر السماء وما فيها فتطيعك, لا تستنكف من ذلك, ولا يعدلك شيء ولا يقوم لك شيء, ربّ تبت إليك, الحمد لله الذي لا شريك له, ما أعظمك وأجلك ربّ العالمين

القول في تأويل قوله تعالى: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا.

يقول تعالى ذكره: فما اطلع الربّ للجبل جعل الله الجبل دكاً: أي مستويا بالأرض. وخرّ موسى صعقاً أي مغشياً عليه. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

11781- حدثني الحسين بن محمد بن عمرو العنقزي, قال: ثني أبي, قال: حدثنا أسباط, عن السدي, عن عكرمة, عن ابن عباس, في قول

الله: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا قَالَ: ما تجلى منه إلا قدر الخنصر. جَعَلَهُ دَكًّا قَالَ: ترابا. وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا قَالَ: مغشياً عليه.

11782- حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, قال: زعم السدي, عن عكرمة, عن ابن عباس أنه قال: تجلى منه مثل الخنصر, فجعل الجبل دكًا, وخر موسى صعقا, فلم يزل صعقا ما شاء الله.

11783- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا قَالَ: مغشياً عليه.

11784- حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا قَالَ: انقعر بعضه على بعض. وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا: أي ميتا.

11785- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريح: وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا: أي ميتا.

11786- حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: دَكًّا قَالَ: دكٌ بَعْضُهُ بَعْضًا.

11787- حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, قال: سمعت سفيان يقول في قوله: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا قَالَ: ساخ الجبل في الأرض حتى وقع في البحر, فهو يذهب معه.

11788- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, عن الحجاج, عن أبي بكر الهذلي: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا: انقعر فدخل تحت الأرض فلا يظهر إلى يوم القيامة.

11789- حدثنا أحمد بن سهيل الواسطي, قال: حدثنا قرة بن عيسى, قال: حدثنا الأعمش, عن رجل, عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم, قال: «لَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ أَشَارَ بِأَصْبُعَيْهِ فَجَعَلَهُ دَكًّا». وأرانا أبو إسماعيل بأصبعه السبابة.

11790- حدثني المثنى, قال: ثني الحجاج بن المنهال, قال: حدثنا حماد, عن ثابت, عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا قَالَ: «هكذا» بأصبعه ووضع النبي صلى الله عليه وسلم الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر, «فَسَاخَ الْجَبَلُ».

11791- حدثني المثنى, قال: حدثنا هدية بن خالد, قال: حدثنا حماد بن سلمة, عن ثابت, عن أنس بن مالك, قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا قَالَ: وضع الإبهام قريبا من طرف خنصره, قال: «فَسَاخَ الْجَبَلُ» فقال حميد لثابت: تقول هذا؟ قال: فرقع ثابت يده فضرب صدر حميد, وقال: يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقوله أنس وأنا أكتمه.

11792- حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا وذلك أن الجبل حين كشف الغطاء ورأى النور صار مثل دك من الدكات.

11793- حدثنا الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, عن مجاهد: وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أُنظِرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَانِي وَلَكِنْ نُنظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَإِنَّهُ أَكْبَرُ مِنْكَ

وأشد خلقا. فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ فَنظَرَ إِلَى الْجَبَلِ لَا يَتَمَالَكُ، وَأَقْبَلَ الْجَبَلَ يَنْدِكُ عَلَى أَوَّلِهِ فَلَمَّا رَأَى مُوسَى مَا يَصْنَعُ الْجَبَلَ خَرَّ صَعْقًا. واختلفت القراء في قراءة قوله: دَكَا. فقرأته عامّة قراء أهل المدينة والبصرة: دَكَا مقصورا بالتنوين، بمعنى: دك الله الجبل دَكَا أي قَتَبَهُ، واعتبارا بقول الله: كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا، وقوله: وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاجِدَةً. واستشهد بعضهم على ذلك بقول حميد: يَدُّكَ أَرْكَانَ الْجِبَالِ هَزْمُهُتْخَطِرُ بِالْبَيْضِ الرَّقَاقُ بِهِمَّةُ وقرأته عامّة قراء الكوفيين: «جَعَلَهُ دَكَاءً» بالمدّ وترك الجرّ والتنوين، مثل حمراء وسوداء. وكان ممن يقرؤه كذلك عكرمة، ويقول فيه ما: 11794- حدثني به أحمد بن يوسف، قال: حدثنا القاسم بن سلام، قال: حدثنا عباد بن عباد، عن يزيد بن حازم، عن عكرمة، قال: دكاء من الدكاوات. وقال: لما نظر الله تبارك وتعالى إلى الجبل صار صخره ترابا.

واختلف أهل العربية في معناه إذا قرئء كذلك. فقال بعض نحوي البصرة: العرب تقول: ناقة دكاء: ليس لها سنام، وقال: الجبل مذكر، فلا يشبه أن يكون منه إلا أن يكون جعله مثل دكاء حذف مثل وأجراه مجرى: واسأل القرية. وكان بعض نحوي الكوفة يقول: معنى ذلك: جعل الجبل أرضا دكاء، ثم حذف الأرض وأقيمت الدكاء مقامها إذ أدّت عنها. وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأ: «جعله دكاء» بالمدّ، وترك الجرّ لدلالة الخبر الذي رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحته وذلك أنه روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «فَسَاخَ الْجَبَلُ» ولم يقل: فتفتّت، ولا تحوّل ترابا. ولا شك أنه إذا ساخ فذهب ظهر وجه الأرض، فصارت بمنزلة الناقة التي قد ذهب سنامها، وصارت دكاء بلا سنام. وأما إذا دك بعضه فإنما يكسر بعضه بعضا وتفتّتت ولا يسوخ. وأما الدكاء فإنها خَلَفُ من الأرض، فلذلك أثبت على ما قد بينت. فمعنى الكلام إذن: فلما تجلّى ربه للجبل ساخ، فجعل مكانه أرضا دكاء.

وقد بيّنا معنى الصعق بشواهد في ما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع.

القول في تأويل قوله تعالى: فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ.

يقول تعالى ذكره: فلما تاب إلى موسى عليه السلام فهمه من غشيته، وذلك هو الإفاقة من الصعقة التي خرّ لها موسى صلى الله عليه وسلم، قال: سُبْحَانَكَ تَنْزِيهَا لَكَ يَا رَبِّ وَتَبَرُّةً أَنْ يَرَاكَ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ يَعِيشُ. تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَسَالَتِي إِيَّاكَ مَا سَأَلْتُكَ مِنَ الرُّؤْيَةِ. وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ مِنْ قَوْمِي أَنْ لَا يَرَاكَ فِي الدُّنْيَا أَحَدٌ إِلَّا هَلَكَ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 11795- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عبد الله بن موسى، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله: تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ قال: كان قبله مؤمنون، ولكن يقول: أنا أول من آمن بأنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة.

11796- حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: لما رأى موسى ذلك وأفاق، عرف أنه قد سأل أمرا لا ينبغي له، فقال: سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: عَنِ أَنَّى أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِكَ أَنَّهُ لَنْ يِرَاكَ أَحَدٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

11797- حدثني عبد الكريم بن الهيثم، قال: حدثنا إبراهيم بن بشار، قال: قال سفيان: قال أبو سعد، عن عكرمة عن ابن عباس: وَخَرَّ مُوسَى صَعَقًا فَمَرَّتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ وَقَدْ صَعَقَ، فَقَالَتْ: يَا ابْنَ النَّسَاءِ الْحَيْضَ لَقَدْ سَأَلْتَ رَبَّكَ أَمْرًا عَظِيمًا. فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: سُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، تَبْتُ إِلَيْكَ، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: أَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ أَنَّهُ لَا يِرَاكَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ، يَعْنِي فِي الدُّنْيَا.

11798- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ: أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْمِنُ أَنَّهُ لَا يِرَاكَ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِكَ.

11799- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن سفيان، عن رجل، عن مجاهد: سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ قَالَ: مِنْ مَسْأَلَتِي الرَّؤْيَةَ.

حدثني الحرث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا أبو سعد، عن مجاهد: قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ أَنْ أَسْأَلَكَ الرَّؤْيَةَ.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبو نعيم، عن سفيان، عن عيسى بن ميمون، عن رجل، عن مجاهد: سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ أَنْ أَسْأَلَكَ الرَّؤْيَةَ.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عيسى بن ميمون، عن مجاهد، في قوله: سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ قَالَ: تَبْتُ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ أَسْأَلَكَ الرَّؤْيَةَ.

وقال آخرون: معناه قوله: وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

11800- حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، عن عكرمة، عن ابن عباس: وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِكَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، عن عكرمة، عن ابن عباس: وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ يَعْنِي: أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

11801- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا أَوَّلُ قَوْمِي إِيمَانًا.

حدثنا ابن وكيع والمثنى، قال: حدثنا أبو نعيم، عن سفيان، عن عيسى بن ميمون، عن رجل، عن مجاهد: وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ: أَوَّلُ قَوْمِي إِيمَانًا.

حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: أَنَا أَوَّلُ قَوْمِي إِيمَانًا.

حدثني الحرث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا أبو سعد، قال: سمعت مجاهدا يقول في قوله: وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: أَوَّلُ قَوْمِي آمَنَ. وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا الْقَوْلَ الَّذِي اخْتَرَنَاهُ فِي قَوْلِهِ: وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى قَوْلٍ مِنْ قَالَ: معناه: أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ قَبْلَهُ فِي

بنى إسرائيل مؤمنون وأنبياء، منهم ولد إسرائيل لصلبه، وكانوا مؤمنين وأنبياء، فلذلك اخترنا القول الذي قلناه قبل.

الآية : 144

القول في تأويل قوله تعالى: { قَالَ يَمْوسَىٰ إِنَّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ } .. يقول تعالى ذكره: قال الله لموسى: يا موسى إنني اصطفيتك على الناس يقول: اخترتك على الناس برسالاتي إلى خلقي، أرسلتك بها إليهم. وبكلامي كلمتك وناجيتك دون غيرك من خلقي. فخذ ما آتيتك يقول: فخذ ما أعطيتك من أمري ونهي وتمسك به، واعمل به، يريد وكن من الشاكرين لله على ما آتاك من رسالته، وحصل به من النجوى بطاعته في أمره ونهيه والمسارة إلى رضاه.

الآية : 145

القول في تأويل قوله تعالى: { وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْقَاسِقِينَ } .. يقول تعالى ذكره: وكتبنا لموسى في الألواح وأدخلت الألف واللام في «الألواح» بدلاً من الإضافة، كما قال الشاعر:

(والأحلام غير عوازب)

وكما قال جل ثناؤه فإن الجنة هي المأوى يعني: هي مأواه.

وقوله: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يقول من التذكير والتنبيه على عظمة الله وعز سلطانه. مَوْعِظَةً لقومه ومن أمر بالعمل بما كتب في الألواح. وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ يقول: وتبيننا لكل شيء من أمر الله ونهيه. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11802- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد أو سعيد بن جبير وهو في أصل كتابي، عن سعيد بن جبير في قول الله: وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ قال: ما أمروا به ونهوا عنه.

11803- حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، بنحوه.

حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ من الحلال والحرام.

حدثني الحرث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا أبو سعد، قال: سمعت مجاهدا يقول في قوله: وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ قال: ما أمروا به ونهوا عنه.

11804- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ قال عطية: أخبرني ابن عباس أن موسى صلى الله عليه وسلم لما كربه الموت قال: هذا من أجل آدم، قد كان الله جعلنا في دار مثوى لا نموت، فخطأ آدم أنزلنا ههنا فقال الله لموسى: أبعث إليك آدم فتخاصمه؟ قال: نعم. فلما بعث الله آدم، سأله موسى، فقال أبونا آدم عليهما السلام: يا موسى سألت الله أن يبعثني لك

قال موسى: لولا أنت لم نكن ههنا. قال له آدم: أليس قد أتاك الله من كل شيء موعظة وتفصيلاً؟ أفلمست تعلم أنه ما أصاب في الأرض من مُصيبةٍ ولا في أنفسكم إلا في كتابٍ من قبل أن تترأها؟ قال موسى: بلى. فخصمه آدم صلى الله عليهما.

11805- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد المرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن عبد الصمد بن معقل، أنه سمع وهياً يقول في قوله: وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ قال: كتب له لا تشرك بي شيئاً من أهل السماء ولا من أهل الأرض فإن كل ذلك خلقي، ولا تحلف باسمي كاذباً، فإن من حلف باسمي كاذباً فلا أزيه، ووقر والديك.

القول في تأويل قوله تعالى: فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ. يقول تعالى ذكره: وقلنا لموسى إذ كتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء: خذ الألواح بقوة. وأخرج الخبر عن الألواح والمراد ما فيها.

واختلف أهل التأويل في معنى القوة في هذا الموضوع، فقال بعضهم: معناها بجد. ذكر من قال ذلك:

11806- حدثني عبد الكريم، قال: حدثنا إبراهيم بن بشار، قال: حدثنا ابن عيينة، قال: قال أبو سعد، عن عكرمة عن ابن عباس: فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ قال: بجد.

11807- حدثني موسى، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ قال: بجد واجتهاد. وقال آخرون: معنى ذلك: فخذها بالطاعة لله. ذكر من قال ذلك:

11808- حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الرحمن بن سعد، قال: أخبرنا أبو جعفر، عن الربيع بن أنس، في قوله: فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ قال: بالطاعة.

وقد بينا معنى ذلك بشواهد واختلاف أهل التأويل فيه في سورة البقرة عند قوله: خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ فَاذْكُرُوا مَا كُنْتُمْ يَافِقُونَ. والقول في تأويل قوله تعالى: وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا حُذَيْمَةَ بِأَحْسَنِهَا. يقول تعالى ذكره: قلنا لموسى: وأمر قومك بني إسرائيل يأخذوا بأحسنها. يقول: يعملوا بأحسن ما يجدون فيها كما:

11809- حدثني موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا حُذَيْمَةَ بِأَحْسَنِهَا ما يجدون فيها.

11810- حدثني عبد الكريم، قال: حدثنا إبراهيم، قال: حدثنا سفیان، قال: حدثنا أبو سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس: وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا حُذَيْمَةَ بِأَحْسَنِهَا قال: أمر موسى أن يأخذها بأشد ما أمر به قومه.

فإن قال قائل: وما معنى قوله: وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا حُذَيْمَةَ بِأَحْسَنِهَا أكان من خصالهم ترك بعض ما فيها من الحسن؟ قيل: لا ولكن كان فيها أمر ونهي، فأمرهم الله أن يعملوا بما أمرهم بعمله ويتركوا ما نهاهم عنه، فالعمل بالمأمور به أحسن من العمل بالمنهي عنه.

القول في تأويل قوله تعالى: سَأَرْبِحُكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ.

يقول تعالى ذكره لموسى إذ كتب في الألواح من كل شيء: خذها بجد في العمل بما فيها واجتهاد، وأمر قومك يأخذوا بأحسن ما فيها، وانهم

عن تضييعها وتضييع العمل بما فيها والشرك بي, فإن من أشرك بي منهم ومن غيرهم, فإنني سأريه في الآخرة عند مصيره إليّ دار الفاسقين, وهي نار الله التي أعدها لأعدائه. وإنما قال: سأريكم دار الفاسقين كما يقول القائل لمن يخاطبه: سأريك غدا إلام يصير إليه حال من خالف أمرى على وجه التهديد والوعيد لمن عصاه وخالف أمره. وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم بنحو ما قلنا في ذلك. ذكر من قال ذلك:

11811- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: ثني عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: سأريكم دار الفاسقين قال: مصيرهم في الآخرة. حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد مثله.

11812- حدثني المثنى, قال: حدثنا مسلم, قال: حدثنا مبارك, عن الحسن, في قوله: سأريكم دار الفاسقين قال: جهنم. وقال آخرون: معنى ذلك: سأدخلكم أرض الشام, فأريكم منازل الكافرين الذين هم سكانها من الجبابرة والعمالقة. ذكر من قال ذلك:

11813- حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: سأريكم دار الفاسقين: منازلهم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: دار الفاسقين قال: منازلهم. وقال آخرون: معنى ذلك: سأريكم دار قوم فرعون, وهي مصر. ذكر من قال ذلك:.....

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك, لأن الذي قبل قوله جل ثناؤه: سأريكم دار الفاسقين أمر من الله لموسى وقومه بالعمل بما في التوراة, فأولى الأمور بحكمة الله تعالى أن يختم ذلك بالوعيد على من ضيعه وفرط في العمل لله وحاد عن سبيله, دون الخبر عما قد انقطع الخبر عنه أو عما لم يجر له ذكر.

الآية : 146

القول في تأويل قوله تعالى: { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرَّشِيدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعَاقِبِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ } ..

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم: معناه: سأنزعه عنهم فهم الكتاب. ذكر من قال ذلك:

11814- حدثنا أحمد بن منصور المروزي, قال: ثني محمد بن عبد الله بن بكر, قال: سمعت ابن عيينة يقول في قول الله: سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق قال: يقول: أنزع عنهم فهم القرآن, وأصرفهم عن آياتي.

وتأويل ابن عيينة هذا يدل على أن هذا الكلام كان عنده من الله وعيدا لأهل الكفر بالله ممن بعث إليه نبينا صلى الله عليه وسلم دون قوم موسى, لأن القرآن إنما أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم دون موسى عليه السلام.

وقال آخرون في ذلك: معناه: سأصرفهم عن الاعتبار بالحجج. ذكر من قال ذلك:

11815_ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريح: سأصْرِفُ عَنْ آيَاتِي عَنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْآيَاتِ فِيهَا, سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه سيصرف عن آياته, وهي أدلته وأعلامه على حقية ما أمر به عباده وفرض عليهم من طاعته في توحيده وعدله وغير ذلك من فرائضه, والسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ, وكل موجود من خلقه فمن آياته, والقرآن أيضا من آياته. وقد عمم بالخبر أنه يصرف عن آياته المتكبرين في الأرض بغير الحق, وهم الذين حقت عليهم كلمة الله أنهم لا يؤمنون, فهم عن فهم جميع آياته والاعتبار والأدكار بها مصروفون لأنهم لو وفقوا لفهم بعض ذلك فهدوا للاعتبار به اتعضوا وأنابوا إلى الحق, وذلك غير كائن منهم, لأنه جل ثناؤه قال: وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوهَا فَلَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ.

القول في تأويل قوله تعالى: وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ العَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ.

يقول تعالى ذكره: وإن ير هؤلاء يتكبرون في الأرض بغير الحق, وتكبرهم فيها بغير الحق: تجبرهم فيها, واستكبارهم عن الإيمان بالله ورسوله والإذعان لأمره ونهيه, وهم لله عبيد يغذوهم بنعمته ويريح عليهم رزقه بكرة وعشيا. كل آية يقول: كل حجة لله على وحدانيته وربوبيته, وكل دلالة على أنه لا تنبغي العبادة إلا له خالصة دون غيره. لا يؤمنوا بها يقول: لا يصدقوا بتلك الآية أنها دالة على ما هي فيه حجة, ولكنهم يقولون: هي سحر وكذب. وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا يقول: وإن ير هؤلاء الذين وصف صفتهم طريق الهدى والسداد الذي إن سلكوه نجوا من الهلكة والعطب وصاروا إلى نعيم الأبد لا يسلكوه ولا يتخذوه لأنفسهم طريقا, جهلاً منهم وحيرة. وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ العَيِّ يقول: وإن يروا طريق الهلاك الذي إن سلكوه ضلوا وهلكوا. وقد بينا معنى العي فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته. يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا يقول: يسلكوه ويجعلوه لأنفسهم طريقا لصرف الله إياهم عن آياته وطبعه على قلوبهم, فهم لا يفلحون ولا ينجحون. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ يقول تعالى ذكره: صرفناهم عن آياتنا أن يعقلوها ويفهموها, فيعتبروا بها ويذكروا فينبوا عقوبة منا لهم على تكذيبهم بآياتنا, وكانوا عن آياتنا وأدلتنا الشاهدة على حقية ما أمرناهم به ونهيناهم عنه, غافلين لا يتفكرون فيها, لاهين عنها لا يعتبرون بها, فحق عليهم حينئذ قول ربنا, فعطبوا.

واختلف القراء في قراءة قوله: الرُّشْدُ فقراً ذلك عامة قراء المدينة وبعض المكيين وبعض البصريين: الرُّشْدُ بضم الراء وتسكين الشين. وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة وبعض المكيين: «الرُّشْدُ» بفتح الراء والشين. ثم اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى ذلك إذا ضمت راؤه وسكنت شينه, وفيه إذا فتحتا جميعا. فذكر عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول: معناه إذا ضمت راؤه وسكنت شينه: الصلاح, كما قال الله: فَإِنْ

آتَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا بِمَعْنَى: صلاحاً وكذلك كان يقرؤه هو ومعناه إذا فتحت رآؤه وشينه: الرُّشْدُ في الدين, كما قال جلُّ ثناؤه: تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رَشْدًا بِمَعْنَى الاستقامة والصواب في الدين. وكان الكسائي يقول: هما لغتان بمعنى واحد, مثل: السَّقْمُ والسَّقَمُ, والحُزْنُ والحَزَنُ, وكذلك الرُّشْدُ والرَّشْدُ.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان القراءة بهما في قراءة الأمصار متفقاً المعنى, فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب بها.

الآية : 147

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْرَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ..

يقول تعالى ذكره: هؤلاء المستكبرون في الأرض بغير الحق, وكلّ مكذب حجج الله ورسوله وآياته, وجاهد أنه يوم القيامة مبعوث بعد مماته, ومنكر لقاء الله في آخرته, ذهبت أعمالهم فبطلت, وحصلت لهم أوزارها فثبتت, لأنهم عملوا لغير الله وأتعبوا أنفسهم في غير ما يرضى الله, فصارت أعمالهم عليهم وبالاً, يقول الله جلُّ ثناؤه: هَلْ يُجْرَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ يقول: هل ينالون إلا ثواب ما كانوا يعملون, فصار ثواب أعمالهم الخلود في نار أحاط بهم سرادقها, إذ كانت أعمالهم في طاعة الشيطان دون طاعة الرحمن نعوذ بالله من غضبه. وقد بينا معنى الحبوط والجزاء والآخرة فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

الآية : 148

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ} ..

يقول تعالى ذكره: واتخذ بنو إسرائيل قوم موسى من بعد ما فارقه موسى ماضياً إلى ربه لمناجاته ووفاء للوعد الذي كان ربه وعده من حليهم عجلًا, وهو ولد البقرة, فعبدوه. ثم بين تعالى ذكره ما ذلك العجل فقال: جَسَدًا لَهُ خُورٌ والخوار: صوت البقر. يخبر جلُّ ذكره عنهم أنهم ضلوا بما لا يضلُّ بمثله أهل العقل, وذلك أن الربَّ جلَّ جلاله الذي له ملك السموات والأرض ومدبر ذلك, لا يجوز أن يكون جسداً له خوار, لا يكلم أحداً ولا يرشد إلى خير. وقال هؤلاء الذين قصَّ الله قصصهم لذلك هذا إلهنا وإله موسى, فعكفوا عليه يعبدونه جهلاً منهم وذهاباً عن الله وضلالاً. وقد بينا سبب عبادتهم إياه وكيف كان اتخاذ من اتخذ منهم العجل فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

وفي الخُلِيِّ لغتان: ضمّ الحاء وهو الأصل, وكسرهما, وكذلك ذلك في كلِّ ما شاكله من مثل صليّ وجثيّ وعثيّ. وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب, لاستفاضة القراءة بهما في القراءة, لا تفارق بين معنيهما.

وقوله: أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا يقول: ألم ير الذين عكفوا على العجل الذي اتخذوه من حليهم يعبدونه أن العجل لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلًا يقول: ولا يرشدهم إلى طريق. وليس ذلك من صفة ربهم الذي له العبادة حقاً, بل صفة أنه يكلم أنبياءه ورسله, ويرشد خلقه إلى سبيل الخير وينهاهم عن سبيل المهالك والردى. يقول الله جلُّ

ثناؤه: اتَّخَذُوهُ: أي اتخذوا العجل إلها. وكأثوا باتخاذهم إياه ربا معبودا ظالمين لأنفسهم، لعبادتهم غير من له العبادة، وإضافتهم الألوهة إلى غير الذي له الألوهة. وقد بيّنا معنى الظلم فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

الآية : 149

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ صَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} ..
يعني تعالى ذكره بقوله: وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ: ولما ندم الذين عبدوا العجل الذي وصف جل ثناؤه صفته عند رجوع موسى إليهم، واستسلموا لموسى وحكمه فيهم. وكذلك تقول العرب لكل نادم على أمر فات منه أو سلف وعاجز عن شيء: «قد سقط في يديه» و«أسقط» لغتان فصيحتان، وأصله من الاستئسار، وذلك أن يضرب الرجل الرجل أو يصرعه، فيرمي به من يديه إلى الأرض ليأسره فيكتفه، فالمرمي به مسقوط في يدي الساقط به، ف قيل لكل عاجز عن شيء ومصارع لعجزه متنهد على ما فاته: سقط في يديه وأسقط. وعنى بقوله: وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ صَلُّوا ورأوا أنهم قد جاروا عن قصد السبيل وذهبوا عن دين الله، وكفروا بربهم، قالوا تائبين إلى الله منيبين إليه من كفرهم به: لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

ثم اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه بعض قراء أهل المدينة ومكة والكوفة والبصرة: لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا بِالرَّفْعِ عَلَى وَجْهِ الْخَبَرِ. وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة: «لَئِن لَّمْ تَرْحَمْنَا رَبُّنَا» بالنصب بتأويل لئن لم ترحمنا يا ربنا، على وجه الخطاب منهم لربهم. واعتل قارئو ذلك كذلك بأنه في إحدى القراءتين: «قالوا لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا»، وذلك دليل على الخطاب.

والذي هو أولى بالصواب من القراءة في ذلك القراءة على وجه الخبر بالياء في «يرحمنا» وبالرفع في قوله «ربنا»، لأنه لم يتقدم ذلك ما يوجب أن يكون موجهها إلى الخطاب. والقراءة التي حكيت على ما ذكرنا من قراءتها: «قالوا لئن لم ترحمنا ربنا» لا نعرف صحتها من الوجه الذي يجب التسليم إليه. ومعنى قوله: لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا: لئن لم يتعطف علينا ربنا بالتوبة برحمته، ويتغمد بها ذنوبنا، لنكونن من الهالكين الذين حبطت أعمالهم.

الآية : 150

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} ..

يقول تعالى ذكره: ولما رجع موسى إلى قومه من بني إسرائيل، رجع غضبان أسفا، لأن الله كان قد أخبره أنه قد فتن قومه، وأن السامري قد أضلهم، فكان رجوعه غضبان أسفا لذلك. والأسف: شدة الغضب والتغيظ به على من أغضبه. كما:

11816- حدثني عمران بن بكار الكلاعي، قال: حدثنا عبد السلام بن محمد الحضرمي، قال: ثني شريح بن يزيد، قال: سمعت نصر بن علقمة، يقول: قال أبو الدرداء: قول الله: غَضْبَانَ أَسِفًا، قال: الأسف: منزلة وراء

الغضب أشدّ من ذلك، وتفسير ذلك في كتاب الله: ذهب إلى قومه غضبان، وذهب أسفا.

وقال آخرون في ذلك ما:

11817- حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السديّ: أسفا قال: حزينا.

11818- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا يقول: أسفا حزينا. وقال في الزخرف فلما أسفوتا يقول: أغضبونا. والأسف على وجهين: الغضب والحزن.

11819- حدثنا نصر بن عليّ، قال: حدثنا سليمان بن سليمان، قال: حدثنا مالك بن دينار، قال: سمعت الحسن يقول في قوله: وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قال: غضبان حزينا.

وقوله قال: بئسما خلقتُموني مِنْ بَعْدِي يقول: بئس الفعل فعلتم بعد فراقني إياكم وأوليتُموني فيمن خلفت من ورائي من قومي فيكم وديني الذي أمركم به ربكم. يقال منه: خلفه بخير وخلفه بشر إذا أولاه في أهله أو قومه ومن كان منه بسبيل من بعد شخوصه عنهم خيرا أو شرا. وقوله: أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ يقول: أسبقتم أمر ربكم في نفوسكم، وذهبتم عنه؟ يقال منه: عجل فلان هذا الأمر: إذا سبقه، وعجل فلان فلانا إذا سبقه، ولا تعجلني يا فلان: لا تذهب عني وتدعني، وأعجلته: استحثته. القول في تأويل قوله تعالى: وَأَلْقَى الْأَلْوَاخَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْنِ الْقَوْمِ اسْتِضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي.

يقول تعالى ذكره: وألقى موسى الألواح. ثم اختلف أهل العلم في سبب إلقائه إياه، فقال بعضهم: ألقاها غضبا على قومه الذي عبدوا العجل. ذكر من قال ذلك:

11820- حدثنا تميم بن المنتصر، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا الأصمغ بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب قال: ثني سعيد بن جبير، قال: قال ابن عباس: وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا فأخذ برأس أخيه يجره إليه، وألقى الألواح من الغضب.

11821- وحدثني عبد الكريم، قال: حدثنا إبراهيم بن بشار، قال: حدثنا ابن عيينة، قال: قال أبو سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما رجع موسى إلى قومه، وكان قريبا منهم، سمع أصواتهم فقال: إني لأسمع أصوات قوم لاهين. فلما عاينهم وقد عكفوا على العجل ألقى الألواح فكسرها، وأخذ برأس أخيه يجره إليه.

11822- حدثنا موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السديّ، قال: أخذ موسى الألواح ثم رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا، فقال: يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبِّكُمْ وَعَدَا حَسَنًا. إلى قوله: فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ف ألقى مُوسَى الْأَلْوَاخَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي.

11823- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما انتهى موسى إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل، ألقى الألواح من يده، ثم أخذ برأس أخيه ولحيته يقول: مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنَ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي؟.

وقال آخرون: إنما ألقى موسى الألواح لفضائل أصابها فيها لغير قومه، فاشتد ذلك عليه. ذكر من قال ذلك:

11824- حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: أَحَدَ الْأَلْوَاخِ قَالَ: رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاخِ أُمَّةَ خَيْرِ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَاجْعَلْهُمْ أُمَّةً لِي فَأَجْعَلَهُمْ أُمَّةً لِي: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ. قَالَ: رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاخِ أُمَّةَ هُمُ الْآخَرُونَ السَّابِقُونَ: أَيِ آخَرُونَ فِي الْخَلْقِ، سَابِقُونَ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، رَبِّ اجْعَلْهُمْ أُمَّةً لِي: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ. قَالَ: رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاخِ أُمَّةً أَنَا جِئْتُ فِي صُدُورِهِمْ يَقْرَءُونَهَا، وَكَانَ مَن قَبْلَهُمْ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ نَظْرًا حَتَّى إِذَا رَفَعُوهَا لَمْ يَحْفَظُوا شَيْئًا وَلَمْ يَعْرِفُوهُ قَالَ قَتَادَةُ: وَإِنَّ اللَّهَ أَعْطَاكُمْ أَيْتَهَا الْأُمَّةَ مِنَ الْحَفْظِ شَيْئًا لَمْ يَعْطِ أَحَدًا مِنَ الْأُمَّةِ قَالَ: رَبِّ اجْعَلْهُمْ أُمَّةً لِي: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ. قَالَ: رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاخِ أُمَّةً يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَالْكِتَابِ الْآخِرِ، وَيَقَاتِلُونَ فِصُولَ الضَّلَالَةِ حَتَّى يَقَاتِلُوا الْأَعْوَرَ الْكُذَّابَ، فَاجْعَلْهُمْ أُمَّةً لِي: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ. قَالَ: رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاخِ أُمَّةً صَدَقَاتِهِمْ يَأْكُلُونَهَا فِي بَطُونِهِمْ ثُمَّ يُؤْجِرُونَ عَلَيْهَا، وَكَانَ مَن قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَّةِ إِذَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَقَبِلَتْ مِنْهُ، بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَارًا فَأَكَلَتْهَا، وَإِنْ رَدَّتْ عَلَيْهِ تَرَكَتْ تَأْكُلُهَا الطَّيْرُ وَالسَّبَاعُ، قَالَ: وَإِنَّ اللَّهَ أَخَذَ صَدَقَاتِكُمْ مِنْ غَنِيِّكُمْ لِفَقِيرِكُمْ، قَالَ: رَبِّ اجْعَلْهُمْ أُمَّةً لِي: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ. قَالَ: رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاخِ أُمَّةً إِذَا هُمْ أَحَدُهُمْ بِحَسَنَةٍ ثُمَّ لَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبَتْ لَهُ عَشْرَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ، رَبِّ اجْعَلْهُمْ أُمَّةً لِي: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ. قَالَ: رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاخِ أُمَّةً إِذَا هُمْ أَحَدُهُمْ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تَكْتُبْ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا كَتَبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، فَاجْعَلْهُمْ أُمَّةً لِي: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ. قَالَ: رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاخِ أُمَّةً هُمُ الْمُسْتَجِيبُونَ وَالْمُسْتَجَابُ لَهُمْ فَاجْعَلْهُمْ أُمَّةً لِي: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ. قَالَ: رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاخِ أُمَّةً هُمُ الْمَشْفُوعُونَ وَالْمَشْفُوعُ لَهُمْ، فَاجْعَلْهُمْ أُمَّةً لِي: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ. قَالَ: وَذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيُّ الْأَلْوَاخِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةِ أَحْمَدُ قَالَ: فَأَعْطَى نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ثِنْتَيْنِ لَمْ يَعْطِهُمَا نَبِيٌّ، قَالَ اللَّهُ: يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي قَالَ: فَفَرَضِي نَبِيَّ اللَّهِ. ثُمَّ أَعْطَى الثَّانِيَةَ: وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ قَالَ: فَفَرَضِي نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ الرِّضَا.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: لما أخذ موسى الألواح، قال: يا ربِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاخِ أُمَّةَ خَيْرِ الْأُمَّةِ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَاجْعَلْهُمْ أُمَّةً لِي فَأَجْعَلَهُمْ أُمَّةً لِي: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ. قَالَ: يَا رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاخِ أُمَّةَ هُمُ الْآخَرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَاجْعَلْهُمْ أُمَّةً لِي: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ بَشْرِ بْنِ مِعَاذٍ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِي حَدِيثِهِ: فَأَلْقَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْأَلْوَاخَ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك أن يكون سبب إلقاء موسى الألواح كان من أجل غضبه على قومه لعبادتهم العجل لأن الله جل ثناؤه بذلك أخبر في كتابه، فقال: وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا يَسْمَعُونَ حَلْفًا مِّنِّي مِنْ بَعْدِي فَأَعِجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاخَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ

أَخِيهِ يَجْرُهُ إِلَيْهِ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ لَمَّا كَتَبَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَلْوَاحِ التَّوْرَةَ، أَدْنَاهُ مِنْهُ حَتَّى سَمِعَ صَرِيْفَ الْقَلَمِ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

11825- حَدَّثَنِي الْحَرْثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنِ السَّدِيِّ، عَنْ أَبِي عِمَارَةَ، عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كَتَبَ اللَّهُ الْأَلْوَاحَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَسْمَعُ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ فِي الْأَلْوَاحِ.

11826- قَالَ: ثنا إِسْرَائِيلُ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، قَالَ: أَدْنَاهُ حَتَّى سَمِعَ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ.

وقيل: إن التوراة كانت سبعة أسباع فلما ألقى موسى الألواح تكسرت، فرفع منها ستة أسباعها، وكان فيما رفع تفصيل كل شيء الذي قال الله: وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَبَقِيَ الْهُدَى وَالرَّحْمَةُ فِي السَّبْعِ الْبَاقِي، وهو الذي قال الله: أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ. وكانت التوراة فيما ذكر سبعين وقر بعير يقرأ منها الجزء في سنة كما:

11827- حَدَّثَنِي الْمُثَنِّي، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدِ الْمَكْفُوفِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، قَالَ: أَنْزَلَتِ التَّوْرَةَ وَهِيَ سَبْعُونَ وَقُرْ بَعِيرٍ، يقرأ منها الجزء في سنة، لم يقرأها إلا أربعة نفر: موسى بن عمران، وعيسى، وعزير، ويوشع بن نون صلوات الله عليهم.

واختلفوا في الألواح، فقال بعضهم: كانت من زمرد أخضر. وقال بعضهم: كانت من ياقوت. وقال بعضهم: كانت من برد. ذكر الرواية بما ذكرنا من ذلك:

11828- حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدُّورْقِي، قَالَ: حَدَّثَنَا حِجَابُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يَعْلَى بْنُ مَسْلَمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَلْقَى مُوسَى الْأَلْوَاحَ فَتَكَسَّرَتْ، فَرَفَعَتْ إِلَّا سَدْسَهَا. قَالَ: ابْنُ جَرِيحٍ: وَأَخْبَرَنِي أَنَّ الْأَلْوَاحَ مِنْ زَبْرَجْدٍ وَزَمْرُودٍ مِنَ الْجَنَّةِ.

11829- وَحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ سَهْلِ الرَّمْلِيِّ وَعَلِيُّ بْنُ دَاوُدَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ شَيْبُوهِ وَأَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ التَّرْمِذِيُّ، قَالُوا: أَخْبَرَنَا أَدَمُ الْعَسْقَلَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ، عَنْ الرَّبِيعِ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، قَالَ: كَانَتْ الْأَلْوَاحُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَرْدٍ.

11830- حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَكَّامٌ، عَنْ أَبِي الْجَنِيدِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي الْمَغِيرَةِ، قَالَ: سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جَبْرِ عَنِ الْأَلْوَاحِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَتْ؟ قَالَ: كَانَتْ مِنْ يَاقُوتَةٍ كَتَابَةَ الذَّهَبِ كَتَبَهَا الرَّحْمَنُ بِيَدِهِ، فَسَمِعَ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ صَرِيْفَ الْقَلَمِ وَهُوَ يَكْتُبُهَا.

11831- حَدَّثَنِي الْحَرْثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْوَضَّاحِ، عَنْ خَصِيفٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ أَوْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، قَالَ: كَانَتْ الْأَلْوَاحُ زَمْرُودًا، فَلَمَّا أَلْقَى مُوسَى الْأَلْوَاحَ بَقِيَ الْهُدَى وَالرَّحْمَةُ، وَذَهَبَ التَّفْصِيلُ.

11832- قَالَ: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَشْجَعِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمٍ، عَنْ خَصِيفٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: كَانَتْ الْأَلْوَاحُ مِنْ زَمْرُودٍ أَخْضَرٍ.

وزعم بعضهم أن الألواح كانت لوحين، فإن كان الذي قال كما قال، فإنه قيل: وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ وَهُمَا لَوْحَانِ، كما قيل: فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ وَهُمَا أَخْوَانٌ.

وأما قوله: وأخذ برأس أخيه يجره إليه فإن ذلك من فعل نبي الله صلى الله عليه وسلم كان لموجدته على أخيه هارون في تركه اتباعه وإقامته مع بني إسرائيل في الموضوع الذي تركهم فيه، كما قال جلي ثناؤه مخبرا عن قيل موسى عليه السلام له: ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني أفصيت أمري؟ حين أخبره هارون بعذره، فقبل عذره، وذلك قيله لموسى: لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بيني وبين إسرائيل ولم ترقب قولي وقال: يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تسبني بالأعداء... الآية.

واختلفت القراء في قراءة قوله «يا ابن أم» فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض أهل البصرة: «يا ابن أم» بفتح الميم من الأم. وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة: «يا ابن أم» بكسر الميم من الأم.

واختلف أهل العربية في فتح ذلك وكسره، مع إجماع جميعهم على أنهما لغتان مستعملتان في العرب. فقال بعض نحويي البصرة: قيل ذلك بالفتح على أنهما اسمان جعلتا واحدا، كما قيل: يا ابن عم، وقال: هذا شاذ لا يقاس عليه، وقال: من قرأ ذلك: «يا ابن أم»، فهو على لغة الذين يقولون: هذا غلام قد جاء، جعله اسما واحدا آخره مكسور، مثل قوله خاز باز. وقال بعض نحويي الكوفة: قيل: يا ابن أم ويا ابن عم، فنصب كما ينصب المعرب في بعض الحالات، فيقال: يا حسرتا، يا ويلتا، قال: فكأنهم قالوا: يا أمه ويا عمه ولم يقولوا ذلك في أخ، ولو قيل ذلك لكان صوابا. قال: والذين خفضوا ذلك فإنه كثر في كلامهم حتى حذفوا الياء. قال: ولا تكاد العرب تحذف الياء إلا من الاسم المنادي يضيفه المنادي إلى نفسه، إلا قولهم: يا ابن أم، ويا ابن عم وذلك أنهما يكثر استعمالهما في كلامهم، فإذا جاء ما لا يستعمل أثبتوا الياء، فقالوا: يا ابن أبي، ويا ابن أخي وأخي، ويا ابن خالتي، ويا ابن خالي.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إذا فُتحت الميم من «ابن أم»، فمراد به الندبة: يا ابن أمه، وكذلك من ابن عم فإذا كسرت، فمراد به الإضافة، ثم حذف الياء التي هي كناية اسم المخبر عن نفسه. وكان بعض من أنكر نسبه كسر ذلك إذا كسر، ككسر الزاي من خاز باز، لأن خاز باز لا يعرف الثاني إلا بالأول ولا الأول إلا بالثاني، فصار كالأصوات. وحكي عن يونس النحوي تأنيث أم وتأنيث عم، وقال: لا يجعل اسما واحدا إلا مع ابن المذكر. قالوا: وأما اللغة الجيدة والقياس الصحيح فلغة من قال: «يا ابن أمي» بإثبات الياء، كما قال أبو زيد: يا بن أمي ويا شقيق نفسي أنت خلفتني لدهر شديد وكما قال الآخر:

يا بن أمي ولو شهدتك إذ تدعو تميما وأنت غير مجاب

وإنما أثبت هؤلاء الياء في الأم لأنها غير مناداة، وإنما المنادي هو الابن دونها، وإنما تسقط العرب الياء من المنادي إذا أضافته إلى نفسها، لا إذا أضافته إلى غير نفسها، كما قد بينا. وقيل: إن هارون إنما قال لموسى عليه السلام: «يا ابن أم»، ولم يقل: «يا ابن أبي»، وهما لأب واحد وأم واحدة، استعظافا له على نفسه برجم الأم. وقوله: إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني يعني بالقوم الذين عكفوا على عبادة العجل، وقالوا هذا

إلها وإله موسى، وخالفوا هارون. وكان استضعافهم إياه، تركهم طاعته واتباع أمره. وكادوا يَقْتُلُونِي يقول: قاربوا ولم يفعلوا. واختلفت القراء في قراءة قوله: فَلَا تُشْمِتُ قِرَاءَ الْأَمْصَارِ ذَلِكَ: فَلَا تُشْمِتُ بِي الْأَعْدَاءَ بضم التاء من تُشْمِتُ وكسر الميم منها، من قولهم: أشمت فلان فلانا بفلان، إذا سره فيه بما يكرهه المُشْمِتُ به. وزوي عن مجاهد أنه قرأ ذلك: «فَلَا تُشْمِتُ بِي الْأَعْدَاءَ».

11833- حدثني بذلك عبد الكريم، قال: حدثنا إبراهيم بن بشار، قال: حدثنا سفيان، قال: قال حميد بن قيس قرأ مجاهد: «فَلَا تُشْمِتُ بِي الْأَعْدَاءَ».

حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله بن الزبير، عن ابن عيينة، عن حميد، قال: قرأ مجاهد: «فَلَا تُشْمِتُ بِي الْأَعْدَاءَ».

حدثت عن يحيى بن زياد الفراء، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن رجل، عن مجاهد أنه قال: لَا تُشْمِتُ.

وقال الفراء: قال الكسائي: ما أدري، فلعلهم أرادوا: فَلَا تُشْمِتُ بِي الْأَعْدَاءَ فَإِنْ تَكُنْ صَحِيحَةً فَلَهَا نِظَائِرٌ. العرب تقول: قَرَعْتُ وَقَرَعْتُ، فَمَنْ قَالَ: قَرَعْتُ قَالَ: أَنَا أَفْرَعُ، وَمَنْ قَالَ: قَرَعْتُ قَالَ: أَنَا أَفْرَعُ، وَكَذَلِكَ رَكِبْتُ وَرَكِبْتُ وَشَمَلْتُمْ أَمْرًا وَشَمَلْتُمْ، فِي كَثِيرٍ مِنَ الْكَلَامِ. قَالَ: «وَالْأَعْدَاءُ» رَفَعُ لِأَنَّ الْفِعْلَ لَهُمْ لَمَنْ قَالَ تَشْمِتُ أَوْ تَشْمِتُ.

والقراءة التي لا أستجيز القراءة إلا بها قراءة من قرأ: فَلَا تُشْمِتُ بضم التاء الأولى وكسر الميم من أشمت به عدوه أشمته به، ونصب الأعداء لإجماع الحجة من قراءة الأمصار عليها وشذوذ ما خالفها من القراءة، وكفى بذلك شاهدا على ما خالفها. هذا مع إنكار معرفة عامة أهل العلم بكلام العرب: شمت فلان فلانا بفلان، وشمت فلان بفلان يشمت به، وإنما المعروف من كلامهم إذا أخبروا عن شماتة الرجل بعدوه شمت به بكسر الميم يَشْمِتُ به بفتحها في الاستقبال.

وأما قوله: وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ فإنه قول هارون لأخيه موسى، يقول: لا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي ولم أخالف أمرك محل من عصاك فخالف أمرك وعبد العجل بعدك فظلم نفسه وعبد غير من له العبادة، ولم أشايعهم على شيء من ذلك. كما:

11834- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَ: أَصْحَابُ الْعَجَلِ.

حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. بمثله.

الآية : 151

القول في تأويل قوله تعالى: { قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } ..

يقول تعالى ذكره: قال موسى لما تبين له عذر أخيه، وعلم أنه لم يفرط في الواجب الذي كان عليه من أمر الله في ارتكاب ما فعله الجهلة من عبدة العجل: رَبِّ اغْفِرْ لِي مُسْتَغْفِرًا مِنْ فِعْلِهِ بِأَخِيهِ، وَلِأَخِيهِ مِنْ سَالَفٍ لَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، تَعْمَدُ ذُنُوبَنَا بِسُتْرٍ مِنْكَ تَسْتُرُهَا بِهِ. وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ

يقول: وارحمنا برحمتك الواسعة عبادك المؤمنين, فإنك أنت أرحم
بعبادك من كل من رحم شيئاً.

الآية : 152

القول في تأويل قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ عَصَبٌ
مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ } ..
يقول تعالى ذكره: إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ إِلَهًا, سَيِّئًا لَّهُمْ عَصَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ
بتعجيل الله لهم ذلك, وَذِلَّةٌ وهي الهوان, لعقوبة الله إياهم على كفرهم
بربهم في الْحَيَاةِ الدُّنْيَا في عاجل الدنيا قبل أجل الآخرة. وكان ابن جريج
يقول في ذلك بما:

11835- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن
جريج, قوله: إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ عَصَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ قَالَ: هذا لمن مات ممن اتخذ
العجل قبل أن يرجع موسى عليه السلام, ومن فر منهم حين أمرهم موسى
أن يقتل بعضهم بعضاً.

وهذا الذي قاله ابن جريج, وإن كان قولاً له وجه, فإن ظاهر كتاب الله مع
تأويل أكثر أهل التأويل بخلافه وذلك أن الله عم بالخبر عن اتخذ العجل
أنه سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا. وتظاهرت الأخبار عن
أهل التأويل من الصحابة والتابعين بأن الله, إذ رجع إلى بني إسرائيل
موسى عليه السلام, تاب على عبدة العجل من فعلهم, بما أخبر به عن
قيل موسى عليه السلام في كتابه, وذلك قوله: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا
قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا
أَنْفُسَكُمْ فَفَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ نبيهم صلى الله عليه وسلم, فكان أمر الله
إياهم بما أمرهم به من قتل بعضهم أنفسهم بعض, عن غضب منه عليهم
بعبادتهم العجل, فكان قتل بعضهم بعضاً هواناً لهم وذلة أدلهم الله بها في
الحياة الدنيا, وتوبة منهم إلى الله قبلها. وليس لأحد أن يجعل خبراً جاء
الكتاب بعمومه في خاص مما عمه الظاهر بغير برهان من حجة خبر أو
عقل, ولا نعلم خبراً جاء بوجوب نقل ظاهر قوله: إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ
سَيِّئًا لَّهُمْ عَصَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ إِلَى باطن خاص, ولا من العقل عليه دليل,
فيجب إحالة ظاهره إلى باطنه.

ويعني بقوله: وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ وكما جزي هؤلاء الذين اتخذوا
العجل إلهاً من إحلال الغضب بهم, والإذلال في الحياة الدنيا على كفرهم
ربهم, وردتهم عن دينهم بعد إيمانهم بالله, وكذلك نجزي كل من افتري
على الله فكذب عليه وأقر بالوهية غيره وعبد شيئاً سواه من الأوثان بعد
إقراره بوحدانية الله, وبعد إيمانه به وبأنبيائه ورسله وقيل ذلك, إذا لم
يتب من كفره قبل قتله.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
11836- حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن
معمر, عن أيوب, قال: تلا أبو قلابة: سَيِّئًا لَّهُمْ عَصَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا... الآية, قال: فهو جزاء كل مفتر يكون إلى يوم القيامة, أن
يذله الله عز وجل.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو النعمان عارم, قال: حدثنا حماد بن زيد,
عن أيوب, قال: قرأ أبو قلابة يوماً هذه الآية: إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ

سَيَأْتِيهِمْ عَذَابٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ تَجْزِي الْمُفْتَرِينَ
قال: هي والله لكل مفتر إلى يوم القيامة.

11837- قال: حدثنا حجاج, قال: حدثنا حماد, عن ثابت وحميد: أن قيس بن عباد وجارية بن قدامة دخلا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه, فقالا: أرأيت هذا الأمر الذي أنت فيه وتدعو إليه, أعهد عهده إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم أم رأى رأيت؟ قال: مالكما ولهذا؟ أعرضا عن هذا فقالا: والله لا نعرض عنه حتى نخبرنا. فقال: ما عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كتابا في قراب سيفي هذا. فاستله فأخرج الكتاب من قراب سيفه, وإذا فيه: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا إِلَّا لَهُ حَرَمٌ, وَإِنِّي حَرَمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَكَّةَ, لَا يُحْمَلُ فِيهَا السَّلَاحُ لِقِتَالٍ, مَنْ أَحَدَتْ حَدَّثًا أَوْ أَوْى مُحَدِّثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ, لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ» فلما خرجا قال أحدهما لصاحبه: أما ترى هذا الكتاب؟ فرجعا وتركاه, وقالا: إنا سمعنا الله يقول: إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعَجَلَ سَيَأْتِيهِمْ عَذَابٌ مِنْ رَبِّهِمْ... الآية, وإن القوم قد افتروا فرية, ولا أدري إلا سينزل بهم ذلة.

11838- حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزبير, عن ابن عيينة: في قوله: وَكَذَلِكَ تَجْزِي الْمُفْتَرِينَ. قال: كل صاحب بدعة ذليل.

الآية : 153

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ} .. وهذا خبر من الله تعالى ذكره أنه قابل من كل تائب إليه من ذنب أتاه صغيرة كانت معصيته أو كبيرة, كفرًا كانت أو غير كفر, كما قبل من عبدة العجل توبتهم بعد كفرهم به بعبادتهم العجل وارتدادهم عن دينهم. يقول جل ثناؤه: والذين عملوا الأعمال السيئة ثم رجعوا إلى طلب رضا الله بإنابتهم إلى ما يحب مما يكره وإلى ما يرضى مما يسخط من بعد سيئ أعمالهم, وصدقوا بأن الله قابل توبة المذنبين وتائب على المنيبين بإخلاص قلوبهم ويقين منهم بذلك, لَعَفُورٌ لَهُمْ, يقول: لسائر عليهم أعمالهم السيئة, وغير فاضحهم بها, رحيم بهم, وبكل من كان مثلهم من التائبين.

الآية : 154

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْعَصْبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ} .. يعني تعالى ذكره بقوله: وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْعَصْبُ وَلَمَّا كَفَّ مُوسَى عَنِ الْغَضَبِ, وكذلك كل كَفَّ عن شيء ساكت عنه. وإنما قيل للساكت عن الكلام ساكت: لكفه عنه. وقد ذكر عن يونس النحوي أنه قال: يقال سكت عنه الحزن وكل شيء فيما زعم ومنه قول أبي النجم: وَهَمَّتِ الْأَفْعَى بِأَنْ تَسِيحًا وَسَكَتَ الْمُكَاءُ أَنْ يَصِيحًا أَخَذَا الْأَلْوَاحَ يَقُولُ: أَخَذَهَا بَعْدَ مَا أَلْقَاهَا, وَقَدْ ذَهَبَ مِنْهَا مَا ذَهَبَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ يَقُولُ: وَفِيهَا نَسِخٌ فِيهَا: أَي مِنْهَا هُدًى بَيَانٌ لِلْحَقِّ وَرَحْمَةٌ. لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ يَقُولُ: لِلَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ, وَيَخْشَوْنَ عِقَابَهُ عَلَى مَعَاصِيهِ.

واختلف أهل العربية في وجه دخول اللام في قوله: لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ مع استقبح العرب أن يقال في الكلام: رهبت لك: بمعنى رهبتك، وأكرمت لك: بمعنى أكرمتك، فقال بعضهم: ذلك كما قال جل ثناؤه: إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ أوصل الفعل باللام. وقال بعضهم: من أجل ربهم يرهبون. وقال بعضهم: إنما دخلت عقب الإضافة الذين هم راهبون لرهبهم وراهبو ربهم ثم أدخلت اللام على هذا المعنى لأنها عقيب الإضافة لا على التعليق. وقال بعضهم: إنما فعل ذلك لأن الاسم تقدّم الفعل، فحسن إدخال اللام. وقال آخرون: قد جاء مثله في تأخير الاسم في قوله: رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ. وذكر عن عيسى بن عمر أنه قال: سمعت الفرزدق يقول: نقدت له مائة درهم، يريد نقدته مائة درهم. قال: والكلام واسع.

الآية : 155

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِّن قَبْلِ وَآيَايَ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيِّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ } ..
يقول تعالى ذكره: واختار موسى من قومه سبعين رجلاً للوقت والأجل الذي وعده الله أن يلقاه فيه بهم للتوبة مما كان من فعل سفهائهم في أمر العجل. كما:

11839- حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، قال: إن الله أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، ووعدهم موعداً. فاختار موسى قومه سبعين رجلاً على عينه، ثم ذهب بهم ليعتذروا، فلما أتوا ذلك المكان، قالوا: لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة، فإنك قد كلمته فأرناهُ فأخذتهم الصاعقة فماتوا. فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول: ربّ ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم، لو شئت أهلكتهم من قبل وآياي

11840- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلاً الخير فالخير، وقال: انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم، واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم، صوموا، وتطهروا، وطهروا ثيابكم فخرج بهم إلى طور سينا لميقات وقته له ربه، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم، فقال السبعون فيما ذكر لي حين صنعوا ما أمرهم به، وخرجوا معه للقاء ربه لموسى: اطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال: أفعّل. فلما دنا موسى من الجبل، وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله، ودنا موسى فدخل فيه، وقال للقوم: ادنوا وكان موسى إذا كلمه الله، وقع على جبهته نور ساطع، لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه. فصُرب دونه بالحجاب، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً، فسمعوه وهو يكلم موسى، يأمره وينهاه: افعّل ولا تفعل فلما فرغ الله من أمره، وانكشف عن موسى الغمام، أقبل إليهم، فقالوا لموسى: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً، فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ وَهِيَ الصَّاعِقَةُ، فَالْتَقَت أرواحهم فماتوا جميعاً، وقام موسى عليه السلام يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه، ويقول: ربّ لو

شئت أهلكتهم من قبل وإياي، قد سفهوا أفتهلك من ورائي من بني إسرائيل؟

11841- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: **وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا** قال: كان الله أمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً، فاختر سبعين رجلاً، فبرز بهم ليدعوا ربهم، فكان فيما دعوا الله أن قالوا: اللهم أعطنا ما لم تعط أحدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم، فأخذتهم الرجفة. قال موسى: **رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ**.
11842- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا خالد بن حيان، عن جعفر، عن ميمون: **وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا** قال: لموعدهم الذي وعدهم.

11843- حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا** قال: اختارهم لتمام الوعد. وقال آخرون: إنما أخذتهم الرجفة من أجل دعواهم على موسى قتل هارون. ذكر من قال ذلك:

11844- حدثنا ابن بشار وابن وكيع، قالوا: حدثنا يحيى بن يمان، قال: حدثنا سفيان، قال: ثني أبو إسحاق، عن عمارة بن عبد السلولي، عن علي رضي الله عنه، قال: انطلق موسى وهارون وشبّر وشبِير، فانطلقوا إلى سفح جبل، فنام هارون على سريره، فتوفاه الله. فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا له: أين هارون؟ قال: توفاه الله. قالوا: أنت قتلته، حسدنا على خلقه ولينه أو كلمة نحوها قال: فاخترنا من شئتم قال: فاخترنا سبعين رجلاً. قال: فذلك قوله: **وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا**. قال: فلما انتهوا إليه قالوا: يا هارون من قتلك؟ قال: ما قتلتني أحد، ولكنني توفاني الله. قالوا: يا موسى لن نعصي بعد اليوم قال: فأخذتهم الرجفة. قال: فجعل موسى يرجع يمينا وشمالاً، وقال: **يَا رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ** قال: فأحياهم الله وجعلهم أنبياء كلهم.
11845- حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال:

حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن رجل من بني سلول، أنه سمع علياً رضي الله عنه يقول في هذه الآية: **وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا** قال: كان هارون حسن الخلق محبباً في بني إسرائيل. قال: فلما مات دفنه موسى. قال: فلما أتى بني إسرائيل، قالوا له: أين هارون؟ قال: مات. فقالوا: قتلته قال: فاختر منهم سبعين رجلاً. قال: فلما أتوا القبر، قال موسى: أقتلت أو مت؟ قال: مت. قال: فأصعقوا، فقال موسى: **رَبِّ مَا أَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا رَجَعْتَ؟ يَقُولُونَ: أَنْتَ قَتَلْتَهُمْ قَالَ: فَأَحْيَاوَا وَجَعَلُوا أَنْبِيَاءَ**.

11846- حدثني عبد الله بن الحجاج بن المنهال، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا الربيع بن حبيب، قال: سمعت أبا سعيد، يعني الرقاشي، وقرأ هذه الآية: **وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا** فقال: كانوا أبناء ما عدا عشرين ولم يتجاوزوا الأربعين، وذلك أن ابن عشرين قد ذهب جهله وصباه، وأن من لم يتجاوز الأربعين لم يفقد من عقله شيئاً.

وقال آخرون: إنما أخذت القوم الرجفة لتركهم فراق عبدة العجل, لا لأنهم كانوا من عبّده. ذكر من قال ذلك:

11847- حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: **وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا** فقرأ حتى بلغ: **السَّفَهَاءَ** منا ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول: إنما تناولتهم الرجفة لأنهم لم يزايلوا القوم حين نصبوا العجل, وقد كرهوا أن يجامعوهم عليه.

11848- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريح, قوله: **وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا** ممن لم يكن قال ذلك القول على أنهم لم يجامعوهم عليه, فأخذتهم الرجفة من أجل أنهم لم يكونوا باينوا قومهم حين اتخذوا العجل. فلما خرجوا ودعوا, أماتهم الله ثم أحياهم. **فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَأَيَّائِي أَتَهْلِكُنَا** بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا.

11849- حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, قال: قال مجاهد: **وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا** والميقات: الموعد. فلما أخذتهم الرجفة بعد أن خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله ويسألونه أن يكشف عنهم البلاء, فلم يستجب لهم علم موسى أنهم قد أصابوا من المعصية ما أصابه قومهم. قال ابن سعد: فحدثني محمد بن كعب القرظي, قال: لم يستجب لهم من أجل أنهم لم ينهوه عن المنكر وبأمرهم بالمعروف. قال: فأخذتهم الرجفة فماتوا, ثم أحياهم الله.

11850- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن عون, عن سعيد بن حيان, عن ابن عباس: إن السبعين الذين اختارهم موسى من قومه, إنما أخذتهم الرجفة أنهم لم يرضوا ولم ينهوا عن العجل.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا عون, قال: حدثنا سعيد بن حيان, عن ابن عباس, بنحوه.

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله: **قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا** فقال بعض نحويي البصرة: معناه: واختار موسى من قومه سبعين رجلاً, فلما نزع «من» أعمل الفعل, كما قال الفرزدق:

وَمِنَّا الَّذِي اخْتِيرَ الرَّجَالَ سَمَاحَةً وَجُودًا إِذَا هَبَّ الرِّيحُ الرِّعَازُ
وكما قال الآخر:

أَمْرُكَ الخَيْرُ فافْعَلْ مَا أَمَرْتَ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ دَا مَالٍ وَدَا تَشْبٍ
وقال الراعي:

اخْتَرْتُكَ النَّاسَ إِذْ عَنَّتْ خَلَائِقُهُمْ وَأَعْتَلَّ مَنْ كَانَ يُرْجَى عِنْدَهُ السَّوْلُ
وقال بعض نحويي الكوفة: إنما استجيز وقوع الفعل عليهم إذا طرحت من, لأنه مأخوذ من قولك: هؤلاء خير القوم, وخير من القوم, فإذا جازت الإضافة مكان «من» ولم يتغير المعنى, استجازوا أن يقولوا: اخترتكم رجلاً, واخترت منكم رجلاً وقد قال الشاعر:

(لَهُ اخْتَرَهَا قَلُوصًا سَمِيئَةً)

وقال الراجز:

(تَحَّتْ التِّي اخْتَارَ لَهُ اللَّهُ الشَّجَرَ)

بمعنى: اختارها له الله من الشجر.

وهذا القول الثاني أولى عندي في ذلك بالصواب لدلالة الاختيار على طلب «من» التي بمعنى التبعية، ومن شأن العرب أن تحذف الشيء من حشو الكلام إذا عرف موضعه، وكان فيما أظهرت دلالة على ما حذف، فهذا من ذلك إن شاء الله.

وقد بينا معنى الرجفة فيما مضى بشواهدنا، وأنها ما رجع بالقوم وأرعبهم وحركهم وأهلكهم بعد، فأماهم أو أصعقهم، فسلب أفهامهم. وقد ذكرنا الرواية في غير هذا الموضوع، وقول من قال: إنها كانت صاعقة أماتهم.

11851- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: قَلِمًا أَحَدَتْهُمْ الرَّجْفَةُ مَا تَوَاتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ.

11852- حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا اخْتَارَهُمْ مُوسَى لَتَمَامِ الْمَوْعِدِ. قَلِمًا أَحَدَتْهُمْ الرَّجْفَةُ مَا تَوَاتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ اللَّهُ.

11853- حدثني عبد الكريم، قال: حدثنا إبراهيم، قال: حدثنا سفيان، قال: قال أبو سعد، عن عكرمة، عن ابن عباس: قَلِمًا أَحَدَتْهُمْ الرَّجْفَةُ قَالَ: رَجَفَ بِهِمْ.

القول في تأويل قوله تعالى: أَنهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: أتهلك هؤلاء الذين أهلكتهم بما فعل السفهاء منا: أي بعبادة من عبد العجل. قالوا: وكان الله إنما أهلكهم لأنهم كانوا ممن يعبد العجل، وقال موسى ما قال ولا علم عنده بما كان منهم من ذلك. ذكر من قال ذلك:

11854- حدثنا موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: أَنهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى: إِنْ هَؤُلَاءِ السَّبْعِينَ مِمَّنْ اتَّخَذَ الْعَجَلَ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ مُوسَى: إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ.

وقال آخرون: معنى ذلك: أن إهلاك هؤلاء الذين أهلكتهم هلاك لمن وراءهم من بني إسرائيل إذا انصرف إليهم، وليسوا معي، والسفهاء على هذا القول كانوا المهلكين الذين سألوا موسى أن يريهم ربهم. ذكر من قال ذلك:

11855- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما أخذت الرجفة السبعين فماتوا جميعا، قام موسى يناشد ربه ويدعوه، ويرغب إليه يقول: رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِيَّايَ قَدْ سَفَهُوا أَفْتَهَلَكَ مِنْ وَرَائِي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا؟ أَيِ إِنْ هَذَا لَهُمْ هَلَاكٌ، قَدْ اخْتَرْتُ مِنْهُمْ سَبْعِينَ رَجُلًا الْخَيْرَ فَالْخَيْرِ، أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ وَلَيْسَ مَعِيَ رَجُلٌ وَاحِدٌ؟ فَمَا الَّذِي يَصَدِّقُونِي بِهِ أَوْ يَأْمَنُونِي عَلَيْهِ بَعْدَ هَذَا؟

وقال آخرون في ذلك بما:

11856- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: أَنهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا: أتواخذنا وليس منا رجل واحد ترك عبادتك ولا استبدل بك غيرك؟

وأولى القولين بتأويل الآية, قول من قال: إن موسى إنما حزن على هلاك السبعين بقوله: أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّقَهَاءُ مِنَّا وَأَنَّهُ إِنَّمَا عَنَى بالسفهاء: عبدة العجل وذلك أنه محال أن يكون موسى صلى الله عليه وسلم كان تخير من قومه لمسألة ربه ما أراه أن يسأل لهم إلا الأفضل فالأفضل منهم, ومحال أن يكون الأفضل كان عنده من أشرك في عبادة العجل واتخذه دون الله إلها.

قال: فإن قال قائل: فجائز أن يكون موسى عليه السلام كان معتقدا أن الله سبحانه يعاقب قوما بذنوب غيرهم, فيقول: أتهلكنا بذنوب من عبد العجل, ونحن من ذلك برآء؟ قيل: جائز أن يكون معنى الإهلاك: قبض الأرواح على غير وجه العقوبة, كما قال جل ثناؤه: **إِن أَمْرٌ هَلَكَ يَعْنِي: مات, فيقول: أتميتنا بما فعل السفهاء منا.**

وأما قوله: **إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ** فإنه يقول **جَلَّ ثَنَاؤُهُ**: ما هذه الفعلة التي فعلها قومي من عبادتهم ما عبدوا دونك, إلا فتنة منك أصابتهم. ويعني بالفتنة: الابتلاء والاختبار. يقول: ابتليتهم بها ليتبين الذي يضل عن الحق بعبادته إياه والذي يهتدي بترك عبادته. وأضاف إضلالهم وهدايتهم إلى الله, إذ كان ما كان منهم من ذلك عن سبب منه **جَلَّ ثَنَاؤُهُ**.

وبنحو ما قلنا في الفتنة قال جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 11857- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن أبي جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية: **إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ** قال: بليتك.

11858- قال: ثنا حيوية الرازي, عن يعقوب, عن جعفر بن أبي المغيرة, عن سعيد بن جبیر: **إِلَّا فِتْنَتُكَ**: إلا بليتك.

11859- حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بن سعد, قال: أخبرنا ابن جعفر, عن الربيع بن أنس: **إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ** قال: بليتك.

11860- قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن علي بن أبي طلحة, عن ابن عباس: **إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ** إن هو إلا عذابك تصيب به من تشاء, وتصرفه عن تشاء.

11861- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: **إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ** أنت فتنتهم.

وقوله: **أَنْتَ وَلَيْنَا يَقُولُ: أَنْتَ نَاصِرُنَا**. فأعفر لنا يقول: فاستر علينا ذنوبنا بتركك عقابنا عليها. **وَأَرْحَمُنَا**: تعطف علينا برحمتك. **وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ** يقول: خير من صفح عن جرم وستر على ذنب.

الآية : 156

القول في تأويل قوله تعالى: **{وَإِكْتُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ قَالَ عَدَايَ أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ }..** يقول تعالى ذكره مخبرا عن دعاء نبيه موسى عليه السلام أنه قال فيه: **وَإِكْتُتِبَ لَنَا**: أي اجعلنا ممن كتبت له في هذه الدنيا حَسَنَةً وهي الصالحات من الأعمال, وفي الآخرة ممن كتبت له المغفرة لذنوبه. كما:

11862- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريح, قوله: **وَإِكْتُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ** قال: مغفرة. وقوله: **إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ** يقول: **إِنَّا تَبْنَا إِلَيْكَ**.

- وينحو ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
11863- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا جرير وابن فضيل وعمران بن عيينة،
عن عطاء، عن سعيد بن جبير وقال عمران، عن ابن عباس: **إِنَّا هُذْنَا إِلَيْكَ**
قال: **إِنَّا تَبْنَا إِلَيْكَ**.
- 11864- قال: حدثنا زيد بن حباب، عن حماد بن سلمة، عن عطاء، عن
سعيد بن جبير، قال: **تَبْنَا إِلَيْكَ**.
- 11865- قال: حدثنا جابر بن نوح، عن أبي رَوْق عن الضحاك، عن ابن
عباس قال: **تَبْنَا إِلَيْكَ**.
- قال: حدثنا عبد الله بن بكر، عن حاتم بن أبي مغيرة، عن سماك: أن ابن
عباس قال في هذه الآية: **إِنَّا هُذْنَا إِلَيْكَ** قال: **تَبْنَا إِلَيْكَ**.
- حدثني المثنى، قال: حدثنا الحجاج، قال: حدثنا حماد، عن عطاء بن
السائب، عن سعيد بن جبير، قال: أحسبه عن ابن عباس: **إِنَّا هُذْنَا إِلَيْكَ**
قال: **تَبْنَا إِلَيْكَ**.
- حدثني محمد بن سعد، قال: **ثَنِي أَبِي**، قال: **ثَنِي عَمِي**، قال: **ثَنِي**
أَبِي، عن أبيه، عن ابن عباس: **إِنَّا هُذْنَا إِلَيْكَ** يقول: **تَبْنَا إِلَيْكَ**.
- حدثنا محمد بن بشار، قال: **ثَنِي يَحْيَى** بن سعيد، قال: حدثنا سفيان،
قال: حدثنا عبد الرحمن بن الأصبهاني عن سعيد بن جبير، في قوله: **إِنَّا**
هُذْنَا إِلَيْكَ قال: **تَبْنَا إِلَيْكَ**.
- قال: حدثنا عبد الرحمن ووكيع بن الجراح، قالوا: حدثنا سفيان عن عبد
الرحمن بن الأصبهاني، عن سعيد بن جبير بمثله.
- 11866- حدثني ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن سفيان، عن ابن
الأصبهاني، عن سعيد بن جبير، مثله.
- 11867- قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: **تَبْنَا إِلَيْكَ**.
قال: حدثنا محمد بن زيد، عن العوام، عن إبراهيم التيمي، قال: **تَبْنَا**
إِلَيْكَ.
- حدثني المثنى، قال: حدثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن
العوام، عن إبراهيم التيمي مثله.
- 11868- حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن
قتادة: **إِنَّا هُذْنَا إِلَيْكَ** أي **إِنَّا تَبْنَا إِلَيْكَ**.
- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن
قتادة، في قوله: **هُذْنَا إِلَيْكَ** قال: **تَبْنَا**.
- 11869- حدثنا موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن
السدّي: **إِنَّا هُذْنَا إِلَيْكَ** يقول: **تَبْنَا إِلَيْكَ**.
- 11870- قال: حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا
عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **إِنَّا هُذْنَا إِلَيْكَ** يقول: **تَبْنَا إِلَيْكَ**.
حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي
نجيح، عن مجاهد، مثله.
- 11871- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن أبي جعفر الرازي، عن
الربيع بن أنس، عن أبي العالية، قال: **هُذْنَا إِلَيْكَ** قال: **تَبْنَا إِلَيْكَ**.
- قال: ثنا أبي، عن أبي جحير، عن الضحاك، قال: **تَبْنَا إِلَيْكَ**.
- 11872- قال: ثنا المحاربي، عن جوبير، عن الضحاك، قال: **تَبْنَا إِلَيْكَ**.

وحدث عن الحسين بن الفرخ, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول, فذكر مثله.
قال: ثنا أبي وعبيد الله, عن شريك, عن جابر, عن مجاهد, قال: ثنا إليك.

11873- قال: ثنا حبوبة أبو يزيد, عن يعقوب, عن جعفر, عن سعيد بن جبير, مثله.

11874- قال: ثنا أبي, عن شريك, عن جابر, عن عبد الله بن يحيى, عن عليّ عليه السلام, قال: إنما سميت اليهود لأنهم قالوا هُذْنَا إِلَيْكَ.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثنا معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: إنا هُذْنَا إِلَيْكَ يعني: ثنا إليك.

حدثنا ابن البرقي, قال: حدثنا عمرو, قال: سمعت رجلاً يسأل سعيداً: إنا هُذْنَا إِلَيْكَ قال: إنا ثنا إليك.

وقد بيّنا معنى ذلك بشواهد في ما مضى قيل بما أغنى عن إعادته.
القول في تأويل قوله تعالى: قَالَ عَدَايَ أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ.

يقول تعالى ذكره: قَالَ اللهُ لِمُوسَى: هذا الذي أصبت به قومك من الرجفة عَدَايَ أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ من خلقي, كما أصيب به هؤلاء الذين أصبتهم به من قومك. وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ يقول: ورحمتي عمت خلقي كلهم.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم مخرجه عامٌّ ومعناه خاصٌّ, والمراد به: ورحمتي وسعت المؤمنين بي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم. واستشهد بالذي بعده من الكلام, وهو قوله: فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ... الآية. ذكر من قال ذلك.

11875- حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو سلمة المنقري, قال: حدثنا

حماد بن سلمة, قال: أخبرنا عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس أنه قرأ: وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ قال: جعلها الله لهذه الأمة.

11876- حدثني عبد الكريم, قال: حدثنا إبراهيم بن بشار, قال: قال سفيان, قال أبو بكر الهذلي: فلما نزلت: وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ قال

إبليس: أنا من الشيء. فنزعها الله من إبليس, قال: فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ فقال اليهود: نحن نتقي ونؤتي الزكاة, ونؤمن بآيات ربنا. فنزعها الله من اليهود, فقال: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ... الآيات كلها. قال: فنزعها الله من إبليس ومن اليهود وجعلها لهذه الأمة.

11877- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثنا حجاج, عن ابن جريج, قال: لما نزلت: وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ قال إبليس: أنا من كل شيء, قال الله: فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ... الآية. فقالت اليهود: ونحن نتقي ونؤتي الزكاة. فأنزل الله:

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ قال: نزعها الله عن إبليس وعن اليهود, وجعلها لأمة محمد, ساكنتها للذين يتقون من قومك.

11878- حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: عَدَّابِي أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَقَالَ إِبْلِيسُ: أَنَا مِنْ ذَلِكَ الشَّيْءِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ مَعَاصِي اللَّهِ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. فتمنتها اليهود والنصارى. فانزل الله بشرطاً وثيقاً بيننا، فقال: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ فَهُوَ نَبِيِّكُمْ كَانَ أُمِّيًّا لَا يَكْتُبُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

11879- حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عليه، قال: أخبرنا خالد الحدَّاء، عن أنيس بن أبي العريان، عن ابن عباس، في قوله: وَآكُتُّبُ لَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ قَالَ: فَلَمْ يَعْطَاهَا، فَقَالَ: عَدَّابِي أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ إِلَى قَوْلِهِ: الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ.

حدثني ابن وكيع، قال: حدثنا ابن عليه وعبد الأعلى، عن خالد، عن أنيس بن أبي العريان قال عبد الأعلى: عن أنيس بن أبي العريان وقال: قال ابن عباس: وَآكُتُّبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ قَالَ: فَلَمْ يَعْطَاهَا مُوسَى. قَالَ عَدَّابِي أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُتُهَا... إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

11880- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قال: كَانَ اللَّهُ كَتَبَ فِي الْأَلْوَا حِ ذَكَرَ مُحَمَّدٌ وَذَكَرَ أُمَّتَهُ وَمَا أَخْرَجَ لَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يَسِّرُ عَلَيْهِمْ فِي دِينِهِمْ وَمَا وَسَّعَ عَلَيْهِمْ فِيمَا أَجَلَ لَهُمْ، فَقَالَ: عَدَّابِي أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ يَعْنِي الشَّرْكَ، الْآيَةَ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ عَلَى الْعَمُومِ فِي الدُّنْيَا وَعَلَى الْخُصُوصِ فِي الْآخِرَةِ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ.

11881- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن وقتادة، في قوله: وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ قَالَا: وَسَعَتْ فِي الدُّنْيَا الْبِرَّ وَالْفَاجِرَ، وَهِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا خَاصَّةً. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ عَلَى الْعَمُومِ، وَهِيَ التَّوْبَةُ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ.

11882- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَآكُتُّبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ فَقَالَ: سَأَلَ مُوسَى هَذَا، فَقَالَ اللَّهُ: عَدَّابِي أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ الْعَذَابِ الَّذِي ذَكَرَ وَرَحْمَتِي التَّوْبَةُ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ. قَالَ: فَرَحِمْتَهُ: التَّوْبَةُ الَّتِي سَأَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَتَبَهَا اللَّهُ لَنَا.

وأما قوله: فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ فَإِنَّهُ يَقُولُ: فَسَاكُتُ رَحْمَتِي الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَمَعْنَى «أَكْتُبُ» فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: أَكْتُبُ فِي اللَّوْحِ الَّذِي كَتَبَ فِيهِ التَّوْرَةَ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ يَقُولُ: لِلْقَوْمِ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ وَيَخْشَوْنَ عِقَابَهُ عَلَى الْكُفْرِ بِهِ وَالْمَعْصِيَةِ لَهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَيُؤَدُّونَ فَرَائِضَهُ، وَبِجْتَنَابِ مَعَاصِيهِ.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله هؤلاء القوم بأنهم يتقونه، فقال بعضهم: هو الشرك. ذكر من قال ذلك.

11883- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس: فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ يَعْنِي الشَّرْكَ.

وقال آخرون: بل هو المعاصي كلها. ذكر من قال ذلك.
 11884- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة:
 قَسَاكُنْبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ معاصي الله.
 وأما الزكاة وإيتاؤها، فقد بينا صفتها فيما مضى بما أغنى عن إعادته.
 وقد ذكر عن ابن عباس في هذا الموضوع أنه قال في ذلك ما:
 11885- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله، قال ثني معاوية، عن
 عليّ، عن ابن عباس: وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ قال: يطيعون الله ورسوله.
 فكان ابن عباس تأوّل ذلك بمعنى أنه العمل بما يزكي النفس وبطهرها
 من صالحات الأعمال.
 وأما قوله: وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ فإنه يقول: وللقوم الذين هم بأعلامنا
 وأدلتنا يصدّقون ويقرّون.

الآية: 157

القول في تأويل قوله تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي
 يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ
 الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ
 وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ
 الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {..

وهذا القول إبانة من الله جلّ ثناؤه عن أن الذين وعد موسى نبيه عليه
 السلام أن يكتب لهم الرحمة التي وصفها جلّ ثناؤه بقوله: وَرَحْمَتِي
 وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه لا يعلم لله
 رسول وصف بهذه الصفة أعني الأمي غير نبينا محمد صلى الله عليه
 وسلم، وبذلك جاءت الروايات عن أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.
 11886- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمران بن عيينة، عن عطاء، عن
 سعيد بن جبير، عن ابن عباس: قَسَاكُنْبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ قال: أمة محمد
 صلى الله عليه وسلم.

قال: ثنا زيد بن حباب، عن حماد بن سلمة، عن عطاء، عن ابن عباس،
 قال: أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

11887- حدثنا أبو كريب وابن وكيع، قالوا: حدثنا يحيى بن يمان، عن
 أشعث، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: قَسَاكُنْبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ قال: أمة
 محمد صلى الله عليه وسلم، فقال موسى عليه السلام: ليتني خلقت
 في أمة محمد

11888- حدثنا ابن حميد وابن وكيع، قالوا: حدثنا جرير، عن عطاء، عن
 سعيد بن جبير: قَسَاكُنْبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ قال: الذين يتبعون محمدا صلى الله
 عليه وسلم.

11889- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا جرير، عن ليث، عن شهر بن
 حوشب، عن توف الحميري، قال: لما اختار موسى قومه سبعين رجلاً
 لميقات ربه قال الله لموسى: أجعل لكم الأرض مسجداً وطهوراً، وأجعل
 السكنية معكم في بيوتكم، وأجعلكم تفرعون التوراة عن ظهور قلوبكم،
 يقرؤها الرجل منكم والمرأة والحُرُّ والعبد والصغير والكبير. فقال موسى
 لقومه: إن الله قد يجعل لكم الأرض طهوراً ومسجداً. قالوا: لا نريد أن
 نصلي إلا في الكنائس. قال: ويجعل السكنية معكم في بيوتكم. قالوا: لا
 نريد إلا أن تكون كما كانت في التابوت. قال: ويجعلكم تفرعون التوراة عن

ظهور قلوبكم، ويقرؤها الرجل منكم والمرأة والحر والعبد الصغير والكبير. قالوا: لا نريد أن نقرأها إلا نظرا. فقال الله: قَسَاكُنْبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ... إلى قوله: أَوْلَيْكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ.

11890- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن نوف اليبكالي، قال: لما انطلق موسى بوفد بني إسرائيل كلمه الله، فقال: إني قد بسطت لهم الأرض طهورا ومساجد يصلون فيها حيث أدركتهم الصلاة إلا عند مرحاض أو قبر أو حمام، وجعلت السكنية في قلوبهم، وجعلتهم يقرءون التوراة عن ظهر السننهم. قال: فذكر ذلك موسى لبني إسرائيل، فقالوا: لا نستطيع حمل السكنية في قلوبنا، فاجعلها لنا في تابوت، ولا نقرأ التوراة إلا نظرا، ولا نصلي إلا في الكنيسة فقال الله: قَسَاكُنْبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ... حتى بلغ: أَوْلَيْكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ. قال: فقال موسى عليه السلام: يا رب اجعلني نبيهم قال: نبيهم منهم. قال: رب اجعلني منهم قال: لن تدركهم. قال: يا رب أتيتك بوفد بني إسرائيل، فجعلت وفادتنا لغيرنا فأنزل الله: وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ. قال نوف اليبكالي: فاحمدوا الله الذي حفظ غيبتكم، وأخذ لكم بسهمكم، وجعل وفادة بني إسرائيل لكم.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا معاذ بن هشام، قال: ثني أبي، عن يحيى بن أبي كثير، عن نوف اليبكالي بنحوه، إلا أنه قال: فإني أنزل عليكم التوراة تقرءونها عن ظهر السننكم، رجالكم ونساؤكم وصبيانكم. قالوا: لا نصلي إلا في كنيسة، ثم ذكر سائر الحديث نحوه. حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل، عن يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جبير: قَسَاكُنْبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ قال: أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

11891- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: قَسَاكُنْبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ قال: هؤلاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

11892- حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: لما قيل: قَسَاكُنْبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ تمتها اليهود والنصارى، فأنزل الله شرطا بيننا وثيقا، فقال: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ وَهُوَ نَبِيكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أُمِّيًّا لَا يَكْتُبُ.

وقد بينا معنى الأمي فيما مضى بما أغنى عن إعادته. وأما قوله: الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ فَإِنَّ الْهَاءَ فِي قَوْلِهِ: يَجِدُونَهُ عَائِدَةٌ عَلَى الرَّسُولِ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم. كالذي:

11893- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، قوله: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ هذا محمد صلى الله عليه وسلم.

11894- حدثني ابن المثنى، قال: حدثنا عثمان بن عمر، قال: حدثنا فليح عن هلال بن علي، عن عطاء بن يسار، قال: لقيت عبد الله بن عمرو، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في

التوراة قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمينين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صحاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح ولن نقبضه حتى نقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فنفتح به قلوباً غلفاً وأذانا صمماً، وأعيناً غمماً. قال عطاء: ثم لقيت كعباً فسألته عن ذلك، فما اختلفا حرفاً، إلا أن كعباً قال بلغته: قلوباً غلوفياً. وأذانا صمومياً، وأعيناً عمومياً.

حدثني أبو كريب، قال: حدثنا موسى بن داود، قال: حدثنا فليح بن سليمان، عن هلال بن علي، قال: ثني عطاء، قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فذكر نحوه. إلا أنه قال في كلام كعب: أعينا عموماً، وأذانا صموماً، وقلوباً غلوفاً.

قال: ثنا موسى، قال: حدثنا عبد العزيز بن سلمة، عن هلال بن علي، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بنحوه، وليس فيه كلام كعب. 11895- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: الله: الذي يجدونه مكتوباً عندهم يقول: يجدون نعته وأمره ونبوته مكتوباً عندهم.

القول في تأويل قوله تعالى: يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ.

يقول تعالى ذكره: يأمر هذا النبي الأمي أتباعه بالمعروف، وهو الإيمان بالله ولزوم طاعته فيما أمر ونهى، فذلك المعروف الذي يأمرهم به، وينهاهم عن المنكر وهو الشرك بالله، والانتهاه عما نهاهم الله عنه. وقوله: ويجلل لهم الطيبات وذلك ما كانت الجاهلية تحرمه من البحائر والسوائب والوصائل والحوامي. ويحرم عليهم الخبائث وذلك لحم الخنزير والربا، وما كانوا يستحلونه من المطاعم والمشارب التي حرمها الله. كما:

11896- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس: ويحرم عليهم الخبائث وهو لحم الخنزير والربا، وما كانوا يستحلونه من المحرمات من المأكلات التي حرمها الله.

وأما قوله: وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ أَهْلَ التَّوْبَةِ اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهِ، فقال بعضهم: يعني بالإصر: العده والميثاق الذي كان أخذ على بني إسرائيل بالعمل بما في التوراة. ذكر من قال ذلك.

11897- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا جابر بن نوح، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ قال: عهدهم.

11898- قال: ثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك، قال: عهدهم. حدثني المثنى، قال: حدثنا عمرو بن علي، قال: أخبرنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك، مثله.

11899- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا يحيى بن يمان، عن مبارك، عن الحسن: وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ قال: العهود التي أعطوها من أنفسهم.

- 11900- قال: ثنا ابن نمير, عن موسى بن قيس, عن مجاهد: وَبَصَّعَ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ قال: عهدهم.
- 11901- حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: وَيَصَّعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ يقول: يضع عنهم عهدهم وموائيقهم التي أخذت عليهم في التوراة والإنجيل.
- 11902- حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس: وَيَصَّعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ما كان الله أخذ عليهم من الميثاق فيما حرّم عليهم, يقول: يضع ذلك عنهم.
- وقال بعضهم: عني بذلك أنه يضع عن ابن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم التشديد الذي كان على بني إسرائيل في دينهم. ذكر من قال ذلك.
- 11903- حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَيَصَّعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فجاء محمد صلى الله عليه وسلم بإقالة منه وتجاوز عنه.
- 11904- حدثني المثنى, قال: حدثنا الحماني, قال: حدثنا شريك, عن سالم, عن سعيد: وَيَصَّعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ قال: البول ونحوه مما غلظ على بني إسرائيل.
- 11905- قال: ثنا الحماني, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد, قال: شدة العمل.
- 11906- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريح, قال: قال مجاهد, قوله: وَيَصَّعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ قال: من اتبع محمداً ودينه من أهل الكتاب, وضع عنهم ما كان عليهم من التشديد في دينهم.
- 11907- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن فضيل, عن أشعث, عن ابن سيرين, قال: قال أبو هريرة لابن عباس: ما علينا في الدين من حرج أن نزنّي ونسرق؟ قال: بلى, ولكن الإصر الذي كان على بني إسرائيل وُضع عنكم.
- 11908- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَيَصَّعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ قال: قال أبو هريرة لابن عباس: ما علينا في الدين من حرج أن نزنّي ونسرق؟ قال: بلى, ولكن الإصر الذي كان على بني إسرائيل وُضع عنكم.
- 11909- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَيَصَّعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ قال: ها من الأعمال الشديدة كقطع الجلد من البول, وتحريم الغنائم, ونحو ذلك من الأعمال التي كانت عليهم مفروضة, فنسخها حكم القرآن.
- وأما الأغلال التي كانت عليهم, فكان ابن زيد يقول بما:
- 11910- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب عنه في قوله: وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ قال: الأغلال. وقرأ عُلْتُ أَيَدِيهِمْ قال: تلك الأغلال, قال: ودعاهم إلى أن يؤمنوا بالنبيّ, فيضع ذلك عنهم.
- القول في تأويل قوله تعالى: فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

يقول تعالى ذكره: فالذين صدّقوا بالنبي الأمي، وأقرّوا بنبوته، وعزّروه يقول: وقروه وعظموه وحموه من الناس. كما:

11911- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس: وعزّروه يقول: حموه ووقروه.

11912- حدثني الحرث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: ثني موسى بن قيس، عن مجاهد: وعزّروه وتصرّوه قال: عزّروه: سدّوا أمره، وأعانوا رسوله ونصروه.

وقوله تصرّوه يقول: وأعانوه على أعداء الله وأعدائه بجهادهم وينصب الحرب لهم. واتبّعوا النور الذي أنزل معه يعني القرآن والإسلام. أولئك هم الْمُفْلِحُونَ يقول: الذين يفعلون هذه الأفعال التي وصف بها جل ثناؤه أتباع محمد صلى الله عليه وسلم هم المنجحون. المدركون ما طلبوا ورجوا بفعلهم ذلك.

11913- حدثني بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: فما نقموا، يعني اليهود إلا أن حسدوا نبي الله، فقال الله: الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَتَصَرَّوهُ فَمَا نَصَرَهُ وتعزيزه فقد سبقتم به، ولكن خياركم من آمن بالله واتبع النور الذي أنزل معه. يريد قتادة بقوله: «فما نقموا إلا أن حسدوا نبي الله» أن اليهود كان محمد صلى الله عليه وسلم بما جاء به من عند الله رحمة عليهم لو اتبعوه، لأنه جاء بوضع الإصر والأغلال عنهم، فحملهم الحسد على الكفر به وترك قبول التخفيف لغلبة خذلان الله عليهم.

الآية : 158

القول في تأويل قوله تعالى: { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ .. }

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للناس كلهم: إنني رسول الله إليكم جميعاً لا إلى بعضكم دون بعض، كما كان من قبلي من الرسل، مرسلًا إلى بعض الناس دون بعض، فمن كان منهم أرسل كذلك، فإن رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض ولكنها إلى جميعكم. وقوله: الذي من نعت اسم الله. وإنما معنى الكلام: قا يا أيها الناس، إنني رسول الله الذي له ملك السموات والأرض إليكم. ويعني جل ثناؤه بقوله: الذي له ملك السموات والأرض: الذي له سلطان السموات والأرض وما فيهما، وتديير ذلك وتصريفه. لا إله إلا هو يقول: لا ينبغي أن تكون الألوهة والعبادة إلا له جل ثناؤه دون سائر الأشياء غيره من الأنداد والأوثان، إلا لمن له سلطان كل شيء والقادر على إنشاء خلق كل ما شاء وإحيائه وإفناؤه إذا شاء إمامته. فأمنوا بالله ورسوله يقول جل ثناؤه: قل لهم: فصدّقوا بآيات الله الذي هذه صفته، وأقرّوا بوحدانيته، وأنه الذي له الألوهة والعبادة، وصدّقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم أنه مبعوث إلى خلقه داع إلى توحيده وطاعته. القول في تأويل قوله تعالى: النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ.

وأما قوله: النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ فإنه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم, وقد بينت معنى النبي فيما مضى بما أغنى عن إعادته. ومعنى قوله: الْأُمِّيُّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَقُولُ: الَّذِي يَصَدِّقُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ. ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: وَكَلِمَاتِهِ فقال بعضهم: معناه: وآياته. ذكر من قال ذلك.

11914- حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ يَقُولُ: آياته.
وقال آخرون: بل عني بذلك عيسى ابن مريم عليه السلام. ذكر من قال ذلك.

11915- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريح, قال: قال مجاهد, قوله: الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ قَالَ: عيسى ابن مريم.

11916- وحدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ فَهُوَ عيسى ابن مريم. قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله تعالى ذكره أمر عباده أن يصدقوا بنبوة النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته. ولم يخص الخبر جل ثناؤه عن إيمانه من كلمات الله ببعض دون بعض, بل أخبرهم عن جميع الكلمات, فالحق في ذلك أن يعم القول, فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤمن بكلمات الله كلها على ما جاء به ظاهر كتاب الله.

وأما قوله: وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ فإهتدوا به أيها الناس, واعملوا بما أمركم أن تعملوا به من طاعة الله لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ يقول: لكي تهتدوا فترشدوا, وتصيبوا الحق في اتباعكم إياه.

الآية : 159

القول في تأويل قوله تعالى: { وَمِنْ قَوْمٍ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ } ..

يقول تعالى ذكره: وَمِنْ قَوْمٍ مُوسَى يعني بني إسرائيل, أُمَّةٌ يقول: جماعة, يَهْدُونَ بِالْحَقِّ يقول: يهتدون بالحق: أي يستقيمون عليه ويعملون, وَبِهِ يَعْدِلُونَ: أي وبالحق يعطون وبأخذون, وينصفون من أنفسهم فلا يجورون. وقد قال في صفة هذه الأمة التي ذكرها الله في الآية جماعة أقوالاً نحن ذاكروا ما حصرنا منها:

11917- حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزبير, عن ابن عيينة, عن صدقة أبي الهذيل, عن السدي: وَمِنْ قَوْمٍ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ قَالَ: قوم بينكم وبينهم نهر من شهد.

11918- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريح, قوله: وَمِنْ قَوْمٍ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ قَالَ: بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم كفروا, وكانوا اثني عشر سبطاً, تبرأ سبط منهم مما صنعوا, واعتذروا, وسألوا الله أن يفرق بينهم وبينهم, ففتح الله لهم بقاء في الأرض, فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين, فهم هنالك حنفاء مسلمون, يستقبلون قبلتنا. قال ابن جريح: قال ابن عباس: فذلك قوله: وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ

وَعُدُّ الْآخِرَةَ جِنًّا بِكُمْ لَئِيفًا و وَعَد الْآخِرَةَ عَيْسَى ابْن مَرْيَم يَخْرُجُونَ مَعَهُ .
قال ابن جريح: قال ابن عباس: ساروا في السَّرب سنة ونصفا.

الآية : 160

القول في تأويل قوله تعالى: { وَاقْطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا
وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اصْرَبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ
مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَمَامَ وَأَنْزَلْنَا
عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلًّا مِّنَ طَيِّبَاتٍ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } ..

يقول تعالى ذكره: فرقناهم، يعني قوم موسى من بني إسرائيل،
فرَّقهم الله فجعلهم قبائل شتى، اثنتي عشرة قبيلة. وقد بينا معنى
الأسباط فيما مضى ومن هم.

واختلف أهل العربية في وجه تأنيث الاثنتي عشرة والأسباط جمع
مذكر، فقال بعض نحويي البصرة: أراد اثنتي عشرة فرقة، ثم أخبر أن
الفِرَق أسباط، ولم يجعل العدد على أسباط. وكان بعضهم يَسْتَخِلُّ هذا
التأويل ويقول: لا يخرج العدد على عين الثاني، ولكن الفِرَق قبل الاثنتي
عشرة حتى تكون الاثنتا عشرة مؤنثة على ما قبلها، ويكون الكلام:
واقطعناهم فرقا اثنتي عشرة أسباطا، فيصح التأنيث لما تقدّم. وقال
بعض نحويي الكوفة، إنما قال اثنتي عشرة بالتأنيث والسبب مذكر، لأن
الكلام ذهب إلى الأمم فغلب التأنيث وإن كان السبب ذكرا، وهو مثل قول
الشاعر:

وَإِنَّ كِلَابًا هَذِهِ عَشْرٌ أَبْطِنُوا نَتَّ بَرِيءٌ مِنْ قَبَائِلِهَا الْعَشْرُ
ذهب بالبطن إلى القبيلة والفصيحة، فلذلك جمع البطن بالتأنيث.
وكان آخرون من نحويي الكوفة يقولون: إنما أنثت «الاثنتا عشرة» و
«السبب» ذكر، لذكر «الأمم».

والصواب من القول في ذلك عندي أن الاثنتي عشرة أنثت لتأنيث
القطعة. ومعنى الكلام: وقطعناهم قطعا اثنتي عشرة، ثم ترجم عن القطع
بالأسباط. وغير جائز أن تكون الأسباط مفسرة عن الاثنتي عشرة وهي
جمع، لأن التفسير فيما فوق العشر إلى العشرين بالتوحيد لا بالجمع،
والأسباط جمع لا واحد، وذلك كقولهم: عندي اثنتا عشرة امرأة، ولا يقال:
عندي اثنتا عشرة نسوة، ففي ذلك أن الأسباط ليست بتفسير للاثنتي
عشرة، وإن القول في ذلك على ما قلنا. وأما الأمم فالجماعات،
والسبب في بني إسرائيل نحو القرن. وقيل: إنما فرَّقوا أسباطا
لاختلافهم في دينهم.

القول في تأويل قوله تعالى: وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ
اصْرَبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلًّا مِّنَ
طَيِّبَاتٍ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ .

يقول تعالى ذكره: وأوحينا إلى موسى إذ فرَّقنا بني إسرائيل قومه
اثنتي عشرة فرقة، وتيهناهم في التيه فاستسقوا موسى من العطش
وعثور الماء أن اصْرَبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ وقد بينا السبب الذي كان قومه
استسقوه، وبيننا معنى الوحي بشواهد. فانْبَجَسَتْ فانصبت وانفجرت من
الحجر اثنتا عشرة عَيْنًا من الماء، قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ يعني: كلُّ أُنَاسٍ من

الأسباط الاثنتي عشرة مَشَرَبَهُمْ لا يدخل سبط على غيره في شربه. وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَمَامَ يُكَبِّهُم من حرّ الشمس وأذاها. وقد بينا معنى الغمام فيما مضى قَبْلَ، وكذلك المَنَّ والسِّلْوَى. وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسِّلْوَى طعاما لهم. كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ يقول: وقلنا لهم: كلوا من حلال ما رزقناكم أيها الناس وطيبناه لكم. وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ، وفي الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ظهر عما ترك، وهو: فاجمعوا ذلك وقالوا: لن نصبر على طعام واحد، فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير. وَمَا ظَلَمُونَا يقول: وما أدخلوا علينا نقصا في ملكنا وِسْطَانَا بمسألتهم ما سألوا، وفعلهم ما فعلوا. وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ: أي ينقصونها حظوظها باستبدالهم الأدنى بالخير والأرذل بالأفضل.

الآية : 161

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَعْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ } ..

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر أيضا يا محمد من خطايا فعل هؤلاء القوم وخلافهم على ربهم وعصيانهم نبينهم موسى عليه السلام وتبديلهم القول الذي أمروا أن يقولوه حين قال الله لهم: اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وهي قرية بيت المقدس، وَكُلُوا مِنْهَا يقول: من ثمارها وحبوبها ونباتها، حَيْثُ شِئْتُمْ منها يقول: أنى شئتم منها، وَقُولُوا حِطَّةٌ يقول: وقولوا: هذه الفعلة حطة تحط ذنوبنا، نَعْفِرْ لَكُمْ: يتعمد لكم ربكم ذنوبكم التي سلفت منكم، فيعفو لكم عنها، فلا يؤاخذكم بها. سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ منكم، وهم المطيعون لله، على ما وعدتكم من غفران الخطايا. وقد ذكرنا الروايات في كل ذلك باختلاف المختلفين والصحيح من القول لدينا فيه فيما مضى بما أغني عن إعادته.

الآية : 162

القول في تأويل قوله تعالى: {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ } ..

يقول تعالى ذكره: فغير الذين كفروا بالله منهم ما أمرهم الله به من القول، فقالوا: وقد قيل لهم قولوا هذه حطة: حنطة في شعيرة وقولهم ذلك كذلك هو غير القول الذي قيل لهم قولوه. يقول الله تعالى: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ: بعثنا عليهم عذابا أهلكتناهم بما كانوا يعيرون ما يؤمرون به، فيفعلون خلاف ما أمرهم الله بفعله ويقولون غير الذي أمرهم الله بقيله. وقد بينا معنى الرجز فيما مضى.

الآية : 163

القول في تأويل قوله تعالى: {وَسَلِّطْنَاهُمْ عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } ..

يقول تعالى ذكره: واسأل يا محمد هؤلاء اليهود وهم مجاوروك، عن أمر القرية التي كانت حاضرة البحر، يقول: كانت بحضرة البحر أي بقرب البحر وعلى شاطئه.

واختلف أهل التأويل فيها، فقال بعضهم: هي أيلة. ذكر من قال ذلك.

11919- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا ابن إدريس، عن محمد بن إسحاق، عن داود بن حصين، عن عكرمة عن ابن عباس: **وَاسْتَلُّهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ** قال: هي قرية يقال لها أيلة، بين مدين والطور.

11920- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، في قوله: **وَاسْتَلُّهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ** قال: سمعنا أنها أيلة.

11921- حدثني سلام بن سالم الخزاعي، قال: حدثنا يحيى بن سليم الطائفي، قال: حدثنا ابن جريج، عن عكرمة، قال: دخلت على ابن عباس والمصحف في حجره، وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك جعلني الله فداك؟ فقال: **وبلك، وتعرف القرية التي كانت حاضرة البحر؟ فقلت: تلك أيلة.**

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن أبي بكر الهذلي، عن عكرمة، عن ابن عباس: **وَاسْتَلُّهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ** قال: هي أيلة.

حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: هي قرية على شاطئ البحر بين مصر والمدينة يقال لها أيلة.

11922- حدثنا موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، قال: هم أهل أيلة، القرية التي كانت حاضرة البحر.

11923- حدثني الحرث، قال: حدثنا أبو سعد، عن مجاهد، في قوله: **وَاسْتَلُّهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ** قال أيلة.

وقال آخرون: معناه: ساحل مدين.

11924- حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: **وَاسْتَلُّهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ... الآية**، ذكر لنا أنها كانت قرية على ساحل البحر يقال لها أيلة.

وقال آخرون: هي مقنا. ذكر من قال ذلك.

11925- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن يزيد، في قوله: **وَاسْتَلُّهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ** قال: هي قرية يقال لها مقنا بين مدين وعينوى.

وقال آخرون: هي مدين. ذكر من قال ذلك.

11926- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: هي قرية بين أيلة والطور يقال لها مدين.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: هي قرية حاضرة البحر، وجائز أن يكون أيلة، وجائز أن تكون مدين، وجائز أن تكون مقنا لأن كل ذلك حاضرة البحر. ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع العذر بأن ذلك من أي، والاختلاف فيه على ما وصفت، ولا يوصل إلى علم ما قد كان فمضى مما لم نعاينه، إلا بخبر يوجب العلم ولا خبر كذلك في ذلك.

وقوله: **إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ** يعني به أهله: إذ يعتدون في السبت أمر الله، ويتجاوزونه إلى ما حرّمه الله عليهم، يقال منه: عدا فلان أمرى واعتدى: إذا تجاوزه. وكان اعتداؤهم في السبت أن الله كان حرّم عليهم السبت، فكانوا يصطادون فيه السمك. **إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ**

شُرِّعًا: يقول: إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم الذي نهوا فيه عن العمل
شُرِّعًا، يقول: شارة ظاهرة على الماء من كل طريق وناحية كشوارع
الطوق. كالذي:

11927- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعد، عن بشر بن عمار،
عن أبي روق، عن الضحاك عن ابن عباس: إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم
شُرِّعًا يقول: ظاهرة على الماء.

11928- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال:
ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس شُرِّعًا يقول: من كل مكان.

وقوله: وَيَوْمَ لَا يَسْبُتُونَ يقول: ويوم لا يعظمونه تعظيمهم السبت، وذلك
سائر الأيام غير يوم السبت، لا تأتيهم الحيتان. كذلك تَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا
يَفْسُقُونَ يقول: كما وصفنا لكم من الاختبار والابتلاء الذي ذكرنا بإظهار
السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المحرّم عليهم صيده، وإخفائها
عنه في اليوم المحلل صيده، كذلك تَبْلُوهُمْ ونختبرهم بما كَانُوا يَفْسُقُونَ
يقول: بفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها.

واختلفت القراء في قراءة قوله: وَيَوْمَ لَا يَسْبُتُونَ فقرأ بفتح الياء من
«يسبتون» من قول القائل: سَبَبْتُ فلان يَسْبُتُ سَبْتًا وَسُبُوتًا: إذا عظّم
السبت. وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه: «وَيَوْمَ لَا يُسْبِتُونَ» بضم
الياء، من أسببت القوم يسبتون: إذا دخلوا في السبت، كما يقال: أجمعنا
مرّت بنا جمعة، وأشهرنا مرّ بنا شهر، وأسببتنا مرّ بنا سبت. ونصب «يوم»
من قوله: وَيَوْمَ لَا يَسْبُتُونَ بقوله: لا تأتيهم، لأن معنى الكلام: لا تأتيهم يوم
لا يسبتون.

الآية: 164

القول في تأويل قوله تعالى: { وَإِذَا قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا
اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إلی رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
.. }

يقول تعالى ذكره لنبیه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر أيضا يا
محمد، إذ قالت أمة منهم، جماعة منهم لجماعة كانت تعظ المعتدين في
السبت وتنهاهم عن معصية الله فيه: لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ فِي
الدنيا بمعصيتهم إياه، وخلافهم أمره، واستحلالهم ما حرّم عليهم. أو
مُعَدِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الآخرة، قال الذين كانوا ينهونهم عن معصية الله
مجيبهم عن قولهم: عطتنا إياهم مَعذِرَةٌ إلی رَبِّكُمْ نُوَدِّي فرضه علينا في
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ يقول: ولعلهم أن يتقوا
الله فيخافوه، فينبوا إلى طاعته ويتوبوا من معصيتهم إياه وتعديه على
ما حرّم عليهم من اعتدائهم في السبت. كما:

11929- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن داود بن
الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس: قَالُوا مَعذِرَةٌ إلی رَبِّكُمْ لِسَخَطِنَا
أَعْمَالِهِمْ. وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ: أي ينزعون عما هم عليه.

11930- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في
قوله: وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ قال: يتركون هذا العمل الذي هم عليه.

واختلفت القراء في قراءة قوله: قَالُوا مَعذِرَةٌ فقرأ ذلك عامة قراء
الحجاز والكوفة والبصرة: «مَعذِرَةٌ» بالرفع على ما وصفت من معناها.

وقرأ ذلك بعض أهل الكوفة: مَعْدِرَةٌ نَصَبًا، بمعنى: إعدارا وعظناهم وفعلنا ذلك.

واختلف أهل العلم في هذه الفرقة التي قالت: لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ هل كانت من الناجية، أم من الهالكة؟ فقال بعضهم: كانت من الناجية، لأنها كانت من الناهية الفرقة الهالكة عن الاعتداء في السبت. ذكر من قال ذلك.

11931- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا هي قرية على شاطئ البحر بين مكة والمدينة يقال لها أيلة، فحرم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم، فكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعا في ساحل البحر، فإذا مضى يوم السبت لم يقدروا عليها، فمكثوا بذلك ما شاء الله. ثم إن طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم، فنهتهم طائفة وقالوا: تأخذونها وقد حرمها الله عليكم يوم سبتكم فلم يزدادوا إلا غيًّا وعتوًّا، وجعلت طائفة أخرى تنهاهم. فلما طال ذلك عليهم قالت طائفة من الناهية: تعلمون أن هؤلاء قوم قد حَقَّ عليهم العذاب لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ؟ وكانوا أشدَّ غضبا لله من الطائفة الأخرى، فقالوا: مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ وكلُّ قد كانوا ينهاون. فلما وقع عليهم غضب الله، نجت الطائفتان اللتان قالوا: لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ، والذين قالوا: مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان، فجعلهم قرده وخنزير.

11932- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ... إلى قوله: وَيَوْمَ لَا يَسْتَبِئُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ قَرْيَةٍ كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ حَيْتَانِهِمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ، يقول: إذا كانوا يوم يسبتون تأتيهم شرعا، يعني من كل مكان، وَيَوْمَ لَا يَسْتَبِئُونَ لَا تَأْتِيهِمْ. وأنهم قالوا: لو أنا أخذنا من هذه الحيتان يوم تجيء ما يكفيننا فيما سوى ذلك من الأيام. فوعظهم قوم مؤمنون ونهوههم. وقالت طائفة من المؤمنين: إن هؤلاء قوم قد هموا بأمر ليسوا بمنتهين دونه، والله مخزيهم ومعدبهم عذابا شديدا. قال المؤمنون بعضهم لبعض: مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ إن كان هلاك فلعلنا ننجو وإما أن ينتهوا فيكون لنا اجرا. وقد كان الله جعل على بني إسرائيل يوما يعبدونه ويتفرغون له فيه، وهو يوم الاثنين، فتعدى الخبيثاء من الاثنين إلى السبت، وقالوا: هو يوم السبت. فنهاهم موسى، فاختلفوا فيه، فجعل عليهم السبت، ونهاهم أن يعملوا فيه وأن يعتدوا فيه. وإن رجلا منهم ذهب ليحتطب، فأخذه موسى عليه السلام، فسأله: هل أمرك بهذا أحد؟ فلم يجد أحدا أمره، فرجمه أصحابه.

11933- حدثني موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: قال بعض الذين نهوهم لبعض: لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا؟ يقول: لم تعظونهم وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم؟ فقال بعضهم: مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ.

11934- حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا معاذ بن هاني، قال: حدثنا حماد، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس: وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ

تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مَعْدِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالَ: مَا أَدْرِي أَنْجَا الَّذِينَ قَالُوا: لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَمْ لَا؟ قَالَ: فَلِمَ أزل به حتى عرّفته أنهم قد نجوا، فكساني حُلّة.

حدثني المثنى، قال: حدثنا حماد، عن داود، عن عكرمة، قال: قرأ ابن عباس هذه الآية، فذكر نحوه، إلا أنه قال في حديثه: فما زلت أبصّره حتى عرف أنهم قد نجوا.

حدثني سلام بن سالم الخزاعي، قال: حدثنا يحيى بن سليم الطائفي، قال: حدثنا ابن جريج، عن عكرمة، قال: دخلت على ابن عباس والمصحف في حجره وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك جعلني الله فداءك؟ قال: فقرأ: **وَاسْتَلُّهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ... إِلَى قَوْلِهِ: يَمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** قال ابن عباس: لا أسمع الفرقة الثالثة ذكرت نخاف أن نكون مثلهم. فقلت: أما تسمع الله يقول: **فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهِوا عَنْهُ؟ فَسَرَّيْ عَنْهُ وَكَسَانِي حُلّة.**

11935- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: ثني رجل، عن عكرمة، قال: جئت ابن عباس يوماً وهو يبكي، وإذا المصحف في حجره، فأعظمت أن أدنو، ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمت فجلست، فقلت: ما يبكيك يا ابن عباس جعلني الله فداءك؟ فقال: هؤلاء الورقات. قال: وإذا هو في سورة الأعراف. قال: تعرف أيلة؟ قلت: نعم. قال: فإنه كان حيّ من يهود سبقت الحيتان إليهم يوم السبت ثم غاصت لا يقدرون عليها حتى يغوصوا بعد كدّ ومؤنة شديدة، كانت تأتيهم يوم السبت شرّاً بيضا سمانا كأنها الماخض، تنتطح ظهورها لبطونها بأفنيتهم وأبنيتهم. فكانوا كذلك برهة من الدهر، ثم إن الشيطان أوحى إليهم، فقال: إنما نهيتم عن أكلها يوم السبت، فخذوها فيه وكلوها في غيره من الأيام فقالت ذلك طائفة منهم، وقالت طائفة منهم: بل نهيتم عن أكلها وأخذها وصيدها في يوم السبت. وكانوا كذلك حتى جاءت الجمعة المقبلة، فعدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها، واعتزلت طائفة ذات اليمين وتنحت، واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت، وقال الأيمنون: الله ينهاكم عن أن تعترضوا لعقوبة الله، وقال الأيسرون: لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مَعْدِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا؟ قال الأيمنون: مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أي ينتهون، فهو أحب إلينا أن لا يصابوا ولا يهلكوا، وإن لم ينتهوا فمعدرة إلى ربكم. فمضوا على الخطيئة، فقال الأيمنون: قد فعلتم يا أعداء الله، والله لا نبايتكم الليلة في مدينتكم، والله ما نراكم تصبحون حتى يصيبكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما عنده بالعذاب فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا، فلم يجابوا، فوضعوا سلماً وأعلوا سور المدينة رجلاً، فالتفت إليهم فقال: أي عباد الله قردة والله تعاوى لها أذنان قال: ففتحوا فدخلوا عليهم، فعرفت القردة أنسابها من الإنس، ولا تعرف الإنس أنسابها من القردة، فجعلت القردة تأتي نسيبها من الإنس، فتشم ثيابه وتبكي، فنقول لهم: ألم ينهكم عن كذا؟ فتقول برأسها نعم. ثم قرأ ابن عباس: **فَلَمَّا تَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْتِيسَ يَمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** قال: فأرى اليهود الذين نهوا قد نجوا، ولا أرى الآخرين ذكروا، ونحن نرى أشياء ننكرها، فلا نقول فيها، قال: قلت: أي جعلني الله فداك، ألا ترى أنهم قد

كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا: لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ
مَعْدِيَّهُمْ؟ قال: فأمر بي فكسيت بردين غليظين.

11936- حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن
قتادة: وَاسْتَلَّهْمُ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ
السَّبْتِ أَقْبَلَتِ الْحَيْتَانِ حَتَّى تَنْتَضِحَ عَلَى سِوَا حِلْمِهِمْ وَأَفْنَيْتَهُمْ لَمَّا بَلَغَهَا مِنْ
أَمْرِ اللَّهِ فِي الْمَاءِ، فَإِذَا كَانَ فِي غَيْرِ يَوْمِ السَّبْتِ بَعُدَتْ فِي الْمَاءِ حَتَّى
يَطْلُبَهَا طَالِبُهُمْ، فَأَتَاهُمُ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَكْلَهَا يَوْمَ
السَّبْتِ، فَاصْطَادُوهَا يَوْمَ السَّبْتِ وَكُلُوهَا فِيمَا بَعْدَ... قَوْلِهِ: وَإِذْ قَالَتْ أُمُّهُ
مِنْهُمْ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مَعْدِيَّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ
إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَصَارَ الْقَوْمُ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ: أَمَا صَنْفٌ، فَامْسَكُوا عَنْ
حَرَمَةِ اللَّهِ وَنَهَوْا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ. وَأَمَا صَنْفٌ فَامْسَكُوا عَنْ حَرَمَةِ اللَّهِ هَيْبَةً
لِلَّهِ. وَأَمَا صَنْفٌ فَاتَّهَكُوا الْحَرَمَةَ وَوَقَعَ فِي الْخَطِيئَةِ.

11937- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا
عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس في قول الله:
حَاضِرَةَ الْبَحْرِ قَالَ: حَرَمْتُ عَلَيْهِمُ الْحَيْتَانَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَكَانَتْ تَأْتِيهِمْ يَوْمَ
السَّبْتِ شَرًّا، بَلَاءٌ ابْتَلَوْا بِهِ، وَلَا تَأْتِيهِمْ فِي غَيْرِهِ إِلَّا أَنْ يَطْلُبُوهَا، بَلَاءٌ أَيْضًا
بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ. فَأَخَذُوهَا يَوْمَ السَّبْتِ اسْتِحْلَالًا وَمَعْصِيَةً، فَقَالَ اللَّهُ لَهُمْ:
كُونُوا قِرَدَةً خَاسِيَيْنَ إِلَّا طَائِفَةٌ مِنْهُمْ لَمْ يَعْتَدُوا وَنَهَوْهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:
لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا.

11938- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في
قَوْلِهِ: وَإِذْ قَالَتْ أُمُّهُ مِنْهُمْ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ... حَتَّى بَلَغَ: وَلَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ مَا هُمْ عَلَيْهِ. قَالَ: كَانُوا قَدْ بَلَّوْا بِكَفِّ الْحَيْتَانَ عَنْهُمْ،
وَكَانُوا يَسْبِتُونَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ، وَلَا يَعْمَلُونَ فِيهِ شَيْئًا، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ
أَتَتْهُمُ الْحَيْتَانُ شَرًّا، وَإِذَا كَانَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ لَمْ يَأْتِ حَوْتٌ وَاحِدٌ. قَالَ:
وَكَانُوا قَوْمًا قَدِ اقْرَبُوا بِحَبِّ الْحَيْتَانِ، وَلَقُوا مِنْهُ بَلَاءً، فَأَخَذَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَوْتًا،
فَرَبَطَ فِي ذَنْبِهِ خَيْطًا، ثُمَّ رَبَطَهُ إِلَى حَسْفَةٍ، ثُمَّ تَرَكَهُ فِي الْمَاءِ، حَتَّى إِذَا
غَرَبَتِ الشَّمْسُ مِنْ يَوْمِ الْأَحَدِ اجْتَرَّهَ بِالْخَيْطِ، ثُمَّ شَوَاهُ. فَوَجَدَ جَارَ لَهُ رِيحَ
حَوْتٍ، فَقَالَ: يَا فُلَانُ إِنِّي أَجِدُ فِي بَيْتِكَ رِيحَ نُونٍ فَقَالَ: لَا. قَالَ: فَتَطَّلَعَ
فِي تَنْوَرِهِ فَإِذَا هُوَ فِيهِ فَأَخْبَرَهُ حِينَئِذٍ الْخَبْرَ، فَقَالَ: إِنِّي أَرَى اللَّهَ سَيَعِدُّكَ.

قَالَ: فَلَمَّا لَمْ يَرَهُ عَجَلَ عَذَابًا، فَلَمَّا أَتَى السَّبْتَ الْآخَرَ أَخَذَ اثْنَيْنِ
فَرَبَطَهُمَا، ثُمَّ أَطْلَعَ جَارَ لَهُ عَلَيْهِ. فَلَمَّا رَأَاهُ لَمْ يَعَجَلْ عَذَابًا جَعَلُوا يَصِيدُونَهُ،
فَأَطْلَعَ أَهْلَ الْقَرْيَةِ عَلَيْهِمْ، فَنَهَاهُمُ الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَكَانُوا
فَرَقَتَيْنِ: فَرَقَةٌ تَنْهَاهُمْ وَتَكْفٍ، وَفَرَقَةٌ تَنْهَاهُمْ وَلَا تَكْفٍ، فَقَالَ الَّذِينَ نَهَوْا
وَكَفُّوا لِلَّذِينَ يَنْهَوْنَ وَلَا يَكْفُونَ: لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مَعْدِيَّهُمْ
عَذَابًا شَدِيدًا فَقَالَ الْآخَرُونَ: مَعذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَقَالَ اللَّهُ:
فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوْءِ... إِلَى قَوْلِهِ: بِمَا
كَانُوا يَفْسُقُونَ قَالَ اللَّهُ: فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهَوْا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً
خَاسِيَيْنَ وَقَالَ لَهُمْ أَهْلُ تِلْكَ الْقَرْيَةِ: عَمِلْتُمْ بِعَمَلِ سُوءٍ، مَنْ كَانَ يَرِيدُ يَعْتَزِلُ
وَيَتَطَهَّرُ فَلْيَعْتَزِلْ هَؤُلَاءِ قَالَ: فَاعْتَزَلَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ فِي مَدِينَتِهِمْ، وَضَرَبُوا
بَيْنَهُمْ سِوْرًا، فَجَعَلُوا فِي ذَلِكَ السُّوْرِ أَبْوَابًا يَخْرُجُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. قَالَ:
فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ طَرَقَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابِهِ، فَاصْبَحَ أَوْلَئِكَ الْمُؤْمِنُونَ لَا يَرُونَ مِنْهُمْ
أَحَدًا، فَدَخَلُوا عَلَيْهِمْ، فَإِذَا هُمْ قِرَدَةٌ، الرَّجُلُ وَأَزْوَاجُهُ وَأَوْلَادُهُ. فَجَعَلُوا

يدخلون على الرجل يعرفونه، فيقولون: يا فلان ألم نحذرك سطاوات
الله؟ ألم نحذرك نيمات الله؟ ونحذرك ونحذرك؟ قال: فليس إلا بكاء.
قال: وإنما عذب الله الذين ظلموا الذين أقاموا على ذلك. قال: وأما
الذين نهوا فكلهم قد تهى، ولكن بعضهم أفضل من بعض فقراً: أنجينا الذين
يتهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون.
حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا المحاربي، عن داود، عن عكرمة، قال: قرأ
ابن عباس هذه الآية: لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا
قال: لا أدري أنجا القوم أو هلكوا؟ فما زلت أبصره حتى عرف أنهم نجوا،
وكساني حلة.

11939- حدثني يونس، قال: أخبرني أشهب بن عبد العزيز، عن مالك،
قال: زعم ابن رومان أن قوله: تَأْتِيهِمْ حِينَتُهُمْ يَوْمَ سَبَّيْتَهُمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا
يَسْتُئْتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ قال: كانت تأتيمهم يوم السبت، فإذا كان المساء ذهبت
فلا يرى منها شيء إلى السبت، فاتخذ لذلك رجل منهم خيطاً ووتداً، فربط
حوتا منها في الماء يوم السبت، حتى إذا أمسوا ليلة الأحد أخذه
فاشتواه، فوجد الناس ريحه، فأتوه فسألوه عن ذلك، فجددهم، فلم يزالوا
به حتى قال لهم: فإنه جلد حوت وجدناه فلما كان السبت الآخر فعل مثل
ذلك، ولا أدري لعله قال: ربط حوتين، فلما أمسى من ليلة الأحد أخذه
فاشتواه، فوجدوا ريحه، فجاءوا فسألوه، فقال لهم: لو شئتم صنعتم كما
أصنع، فقالوا له: وما صنعت؟ فأخبرهم، ففعلوا مثل ما فعل، حتى كثر
ذلك. وكانت لهم مدينة لها ريص، فغلقوها عليهم، فأصابهم من المسخ ما
أصابهم، فغدا إليهم جيرانهم ممن كان يكون حولهم، يطلبون منهم ما
يطلب الناس، فوجدوا المدينة مغلقة عليهم، فنادوا فلم يجيبوهم،
فتسوروا عليهم، فإذا هم قردة، فجعل القرديدنو يتمسح بمن كان يعرف
قبل ذلك وبدنو منه ويتمسح به.

وقال آخرون: بل الفرقة التي قالت: لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ كانت
من الفرقة الهالكة. ذكر من قال ذلك:

11940- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا ابن إدريس، عن محمد بن إسحاق،
عن داود بن حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس: وَاسْتَلَّهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي
كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ... إلى قوله: شُرْعًا قال: قال ابن عباس: ابتدعوا
السبت، فابتلوا فيه، فحرمت عليهم فيه الحيتان، فكانوا إذا كان يوم
السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر، فإذا انقضى السبت
ذهبت، فلم تر حتى السبت المقبل، فإذا جاء السبت جاءت شُرْعًا. فمكثوا
ما شاء الله أن يمكثوا كذلك، ثم إن رجلاً منهم أخذ حوتا فخزم أنفه، ثم
ضرب له وتدا في الساحل وربطه وتركه في الماء، فلما كان الغد أخذه
فشواه فأكله. ففعل ذلك وهم ينظرون ولا ينكرون، ولا ينهاهم منهم أحد إلا
عصبة منهم نهوه، حتى ظهر ذلك في الأسواق وفعل علانية، قال: فقالت
طائفة للذين ينهون: لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا
قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ فِي سَخَطِنَا أَعْمَالَهُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَلَمَّا تَسَوَّا مَا
دُكِّرُوا بِهِ... إلى قوله: قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ. قال ابن عباس: كانوا
أثلاثاً: ثلث نهوا، وثلث قالوا: لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ، وثلث أصحاب
الخطيئة. فلما نجا إلا الذين نهوا، وهلك سائرهم، فأصبح الذين نهوا عن
السوء ذات يوم في مجالسهم يتفقدون الناس لا يرونهم، فغلقوا عليهم

دورهم, فجعلوا يقولون: إن للناس لشأنا, فانظروا ما شأنهم فاطلعوا في دورهم, فإذا القوم قد مسخوا في ديارهم قرده, يعرفون الرجل بعينه وإنه لقرد, ويعرفون المرأة بعينها وإنها لقرده, قال الله: فَجَعَلْنَاهَا تَكَاَلًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلَقَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ.

11941- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن أبي بكر الهذلي, عن عكرمة, عن ابن عباس: أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ... الآية, قال ابن عباس: نجا الناهون, وهلك الفاعلون, ولا أدري ما صنع بالساکتين.

11942- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, عن ابن عباس: لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ قَالَ: هم ثلاث فرق: الفرقة التي وعظت, والموعوظة التي وعظت, والله أعلم ما فعلت الفرقة الثالثة, وهم الذين قالوا: لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ. وقال الكلبي: هما فرقتان: الفرقة التي وعظت, والفرقة التي قالت: لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ قال: هي الموعوظة.

11943- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمران بن عيينة, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبیر, عن ابن عباس, قال: لأن أكون علمت من هؤلاء الذين قالوا: لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مَعَذَّبَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا عَدَلَ بِهِ.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء, قال: قال ابن عباس: وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ قَالَ: أسمع الله يقول: أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابٍ بَيِّسٍ فليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا: لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ.

11944- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن ماهان الحنفي أبي صالح, في قوله: تَأْتِيهِمْ حِيَاتُهُمْ يَوْمَ سَنِيهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْتَيْئُونَ لَا تَأْتِيهِمْ قَالَ: كانوا في المدينة التي على ساحل البحر, وكانت الأيام ستة, الأحد إلى الجمعة, فوضعت اليهود يوم السبت, وسببوه على أنفسهم, فسبته الله عليهم, ولم يكن السبت قبل ذلك, فوكده الله عليهم, وابتلاهم فيه بالحيثان, فجعلت تشرع يوم السبت, فيتقون أن يصيبوا منها, حتى قال رجل منهم: والله ما السبت بيوم وكده الله علينا, ونحن وكدناه على أنفسنا, فلو تناولت من هذا السمك فتناول حوتا من الحيثان, فسمع بذلك جاره, فخاف العقوبة فهرب من منزله. فلما مكث ما شاء الله ولم تصبه عقوبة تناول غيره أيضا في يوم السبت. فلما لم تصبهم العقوبة كثر من تناول في يوم السبت, واتخذوا يوم السبت وليلة السبت عيدا يشربون فيه الخمر ويلعبون فيه بالمعازف, فقال لهم خيارهم وصلحائهم: ويحكم, انتهوا عما تفعلون, إن الله مهلككم أو معذبكم عذابا شديدا أفلا تعقلون؟ ولا تعدوا في السبت فابوا, فقال خيارهم: نضرب بيننا وبينهم حائطا ففعلوا. وكان إذا كان ليلة السبت تأدوا بما يسمعون من أصواتهم وأصوات المعازف. حتى إذا كانت الليلة التي مسخوا فيها, سكنت أصواتهم أول الليل, فقال خيارهم: ما شأن قومكم قد سكنت أصواتهم الليلة؟ فقال بعضهم: لعل الخمر غلبتهم فاناموا. فلما أصبحوا لم يسمعوا لهم حسا, فقال بعضهم لبعض: ما لنا لا نسمع من قومكم حسا؟ فقالوا لرجل: اصعد الحائط وانظر ما شأنهم فصعد الحائط فراهم يموج بعضهم في بعض, قد مسخوا قرده, فقال لقومه: تعالوا

فانظروا إلى قومكم ما لقوا فصعدوا، فجعلوا ينظرون إلى الرجل، فيتوسمون فيه، فيقولون: أي فلان أنت فلان؟ فيومىء بيده إلى صدره: أي نعم بما كسبت يداي.

11945- حدثني يعقوب وابن وكيع، قالا: حدثنا ابن علية، عن أيوب قال: تلا الحسن ذات يوم: **وَاسْتَلَّهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْذُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيَتَانِهِمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ تَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** فقال: كان حوتا حرمه الله عليهم في يوم وأحله لهم فيما سوى ذلك، فكان يأتيهم في اليوم الذي حرمه الله عليهم كأنه المخاض لا يمتنع من أحد، وقلما رأيت أحدا يكثر الاهتمام بالذنب إلا واقعه. قال: فجعلوا يهمون ويمسكون حتى أخذوه، فأكلوا أوخم أكلة أكلها قوم قط، أثقله خزيا في الدنيا وأشدّه عقوبة في الآخرة، وإيم الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مؤمن، وللمؤمن أعظم حرمة عند الله من حوت، ولكن الله جعل موعد قوم الساعة والساعة أدهى وأمر.

11946- حدثني يونس، قال: أخبرنا سفيان، عن أبي موسى، عن الحسن، قال: جاءتهم الحيتان تشرع في حياضهم كأنها المخاض، فأكلوا والله أوخم أكلة أكلها قوم قط، أسوأه عقوبة في الدنيا وأشدّه عذابا في الآخرة. وقال الحسن: وقتل المؤمن والله أعظم من أكل الحيتان.

11947- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن عطاء، قال: كنت جالسا في المسجد، فإذا شيخ قد جاء وجلس الناس إليه، فقالوا: هذا من أصحاب عبد الله بن مسعود، فقال: قال ابن مسعود: **وَاسْتَلَّهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ... الآية**، قال: لما حرم عليهم السبت كانت الحيتان تأتي يوم السبت، وتأمين وتجيء فلا يستطيعون أن يمسسوها، وكان إذا ذهب السبت ذهبت، فكانوا يتصيدون كما يتصيد الناس. فلما أرادوا أن يعدوا في السبت، اصطادوا، فنهاهم قوم من صالحهم، فأبوا، وكثرهم الفجار، فأراد الفجار قتالهم، فكان فيهم من لا يشتهون قتاله، أبو أحدهم وأخوه أو قريبه. فلما نهوهم وأبوا، قال الصالحون: إنا نباينهم، وإنا نجعل بيننا وبينهم حائطا ففعلوا، فلما فقدوا أصواتهم، قالوا: لو نظرتم إلى إخوانكم ما فعلوا فنظروا فإذا هم قد مسخوا قرده، يعرفون الكبير بكبره والصغير بصغره، فجعلوا يبكون إليهم. وكان هذا بعد موسى صلى الله عليه وسلم.

الآية : 165

القول في تأويل قوله تعالى: **{قَلَمًا تَسُوْا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَنْجِيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوْءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابٍ بَيِّسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}..** يقول تعالى ذكره: فلما تركت الطائفة التي اعتدت في السبت ما أمرها الله به من ترك الاعتداء فيه وضيعت ما وعظتها الطائفة الواعظة وذكرتها ما ذكرتها به من تحذيرها عقوبة الله على معصيتها فتقدمت على استحلال ما حرم الله عليها، أنجى الله الذين ينهون منهم عن السوء، يعني عن معصية الله، واستحلال حرمه. **وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا يَقُولُ: وَأَخَذَ اللَّهُ الَّذِينَ اعْتَدُوا فِي السَّبْتِ فَاسْتَحْلُوا فِيهِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنْ صَيْدِ السَّمَكِ وَأَكَلِهِ، فَاجْلِبْهُمْ بِأَسْهٍ وَأَهْلِكْهُمْ. بِعَدَابٍ شَدِيدٍ بَيِّسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** يخالفون أمر الله، فيخرجون من طاعته إلى معصيته، وذلك هو الفسق.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
11948- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا
ابن جريج، في قوله: قَلَمًا تَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَنْجِنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ
قال: فلما نسوا موعظة المؤمنين إياهم، الذين قالوا: لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا.
11949- حدثني محمد بن المثنى، قال: حدثنا حرمي، قال: ثني شعبة،
قال: أخبرني عمارة، عن عكرمة، عن ابن عباس: أَنْجِنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ
السُّوءِ قال: يا ليت شعري ما السوء الذي نهوا عنه.

وأما قوله: يَعْذَابُ بَيْسٍ فَإِنَّ الْقِرَاءَ اخْتَلَفَتْ فِي قِرَاءَتِهِ، فَقِرَاءَتُهُ عَامَةٌ قِرَاءُ
أهل المدينة: «يَعْذَابُ بَيْسٍ» بكسر الباء وتخفيف الياء بغير همز، على
مثال «فَعِلٌ». وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة والبصرة: يَعْذَابُ بَيْسٍ على
مثل «فَعِيلٌ» من البؤس، ينصب الباء وكسر الهمزة ومدّها. وقرأ ذلك
كذلك بعض المكيين، غير أنه كسر بار: «بَيْسٍ» على مثال «فَعِيلٌ». وقرأه
بعض الكوفيين: «بَيْسٍ» بفتح الباء، وتسكين الياء، وهمزة بعدها
مكسورة على مثال «فَعِيلٌ». وذلك شاذّ عند أهل العربية، لأن «فَعِيلٌ»
إذا لم يكن من ذوات الياء والواو، فالفتح في عينه الفصح في كلام
العرب، وذلك مثل قولهم في نظيره من السالم: صَيْقَلٌ، ونيرب، وإنما
تكسر العين من ذلك في ذوات الياء والواو، كقولهم: سيد، وميت. وقد

أنشد بعضهم قول امرئ القيس بن عابس الكندي:
كِلَاهُمَا كَانَ رَيْسًا بَيْسًا يَصْرُبُ فِي يَوْمِ الْهِيَاجِ الْقَوْتَسَا
بكسر العين من «فَعِيلٌ»، وهي الهمزة من بَيْسٍ. فلعلّ الذي قرأ ذلك
كذلك قرأه على هذه. وذكر عن آخر من الكوفيين أيضا أنه قرأه: بَيْسٍ
نحو القراءة التي ذكرناها قبل هذه، وذلك بفتح الباء وتسكين الياء وفتح
الهمزة بعد الياء على مثال «فَعِيلٌ» مثل «صَيْقَلٌ». وروي عن بعض
البصريين أنه قرأه: «بَيْسٍ» بفتح الباء وكسر الهمزة على مثال «فَعِيلٌ»،
كما قال ابن قيس الرقيات:

لَيْتَنِي الْقَيُّ رُقِيَّةً فَيَحْلُوَةً مِنْ غَيْرِ مَا بَيْسٍ
وروي عن آخر منهم أنه قرأ: «بَيْسٍ» بكسر الباء وفتح السين على معنى
بئس العذاب.

وأولى هذه القراءات عندي بالصواب قراءة من قرأه: بَيْسٍ بفتح الباء
وكسر الهمزة ومدّها على مثال فَعِيلٌ، كما قال ذو الأصبغ العدواني:
حَقًّا عَلَيَّ وَلَنْ تَرَبِّلِي فِيهِمْ أَثْرًا بَيْسَا
لأن أهل التأويل أجمعوا على أن معناه شديد، فدلّ ذلك على صحة ما
أخترنا. ذكر من قال ذلك:

11950- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا
ابن جريج، قال: أخبرني رجل عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله:
وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا يَعْذَابٍ بَيْسٍ: أليم وجيع.
11951- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا
عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: يَعْذَابُ بَيْسٍ قال: شديد.
حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي
نجيح، عن مجاهد: يَعْذَابُ بَيْسٍ: أليم شديد.

11952- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن
معمر، عن قتادة: يَعْذَابُ بَيْسٍ قال: موجه.

11953- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: يَعْذَابُ بَيْسٍ قال: بعذاب شديد.

الآية : 166

{ قَلَمًا عَتَّوْا عَن مَّا نُهَوُّوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُوتُوا قِرْدَةً خَاسِيْنَ } ..

يقول تعالى ذكره: فلما تمرّدوا فيما نهوا عنه من اعتدائهم في السبت, واستحلّاهم ما حرّم الله عليهم من صيد السمك وأكله وتمادوا فيه قُلْنَا لَهُمْ كُوتُوا قِرْدَةً خَاسِيْنَ: أي بُعداء من الخير. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11954- حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: قَلَمًا عَتَّوْا عَمَّا نُهَوُّوا عَنْهُ يقول: لما مرد القوم على المعصية. قُلْنَا لَهُمْ كُوتُوا قِرْدَةً خَاسِيْنَ فصاروا قردة لها أذنان تتعَاوَى بعد ما كانوا رجالاً ونساء.

11955- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن ابن عباس, قوله: قَلَمًا عَتَّوْا عَمَّا نُهَوُّوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُوتُوا قِرْدَةً خَاسِيْنَ فجعل الله منهم القردة والخنازير. فزعم أن شباب القوم صاروا قردة, وأن المشيخة صاروا خنازير.

11956- حدثني المثنى, قال: حدثنا الحمانيّ, قال: حدثنا شريك, عن السديّ, عن أبي مالك أو سعيد بن جبير, قال: رأى موسى عليه السلام رجلاً يحمل قصباً يوم السبت, فضرب عنقه.

الآية : 167

{ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } ..

يعني جلّ ثناؤه بقوله: وَإِذْ تَأَذَّنَ واذكر يا محمد إذ آذن ربك فأعلم. وهو تفعل من الإيدان, كما قال الأعشى ميمون بني قيس: أَدَّنَ الْيَوْمَ حَيْرَتِي يَحْفُوفِصَرْمُوا حَبْلَ الْفِ مَالُوفٍ يعني بقوله آذن: أعلم, وقد بينا ذلك بشواهد في غير هذا الموضع. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11957- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ قال: أمر ربك.

حدثنا الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز. قال: حدثنا أبو سعد, عن مجاهد: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ قال: أمر ربك. وقوله: لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ يعني: أعلم ربك ليبعثنّ على اليهود من يسومهم سوء العذاب, قيل: إن ذلك العرب بعثهم الله على اليهود يقاتلون من لم يسلم منهم ولم يعط الجزية, ومن أعطى منهم الجزية كان ذلك له صَعَارًا وذلة.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11958- حدثني المثنى بن إبراهيم وعليّ بن داود قالا: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ قال: هي

الجزية, والذين يسومونهم: محمد صلى الله عليه وسلم وأمته إلى يوم
القيامة.

11959- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال:
ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ فِيهَا الْمَسْكَنَاتُ, وأخذ الجزية
منهم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن
جريح, قال ابن عباس: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ
يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ قَالَ: يهود, وما ضرب عليهم من الذلة والمسكنة.
11960- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَإِذْ
تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ قَالَ:
فبعث الله عليهم هذا الحي من العرب, فهم في عذاب منهم إلى يوم
القيامة.

11961- حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن
معمر, عن قتادة: لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ قَالَ: بعث
عليهم هذا الحي من العرب, فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة. وقال
عبد الكريم الجزري: يُسْتَحَبُّ أَنْ تَبْعَثَ الْأَنْبِيَاءَ فِي الْجَزِيَةِ.

11962- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل, عن يعقوب,
عن جعفر, عن سعيد: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ
يَسُومُهُمْ قَالَ: العرب. سُوءَ الْعَذَابِ قَالَ: الخراج. وأول من وضع الخراج
موسى عليه السلام, فجبى الخراج سبع سنين.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ
لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ قَالَ: العرب. سُوءَ الْعَذَابِ
قَالَ: الخراج. قال: وأول من وضع الخراج موسى, فجبى الخراج سبع
سنين.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ
لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ قَالَ: هم أهل
الكتاب, بعث الله عليهم العرب يخبونهم الخراج إلى يوم القيامة, فهو
سوء العذاب, ولم يجب نبي الخراج قط إلا موسى صلى الله عليه وسلم
ثلاث عشرة سنة ثم أمسك, وإلا النبي صلى الله عليه وسلم.

11963- حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا
معمر, عن قتادة, في قوله: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ قَالَ: يبعث عليهم هذا الحي من العرب, فهم
في عذاب منهم إلى يوم القيامة.

11964- قال: أخبرنا معمر, قال: أخبرني عبد الكريم, عن ابن
المسيب, قال: يستحب أن تبعث الأنبياء في الجزية.

11965- حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال:
حدثنا أسباط, عن السدي: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَقُولُ: إن ربك يبعث على بني إسرائيل العرب,
فيسومونهم سوء العذاب: يأخذون منهم الجزية ويقتلونهم.

11966- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في
قوله: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِيُبْعَثَنَّ عَلَى يَهُودِ.

القول في تأويل قوله تعالى: إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ. يقول تعالى ذكره: إن ربك يا محمد لسريع عقابه إلى من استوجب منه العقوبة على كفره به ومعصيته له. وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ يقول: وإنه لذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه فأتاب وراجع طاعته, يستر عليها بعفوه عنها, رحيم له أن يعاقبه على جرمه بعد توبته منها, لأنه يقبل التوبة ويُقيل العثرة.

الآية : 168

القول في تأويل قوله تعالى: { وَوَقَطَعْنَا لَهُمُ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَّوْنَاَهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } ..{

يقول تعالى ذكره: وفرقنا بني إسرائيل في الأرض أُممًا, يعني جماعات شتى متفرقين. كما: 11967- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل, عن يعقوب, عن جعفر, عن سعيد بن حبير, عن ابن عباس: وَقَطَعْنَا لَهُمُ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا قَالَ: فِي كُلِّ أَرْضٍ يَدْخُلُهَا قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِ. 11968- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَقَطَعْنَا لَهُمُ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا قَالَ: يَهُود.

وقوله: مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ يقول: من هؤلاء القوم الذين وصفهم الله من بني إسرائيل الصالحون, يعني: من يؤمن بالله ورسوله. وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ يعني: دون الصالح. وإنما وصفهم الله جل ثناؤه بأنهم كانوا كذلك قبل ارتدادهم عن دينهم وقبل كفرهم بربهم, وذلك قبل أن يُبعث فيهم عيسى ابن مريم صلوات الله عليه.

وقوله: وَبَلَّوْنَاَهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ يقول: واختبرناهم بالرخاء في العيش, والخفض في الدنيا, والدعة والسعة في الرزق, وهي الحسنات التي ذكرها جل ثناؤه. ويعني بالسيئات: الشدة في العيش, والشظف فيه, والمصائب والرزايا في الأموال. لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ يقول: ليرجعوا إلى طاعة ربهم, وينيبوا إليها, ويتوبوا من معاصيه.

الآية : 169

القول في تأويل قوله تعالى: { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْبَى وَيَقُولُونَ سَيُعَذِّبُنَا وَإِنَّا بِهِمُ عَرَضٌ مُثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } ..{

يقول تعالى ذكره: فخلف من بعد هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم خلف يعني خلف سوء, يقول: حدث بعدهم وخلافهم, وتبدل منهم بدل سوء, يقال منه: هو خَلْفٌ صدق, وخَلْفٌ سوء, وأكثر ما جاء في المدح بفتح اللام وفي الذم بتسكينها, وقد تحرَّك في الذم وتسكن في المدح, ومن ذلك في تسكينها في المدح قول حسان: لَنَا الْقَدَمُ الْأُولَى إِلَيْكَ وَخَلْفُنَا لِوَلِنَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَابِعٌ وَأَحْسَبُ أَنَّهُ إِذَا وَجَّهَ إِلَى الْفَسَادِ مَاخُودٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: خَلْفَ اللَّبَنِ: إِذَا حَمَضَ مِنْ طَوْلِ تَرْكِهِ فِي السَّقَاءِ حَتَّى يَفْسُدَ, فَكَانَ الرَّجُلُ الْفَاسِدَ مِثْلَهُ بِهِ,

وقد يجوز أن يكون منه قولهم: خَلَفَ فَمِ الصَّائِمِ: إِذَا تَغَيَّرَتْ رِبْحُهُ. وَأَمَّا فِي تَسْكِينِ اللّامِ فِي الذَّمِّ، فَقَوْلُ لَبِيدٍ:
دَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُونَ فِي أَكْنَافِهِمْ وَيَتَّقِيْتُ فِي خَلْفِ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ
وقيل: إن الخلف الذي ذكر الله في هذه الآية أنهم خلفوا من قبلهم هم
النصارى. ذكر من قال ذلك:

11969- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا
عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ
خَلْفًا قَالَ: النصارى.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى إنما وصف
أنه خَلَفَ القوم الذي قصَّ قصصهم في الآيات التي مضت خلف سوء
رديء، ولم يذكر لنا أنهم نصارى في كتابه، وقصتهم بقصص اليهود أشبه
منها بقصص النصارى. ويعدُّ، فإن ما قبل ذلك خبر عن بني إسرائيل وما
بعده كذلك، فما بينهما بأن يكون خبراً عنهم أشبه، إذ لم يكن في الآية
دليل على صرف الخبر عنهم إلى غيرهم، ولا جاء بذلك دليل يوجب
صحة القول به.

فتأويل الكلام إذن: فتبدل من بعدهم بدلٌ سوء، ورثوا كتاب الله: تعلموه،
وضيعوا العمل به فخالفوا حكمه، يُرْشَوْنَ فِي حُكْمِ اللَّهِ، فَيَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ
فيه من عرض هذا العاجل الأدنى، يعني بالأدنى: الأقرب من الأجل الأبعد،
ويقولون إذا فعلوا ذلك: إن الله سيغفر لنا ذنوبنا تمنيًا على الله الأباطيل،
كما قال جل ثناؤه فيهم: قَوْلُ الَّذِينَ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيَسِّرَنَّ اللَّهُ بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا قَوْلُ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ
مِمَّا يَكْسِبُونَ. وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ يَقُولُ: وَإِنْ شَرَعَ لَهُمْ ذَنْبٌ
حرام مثله من الرشوة بعد ذلك أخذوه واستحلوه، ولم يتردعوا عنه. يخبر
جل ثناؤه عنهم أنهم أهل إصرار على ذنوبهم، وليسوا بأهل إنابة ولا توبة.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت عنه عباراتهم.
ذكر من قال ذلك:

11970- حدثنا أحمد بن المقدم، قال: حدثنا فضيل بن عياض، عن
منصور، عن سعيد بن جبير، في قوله: يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ
سَيُعْفِرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ. قال: يعملون الذنب ثم يستغفرون
الله، فإن عرض ذلك الذنب أخذوه.

11971- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان،
عن منصور، عن سعيد بن جبير: وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ قَالَ: مِنَ
الذنوب.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن سعيد بن جبير:
يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُعْفِرُ لَنَا قَالَ: يَعْمَلُونَ بِالذَّنْبِ. وَإِنْ
يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ: قَالَ: ذَنْبٌ آخَرٌ يَعْمَلُونَ بِهِ.
حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن سفيان، عن منصور، عن سعيد بن
جبير: يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى قَالَ: الذنوب. وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ
يَأْخُذُوهُ قَالَ: الذنوب.

11972- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا
عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى قَالَ: مَا

أشرف لهم من شيء في اليوم من الدنيا حلال أو حرام يشتهونه أخذوه،
ويتبعون المغفرة، فإن وجدوا الغد مثله يأخذوه.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، عن
مجاهد، بنحوه، إلا أنه قال: يتمنون المغفرة.
حدثنا الحرث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا أبو سعد، عن مجاهد:
يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْتَى قَالَ: لَا يَشْرَفُ لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا أَخَذُوهُ
حَلَالًا كَانَ أَوْ حَرَامًا، وَيَتَمَنُونَ الْمَغْفِرَةَ، وَيَقُولُونَ سَيُعْفِرُ لَنَا وَإِنْ جَدُوا
عَرَضًا مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ.

11973- حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن
قتادة، قوله: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ: أَي وَاللَّهِ لَخَلْفٌ سَوْءٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ
بَعْدَ أَنْبِيَائِهِمْ وَرَسَلِهِمْ، وَرِثَهُمُ اللَّهُ وَعَهْدَ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ اللَّهُ فِي آيَةٍ أُخْرَى:
فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ قَالَ: يَأْخُذُونَ
عَرَضَ هَذَا الْأَدْتَى وَيَقُولُونَ سَيُعْفِرُ لَنَا تَمَنُوا عَلَى اللَّهِ أَمَانِي وَعَرَّةٌ يَغْتَرُّونَ
بِهَا. وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ لَا يَشْغَلُهُمْ شَيْءٌ عَنِ شَيْءٍ وَلَا يَنْهَاهُمْ عَنِ ذَلِكَ،
كَلِمًا أَشْرَفَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا أَكَلُوهُ لَا يَبَالُونَ حَلَالًا كَانَ أَوْ حَرَامًا.

11974- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن
معمر، عن قتادة: يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْتَى قَالَ: يَأْخُذُونَهُ إِنْ كَانَ حَلَالًا وَإِنْ
كَانَ حَرَامًا. وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ قَالَ: إِنْ جَاءَهُمْ حَلَالٌ أَوْ حَرَامٌ أَخَذُوهُ.

11975- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال:
حدثنا أسباط، عن السدي، قوله: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ... إِلَى قَوْلِهِ:
وَدَرَسُوا مَا فِيهِ قَالَ: كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لَا يَسْتَقْضُونَ قَاضِيًا إِلَّا ارْتَشَى فِي
الْحُكْمِ. وَإِنْ خِيَارَهُمْ اجْتَمَعُوا فَأَخَذَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ الْعُهُودِ أَنْ لَا يَفْعَلُوا
وَلَا يَرْتَشُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ إِذَا اسْتَقْضَى ارْتَشَى، فَقَالَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ
تَرْتَشِي فِي الْحُكْمِ؟ فَيَقُولُ: سَيَغْفِرُ لِي فَيَطْعَنُ عَلَيْهِ الْبَقِيَّةُ الْآخَرُونَ
مَنْ بَنَى إِسْرَائِيلَ فِيمَا صَنَعَ. فَإِذَا مَاتَ أَوْ نُزِعَ، وَجُعِلَ مَكَانُهُ رَجُلًا مَمْنًا
كَانَ يَطْعَنُ عَلَيْهِ فَيَرْتَشِي، يَقُولُ: وَإِنْ يَأْتِ الْآخِرِينَ عَرَضَ الدُّنْيَا يَأْخُذُوهُ.
وَأَمَّا عَرَضُ الْأَدْتَى، فَعَرَضُ الدُّنْيَا مِنَ الْمَالِ.

11976- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال:
ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا
الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْتَى وَيَقُولُونَ سَيُعْفِرُ لَنَا يَقُولُ: يَأْخُذُونَ مَا
أَصَابُوا، وَيَتْرَكُونَ مَا شَاءُوا مِنْ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ، وَيَقُولُونَ: سَيَغْفِرُ لَنَا.

11977- وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في
قوله: يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْتَى قَالَ: الْكِتَابُ الَّذِي كَتَبَهُ، وَيَقُولُونَ: سَيُعْفِرُ
لَنَا لَا نَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا. وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ يَأْتِيهِمُ الْمَحَقُّ
بِرَشْوِهِ، فَيَخْرُجُوا لَهُ كِتَابَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْكُمُوا لَهُ بِالرِّشْوَةِ. وَكَانَ الظَّالِمُ إِذَا
جَاءَهُمْ بِرِشْوَةٍ أَخْرَجُوا لَهُ الْمِثْلَةَ، وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي كَتَبَهُ، فَحَكَمُوا لَهُ بِمَا
فِي الْمِثْلَةِ بِالرِّشْوَةِ، فَهُوَ فِيهَا مَحَقٌّ، وَهُوَ فِي التَّوْرَةِ ظَالِمٌ، فَقَالَ اللَّهُ:
أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا
فِيهِ.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن سعيد بن جبير، قوله:
فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْتَى قَالَ:
يَعْمَلُونَ الذُّنُوبَ.

القول في تأويل قوله تعالى: أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ.

يقول تعالى ذكره: ألم يؤخذ على هؤلاء المرتشيين في أحكامهم، القائلين: سيغفر الله لنا فعلنا هذا، إذا عوتبوا على ذلك ميثاق الكتاب، وهو أخذ الله العهود على بني إسرائيل بإقامة التوراة والعمل بما فيها. فقال جل ثناؤه لهؤلاء الذين قصص قصتهم في هذه الآية موبخا لهم على خلافهم أمره ونقضهم عهده وميثاقه: ألم يأخذ الله عليهم ميثاق كتابه ألا يقولوا على الله إلا الحق ولا يضيفوا إليه إلا ما أنزله على رسوله موسى صلى الله عليه وسلم في التوراة، وأن لا يكذبوا عليه؟ كما:

11978- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، قال: قال ابن عباس: أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَالَ: فيما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها.

وأما قوله: وَدَرَسُوا مَا فِيهِ فَإِنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: وَرَثُوا الْكِتَابَ وَمَعْنَاهُ: فُخِلَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرَثُوا الْكِتَابَ، وَدَرَسُوا مَا فِيهِ. وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: وَدَرَسُوا مَا فِيهِ قَرَأُوا مَا فِيهِ. يَقُولُ: وَرَثُوا الْكِتَابَ فَعَلِمُوا مَا فِيهِ وَدَرَسُوهُ، فَضَيَعُوهُ وَتَرَكَوا الْعَمَلَ بِهِ، وَخَالَفُوا عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ. كَمَا: 11979- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَدَرَسُوا مَا فِيهِ قَالَ: عَلموه وَعَلموا ما في الكتاب الذي ذكر الله وقرأ: بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ.

والدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وما في الدار الآخرة، وهو ما في المعاد عند الله مما أعد لأوليائه والعاملين بما أنزل في كتابه المحافظين على حدوده، خير للذين يتقون الله ويخافون عقابه، فيراقبونه في أمره ونهيه، ويطيعونه في ذلك كله في دنياهم. أَفَلَا تَعْقِلُونَ يَقُولُ: أَفَلَا يَعْقِلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى عَلَى أَحْكَامِهِمْ، وَيَقُولُونَ سَيَغْفِرُ لَنَا، أَنْ مَا عِنْدَ اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ لِلْمُتَّقِينَ الْعَادِلِينَ بَيْنَ النَّاسِ فِي أَحْكَامِهِمْ، خَيْرٌ مِنْ هَذَا الْعَرَضِ الْقَلِيلِ الَّذِي يَسْتَعْجِلُونَهُ فِي الدُّنْيَا عَلَى خِلافِ أَمْرِ اللَّهِ وَالْقَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ بِالْجَوَارِ؟

الآية: 170

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ} .. واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه بعضهم: «يُمَسِّكُونَ» بتخفيف الميم وتسكينها، من أمسك يمسك. وقرأه آخرون: يُمَسِّكُونَ بفتح الميم وتشديد السين، من مسك يمسك. ويعني بذلك: والذين يعملون بما في كتاب الله، وأقاموا الصلاة بحدودها، ولم يضيعوا أوقاتها إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ خَلْقِي، فَإِنِّي لَا أَضِيعُ أَجْرَ عَمَلِهِ الصَّالِحِ. كَمَا:

11980- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ قَالَ: كِتَابَ اللَّهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

11981- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريح, قال: قال مجاهد, قوله: وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ مِنْ يَهُودٍ أَوْ نَصَارَى إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُضْلِحِينَ.

الآية : 171

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ تَبَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} .. يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر يا محمد إذ اقتلنا الجبل, فرفعناه فوق بني إسرائيل, كأنه ظلة غمام من الظلام, وقلنا لهم: خذوا ما آتيناكم بقوة من فرائضنا, وألزمناكم من أحكام كتابنا, فاقبلوه, واعملوا باجتهاد منكم في أدائه من غير تقصير ولا توان. واذكروا ما فيه يقول ما في كتابنا من العهد والمواثيق التي أخذنا عليكم بالعمل بما فيه. لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ يقول: كي تتقوا ربكم, فتخافوا عقابه بترككم العمل به إذا ذكرتم ما أخذ عليكم فيه من المواثيق. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11982- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَإِذْ تَبَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: خذوا ما آتيناكم بقوة يقول: من العمل بالكتاب وإلا خر عليكم الجبل, فأهلككم فقالوا: بل نأخذ ما آتانا الله بقوة ثم نكثوا بعد ذلك.

11983- حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ عن ابن عباس, قوله: وَإِذْ تَبَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ فَهُوَ قَوْلُهُ: وَرَفَعْنَا الطُّورَ بِمِثْقَالِهِمْ فَقَالَ: خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ, وَإِلَّا أَرْسَلْتَهُ عَلَيْكُمْ.

11984- حدثني إسحاق بن شاهين, قال: حدثنا خالد بن عبد الله, عن داود, عن عامر, عن ابن عباس, قال: إني لأعلم خلق الله لأبي شيء سجدت اليهود على حرف وجوههم, لما رفع الجبل فوقهم سجدوا وجعلوا ينظرون إلى الجبل مخافة أن يقع عليهم, قال: فكانت سجدة رضيها الله, فاتخذوها سنة.

حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن عامر, عن ابن عباس, مثله.

11985- حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإِذْ تَبَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ: أي بجد. واذكروا ما فيه لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ جبل نزعه الله من أصله ثم جعله فوق رؤوسهم, فقال: لتأخذنّ أمري, أو لأرميكنم به

11986- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريح, قال مجاهد: وَإِذْ تَبَقْنَا الْجَبَلَ قَالَ: كما تنشق الرّيدة. قال ابن جريح: كانوا أبوا التوراة أن يقبلوها أو يؤمنوا بها. خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ قَالَ: يقول: لتؤمننّ بالتوراة ولتقبلنها, أو ليقعن عليكم

11987- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي بكر بن عبد الله, قال: هذا كتاب الله أتقبلونه بما فيه, فإن فيه بيان ما أحلّ لكم وما حرّم عليكم وما أمركم وما نهاكم. قالوا: انشر علينا ما فيها, فإن كانت فرائضها يسيرة وحدودها خفيفة قبلناها قال: اقبلوها بما فيها

قالوا: لا، حتى نعلم ما فيها كيف حدودها وفرائضها. فراجعوا موسى مرارا، فأوحى الله إلى الجبل، فانقلع فارتفع في السماء حتى إذا كان بين رءوسهم وبين السماء قال لهم موسى: ألا ترون ما يقول ربي؟ لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لأرمينكم بهذا الجبل قال: فحدثني الحسن البصري، قال: لما نظروا إلى الجبل خر كل رجل ساجدا على حاجبه الأيسر، ونظر بعينه اليمنى إلى الجبل، فرقا من أن يسقط عليه فلذلك ليس في الأرض يهودي يسجد إلا على حاجبه الأيسر، يقولون: هذه السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة. قال أبو بكر: فلما نَشَرَ الألواح فيها كتاب الله كتبه بيده، لم يبق على وجه الأرض جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز، فليس اليوم يهودي على وجه الأرض صغير ولا كبير تقرا عليه التوراة إلا اهتز ونغض لها رأسه.

واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قوله: تَنَقَّنا فقال بعض البصريين: معنى نتقنا: رفعنا واستشهد بقول العجاج:

يَنْتُقُ أَقْتَادَ الشُّلَيْلِ تَنْقًا

وقال: يعني بقوله: «ينتق» يرفعها عن ظهره. ويقول الآخر:

وَتَنْقُوا أَخْلَامَنَا الْأَثْقَالًا

وقد حُكي عن قائل هذه المقالة قول آخر، وهو أن أصل التثق والتثوق كل شيء قلعته من موضعه فرميت به، يقال منه: تثقت نتقا. قال: ولهذا قيل للمرأة الكبيرة ناثق لأنها ترمي بأولادها رميا، واستشهد بيت النابغة:

لَمْ يُجْرِمُوا حُسْنَ الْغِدَاءِ وَأُمَّهُمْ دَحَقَتْ عَلَيْكَ بِنَاتِقِ مِدْكَارِ

وقال آخر: معناه في هذا الموضع: رفعناه. وقال: قالوا: تثقني السير: حرّكني. وقال: قالوا: ما تثق برجله لا يركض، والتثق: تثق الدابة صاحبها حين تعدو به وتتعبه حتى يربو، فذلك التثق والتثوق، وتثقتني الدابة، وتثقت المرأة تثق تنوقا: كثر ولدها. وقال بعض الكوفيين: نتقنا الجبل: علقنا الجبل فوقهم فرفعناه ننتقه نتقا، وامرأة منثاق: كثيرة الولد، قال:

وسمعت أخذ الجراب وتثق ما فيه: إذا نثر ما فيه.

الآية : 172

القول في تأويل قوله تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ طُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ } ..

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر يا محمد ربك إذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم، فقرّهم بتوحيده، وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك، وإقرارهم به. كما:

11988- حدثني أحمد بن محمد الطوسي، قال: حدثنا الحسين بن

محمد، قال: حدثنا جرير بن حازم، عن كلثوم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ مِنْ طَهْرٍ آدَمَ بِنَعْمَانَ» يعني عرفة «فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ دَرَأَهَا، فَتَنَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالدَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ فَتَلَا فَقَالَ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا... الآية إلى ما فَعَلَ الْمَبْطُلُونَ».

11989- حدثنا عمران بن موسى، قال: حدثنا عبد الوارث، قال: حدثنا

كلثوم بن جبير، قال: سألت سعيد بن جبير عن قوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ طُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ قَالَ: سألت عنها ابن عباس، فقال: مسح ربك

ظهر آدم، فخرجت كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان هذا، وأشار بيده، فأخذ موثيقهم، وأشهدهم على أنفسهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى.

حدثنا ابن وكيع ويعقوب قالا: حدثنا ابن عليه، قال: حدثنا كلثوم بن جبر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى شَهِدْنَا قَالَ: مسح ربك ظهر آدم، فخرجت كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان هذا الذي وراء عرفة، وأخذ ميثاقهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى شَهِدْنَا اللفظ لحديث يعقوب.

11990- وحدثنى يعقوب قال: حدثنا ابن عليه، قال ربيعة بن كلثوم، عن أبيه في هذا الحديث: قَالُوا بلى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ.

حدثنا عمرو، قال: حدثنا عمران بن عيينة، قال: أخبرنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: أَوَّلُ مَا أَهْبَطَ اللَّهُ آدَمَ، أَهْبَطَهُ بِدَجْنِي، أَرْضَ بِالْهِنْدِ، فَمَسَحَ اللَّهُ ظَهْرَهُ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ كُلَّ نَسْمَةٍ هِيَ بَارِئُهَا إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، ثُمَّ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ: وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمران بن عيينة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: أَهْبَطَ آدَمَ حِينَ أَهْبَطَ، فَمَسَحَ اللَّهُ ظَهْرَهُ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ كُلَّ نَسْمَةٍ هِيَ خَالِقُهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ قَالَ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى، ثُمَّ تَلَا: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ فَجَفَّ الْقَلَمَ مِنْ يَوْمِئِذٍ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

11991- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يحيى بن عيسى، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ قَالَ: لما خلق الله آدم، أخذ ذرئته من ظهره مثل الذرِّ، فقبض قبضتين، فقال لأصحاب اليمين ادخلوا الجنة بسلام، وقال للآخرين: ادخلوا النار ولا أبالي.

11992- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن الأعمش، عن حبيب، عن ابن عباس، قال: مسح الله ظهر آدم، فأخرج كل طيب في يمينه، وأخرج كل خبيث في الأخرى.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن عليه، عن شريك، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: مسح الله ظهر آدم، فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، قال: حدثنا عمرو بن أبي قيس، عن عطاء، عن سعيد، عن ابن عباس: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ قَالَ: لما خلق الله آدم مسح ظهره بدجني، وأخرج من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، فقال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى قال: فيرون يومئذ جفَّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن المسعودي، عن علي بن بزيمة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما خلق الله آدم عليه السلام

أخذ ميثاقه، فمسح ظهره، فأخذ ذرّيته كهيئة الذرّ، فكُتِبَ آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم، وأشهدهم على أنفسهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى.

قال: حدثنا يزيد بن هارون، عن المسعودي، عن عليّ بن بذيمة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ قَالَ: لما خلق الله آدم، أخذ ميثاقه أنه ربه، وكتب آجاله ومصائبه، واستخرج ذرّيته كالذرّ، وأخذ ميثاقهم، وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم. حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن ربيعة بن كلثوم بن جبر، عن أبيه سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ قَالَ: مسح الله ظهر آدم عليه السلام وهو بطن نعمان، واد إلى جنب عرفة، وأخرج ذرّيته من ظهره كهيئة الذرّ، ثم أشهدهم على أنفسهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى سَهَدْنَا. 11993- قال: حدثنا أبي، عن أبي هلال، عن أبي حمزة الصّبّعي، عن ابن عباس، قال: أخرج الله ذرية آدم عليه السلام من ظهره كهيئة الذرّ، وهو في أدّى من الماء.

11994- حدثني عليّ بن سهل، قال: حدثنا ضمرة بن ربيعة، قال: حدثنا أبو مسعود، عن جوير، قال: مات ابن للضحاك بن مزاحم ابن ستة أيام، قال: فقال: يا جابر إذا أنت وضعت ابني في لحدّه، فأبرز وجهه، وحلّ عنه عقده، فإن ابني مُجَلِّسٌ ومسؤولٌ ففعلت به الذي أمرني، فلما فرغت، قلت: يرحمك الله، عمّ يُسألُ ابنك؟ قال: يُسألُ عن الميثاق الذي أقرّ به في صلب آدم عليه السلام. قلت: يا أبا القاسم، وما هذا الميثاق الذي أقرّ به في صلب آدم؟ قال: ثني ابن عباس أن الله مسح صلب آدم، فاستخرج منه كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، وأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأوّل، ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يف به لم ينفعه الميثاق الأوّل، ومن مات صغيراً قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأوّل على الفطرة.

11995- حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني السريّ بن يحيى، أن الحسن بن أبي الحسن، حدثهم عن الأسود بن سريع من بني سعد، قال: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع غزوات، قال: فتناول القوم الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاشتدّ عليه، ثم قال: «ما بال أقوام يتناولون الذرّية؟» فقال رجل: يا رسول الله، أليسوا أبناء المشركين؟ فقال: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ، أَلَا إِنَّهَا لَيْسَتْ تَسْمَةٌ تُوَلَدُ إِلَّا وُلِدَتْ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَمَا تَرَأَى عَلَيْهَا حَتَّى يَبِينَ عَنْهَا لِسَانُهَا، فَأَبَوَاهَا يُهَوِّدَانِهَا أَوْ يُنَصِّرَانِهَا». قال الحسن: والله لقد قال الله ذلك في كتابه، قال: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ.

11996- حدثنا عبد الرحمن بن الوليد، قال: حدثنا أحمد بن أبي طيبة، عن سفيان، عن سعيد، عن الأجلح، عن الضحاك، وعن منصور، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ قَالَ: «أَخِذُوا مِنْ ظَهْرِهِ كَمَا

يُؤَخَذُ بِالْمِشْطِ مِنَ الرَّأْسِ، فَقَالَ لَهُمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا بَلَى، قَالَتْ
الْمَلَائِكَةُ: شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ». 11997
حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، قال: حدثنا سفيان،
عن منصور، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو، في قوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ
مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ قَالَ: أَخَذَهُمْ كَمَا يَأْخُذُ الْمِشْطَ مِنَ
الرَّأْسِ.

حدثنا ابن وكيع وابن حميد، قالا: حدثنا جريب، عن منصور، عن مجاهد، عن
عبد الله بن عمرو: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ قَالَ:
أَخَذَهُمْ كَمَا يَأْخُذُ الْمِشْطَ مِنَ الرَّأْسِ. قال ابن حميد: كما يؤخذ بالمشط.
11998- حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: حدثنا روح بن عبادة،
وسعد بن عبد الحميد بن جعفر بن مالك بن أنس، عن زيد بن أبي أنيسة،
عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، عن مسلم بن يسار
الجهني: أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي
آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ فَقَالَ عمر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً،
فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ، وَيَعْمَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ. ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ
فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ، وَيَعْمَلُ أَهْلُ النَّارِ يَعْمَلُونَ». فقال
رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ قال: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ
لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ عَمَلِ أَهْلِ
الْجَنَّةِ فَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى
يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلُهُ النَّارَ». حدثنا إبراهيم، قال: حدثنا محمد بن المصفي، عن بقية عن عمرو بن
جعثم القرشي، قال: ثني زيد بن أبي أنيسة، عن عبد الحميد بن عبد
الرحمن، عن مسلم بن يسار، عن نعيم بن ربيعة، عن عمر، عن النبي
صلى الله عليه وسلم، بنحوه.

11999- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عنبسة، عن عمارة، عن
أبي محمد رجل من المدينة، قال: سألت عمر بن الخطاب عن قوله: وَإِذْ
أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ قَالَ: سألت النبي صلى الله
عليه وسلم عنه كما سألتني، فقال: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ
رُوحِهِ، ثُمَّ اجْلَسَهُ فَمَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، فَأَخْرَجَ ذُرًّا، فَقَالَ: ذُرٌّ
ذَرَأْتُهُمْ لِلْجَنَّةِ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ الْأُخْرَى، وَكَلْنَا بِيَدِهِ يَمِينًا، فَقَالَ: ذُرٌّ
ذَرَأْتُهُمْ لِلنَّارِ، يَعْمَلُونَ فِيمَا بَنَيْتَ مِنْ عَمَلٍ، ثُمَّ أَخْتِمُ لَهُمْ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ
فَادْخِلُهُمُ النَّارَ».

حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن
علي، عن ابن عباس، قوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ
ذُرِّيَّتَهُمْ قَالَ: إن الله خلق آدم، ثم أخرج ذرئته من صلبه مثل الذر، فقال
لهم: من ربكم؟ قالوا: الله ربنا، ثم أعادهم في صلبه، حتى يولد كل من
أخذ ميثاقه لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم إلى أن تقوم الساعة.

12000- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال:
ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ
ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ... إلى قوله: قالوا بلى شَهِدْنَا قال ابن عباس: إن الله
لَمَّا خَلَقَ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، وَأَخْرَجَ ذُرِّيَّتَهُ كُلَّهَا مِنْ كَهَيْئَةِ الذَّرِّ، فَانطَقهم

فتكلموا، وأشهدهم على أنفسهم، وجعل مع بعضهم النور، وإنه قال لآدم: هؤلاء ذريتك أخذ عليهم الميثاق، أنا ربهم، لئلا يشركوا بي شيئاً، وعليّ رزقهم. قال آدم: فمن هذا الذي معه النور؟ قال: هو داود. قال: يا ربّ كم كتبت له من الأجل؟ قال: ستين سنة. قال: كم كتبت لي؟ قال: ألف سنة، وقد كتبت لكل إنسان منهم كم يعمر وكم يلبث. قال: يا ربّ زده قال: هذا الكتاب موضوع فأعطه إن شئت من عمرك. قال: نعم. وقد جفّ القلم عن أجل سائر بني آدم، فكتب له من أجل آدم أربعين سنة، فصار أجله مائة سنة. فلما عمر تسع مئة سنة وستين جاءه ملك الموت فلما راه آدم، قال: ما لك؟ قال له: قد استوفيت أجلك. قال له آدم: إنما عمرت تسع مائة وستين سنة، وبقي أربعون سنة. قال: فلما قال ذلك للملك، قال الملك: قد أخبرني بها ربي. قال: فارجع إلى ربك فاسأله فرجع الملك إلى ربه، فقال: ما لك؟ قال: يا ربّ رجعت إليك لما كنت أعلم من تكرمك إياه. قال الله: ارجع فأخبره أنه قد أعطى ابنه داود أربعين سنة 12001. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، عن الزبير بن موسى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: إن الله تبارك وتعالى ضرب منكبه الأيمن، فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء نقية، فقال: هؤلاء أهل الجنة. ثم ضرب منكبه الأيسر، فخرجت كل نفس مخلوقة للنار سوداء، فقال: هؤلاء أهل النار. ثم أخذ عهدهم على الإيمان والمعرفة له ولأمره، والتصديق به وبأمره بني آدم كلهم، فأشهدهم على أنفسهم، فأمنوا وصدّقوا وعرفوا وأقرّوا. وبلغني أنه أخرجهم على كفه أمثال الخردل. قال ابن جريح عن مجاهد، قال: إن الله لما أخرجهم قال: يا عباد الله أجيئوا الله والإجابة: الطاعة فقالوا: أطعنا، اللهم أطعنا، اللهم أطعنا، اللهم لبيك قال: فأعطاه إبراهيم عليه السلام في المناسك: لبيك اللهم لبيك. قال: ضرب متن آدم حين خلقه. قال: وقال ابن عباس: خلق آدم، ثم أخرج ذريته من ظهره مثل الذرّ، فكلّمهم، ثم أعادهم في صلبه، فليس أحد إلا وقد تكلم فقال: ربي الله. فقال: وكلّ خلق خلق فهو كائن إلى يوم القيامة وهي الفطرة التي فطر الناس عليها. قال ابن جريح، قال سعيد بن جبير: أخذ الميثاق عليهم بنعمان ونعمان من وراء عرفة أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين عن الميثاق الذي أخذ عليهم.

12002. حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، قال: جمعهم يومئذ جميعاً ما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم استنطقهم، وأخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألسنتهم بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفئهلنا بما فعل المبطّلون؟ قال: فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلموا أنه لا إله غيري، ولا ربّ غيري، ولا تشركوا بي شيئاً، وسأرسل إليكم رسلاً يذكرونكم عهدي وميثاقي، وسأنزل عليكم كتبي قالوا: شهدنا أنك ربنا وإلهنا، لا ربّ لنا غيرك، ولا إله لنا غيرك. فأقرّوا له يومئذ بالطاعة، ورفع عليهم أباهم آدم، فنظر إليهم، فرأى منهم الغنيّ والفقير، وحسن الصورة، ودون ذلك، فقال: ربّ لولا ساويت

بينهم قال: فإني أحبُّ أن أشكر. قال: وفيهم الأنبياء عليهم السلام يومئذ مثل السرج. وخصَّ الأنبياء بميثاقٍ آخر، قال الله: وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا وهو الذي يقول تعالى ذكره: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ وفي ذلك قال: هَذَا تَذِيرٌ مِنَ التَّذِيرِ الْأُولَى يَقُولُ: أَخَذْنَا مِيثَاقَهُ مَعَ النَّذْرِ الْأُولَى، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ. ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ قَالَ: كَانَ فِي عِلْمِهِ يَوْمَ أَقْرَبُوا بِهِ مَنْ يَصَدِّقُ وَمَنْ يَكْذِبُ.

12003- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير في هذه الآية: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالَ: أَخْرَجَهُمْ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ، وَجَعَلَ لآدَمَ عَمَرَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: فَعَرَضُوا عَلَىٰ آدَمَ، فَرَأَىٰ رَجُلًا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ لَهُ نُورٌ فَأَعْجَبَهُ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالَ: هُوَ دَاوُدُ، قَدْ جَعَلَ عَمْرَهُ سِتِينَ سَنَةً، فَجَعَلَ لَهُ مِنْ عَمْرِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَلَمَّا احْتَضَرَ آدَمَ، جَعَلَ يَخَاصِمُهُمْ فِي الْأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ أَعْطَيْتَهَا دَاوُدَ، قَالَ: فَجَعَلَ يَخَاصِمُهُمْ.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ قَالَ: أَخْرَجَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْ ظَهْرِهِ كَهَيْئَةِ الذَّرِّ، فَعَرَضَهُمْ عَلَىٰ آدَمَ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَأَجَالِهِمْ، قَالَ: فَعَرَضَ عَلَيْهِ رُوحُ دَاوُدَ فِي نُورٍ سَاطِعٍ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مِنْ ذُرِّيَّتِكَ نَبِيُّ خَلِيفَةٍ، قَالَ: كَمْ عَمْرُهُ؟ قَالَ: سِتُونَ سَنَةً، قَالَ: زَيْدُوهُ مِنْ عَمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ: وَالْأَقْلَامُ رَطْبَةٌ تَجْرِي. فَأَثَبْتُ لِدَاوُدَ الْأَرْبَعُونَ، وَكَانَ عَمْرُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلْفَ سَنَةٍ فَلَمَّا اسْتَكْمَلَهَا إِلَّا الْأَرْبَعِينَ سَنَةً، بَعَثَ إِلَيْهِ مَلِكَ الْمَوْتِ، فَقَالَ: يَا آدَمُ أَمَرْتُ أَنْ أَقْبِضَكَ، قَالَ: أَلَمْ يَبْقَ مِنْ عَمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: فَارْجِعْ مَلِكُ الْمَوْتِ إِلَىٰ رَبِّهِ، فَقَالَ: إِنَّ آدَمَ يَدَّعِي مِنْ عَمْرِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، قَالَ: أَخْبَرَ آدَمَ أَنَّهُ جَعَلَهَا لِابْنِهِ دَاوُدَ وَالْأَقْلَامُ رَطْبَةٌ فَأَثَبْتُ لِدَاوُدَ. حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبو داود، عن يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بنحوه.

12004- قال: حدثنا ابن فضيل وابن نمير، عن عبد الملك، عن عطاء: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ قَالَ: أَخْرَجَهُمْ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ حَتَّىٰ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ، ثُمَّ رَدَّهُمْ فِي صَلْبِهِ.

12005- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا ابن نمير، عن نصر بن عربي: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ قَالَ: أَخْرَجَهُمْ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ حَتَّىٰ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ، ثُمَّ رَدَّهُمْ فِي صَلْبِهِ.

12006- قال: حدثنا محمد بن عبيد، عن أبي بسطام، عن الضحاك، قال: حيث ذرأ الله خلقه لآدم، قال: خلقهم وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ قَالَ: قال ابن عباس: خلق الله آدم، ثم أخرج ذرئته من ظهره، فكلّمهم الله وأنطقهم، فقال: ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى، ثم

أعادهم في صلبه، فليس أحد من الخلق إلا قد تكلم فقال ربي الله، وإن القيامة لن تقوم حتى يولد من كان يومئذ أشهد على نفسه.

12007- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمر بن طلحة، عن أسباط، عن السدي: **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ** قالوا بلى وذلك حين يقول تعالى ذكره: **وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا** وذلك حين يقول: **فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ** يعني: يوم أخذ منهم الميثاق، ثم عرضهم على آدم عليه السلام.

12008- قال: حدثنا عمر، عن أسباط، عن السدي، قال: أخرج الله آدم من الجنة، ولم يهبط من السماء، ثم مسح صفحة ظهره اليمنى، فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر، فقال لهم: ادخلوا الجنة برحمتي ومسح صفحة ظهره اليسرى، فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر، فقال: ادخلوا النار ولا أبالي فذلك حين يقول: **«وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ»** ثم أخذ منهم الميثاق، فقال: **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ** قالوا بلى، فأطاعه طائفة طائعين، وطائفة كارهين على وجه التقيّة.

12009- حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمر، قال: حدثنا أسباط، عن السدي بنحوه، وزاد فيه بعد قوله: وطائفة على وجه التقيّة، فقال هو والملائكة: **شَهِدْنَا أَنْ يَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ** أو يقولوا **إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ**. فلذلك ليس في الأرض أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف أن ربه الله، ولا مشرك إلا وهو يقول لابنه: **إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَالْأُمَّةُ: الدِّينَ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**، وذلك حين يقول الله: **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ** قالوا بلى وذلك حين يقول: **وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا** وذلك حين يقول: **فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ** يعني يوم أخذ منهم الميثاق.

12010- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الكلبي: **مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ** قال: مسح الله على صلب آدم، فأخرج من صلبه من ذريته ما يكون إلى يوم القيامة، وأخذ ميثاقهم أنه ربهم، فأعطوه ذلك، ولا يسأل أحد كافر ولا غيره: **من ربك؟** إلا قال: الله. وقال الحسن مثل ذلك أيضا.

12011- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا حفص بن غياث، عن جعفر، عن أبيه، عن علي بن حسين أنه كان يعزل، ويتأول هذه الآية: **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**.

12012- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا موسى بن عبدة، عن محمد بن كعب القرظي في قوله: **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ** قال: **أَقْرَبَتِ الْأَرْوَاحُ قَبْلَ أَنْ تَخْلُقَ أَجْسَادَهَا**.

12013- حدثنا أحمد بن الفرج الحمصي، قال: حدثنا بقية بن الوليد، قال: ثني الزبيدي، عن راشد بن سعد، عن عبد الرحمن بن قتادة النصري، عن أبيه، عن هشام بن حكيم: **أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُبْدَأُ الْأَعْمَالَ أَمْ قَدْ قَضَى الْقَضَاءُ؟** فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ، ثُمَّ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ أَفَاضَ بِهِمْ فِي كَفِّهِ ثُمَّ قَالَ: هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ**

وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ، فَأَهْلُ الْجَنَّةِ مُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ مُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ».

حدثني محمد بن عوف الطائي، قال: حدثنا حيوة ويزيد، قالوا: حدثنا بقية، عن الزبيدي، عن راشد بن سعد، عن عبد الرحمن بن قتادة النضري، عن أبيه، عن هشام بن حكيم، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله. حدثني أحمد بن شويه، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: حدثنا عمرو بن الحرث، قال: حدثنا عبد الله بن مسلم، عن الزبيدي، قال: حدثنا راشد بن سعد أن عبد الرحمن بن قتادة، حدثه أن أباه حدثه أن هشام بن حكيم حدثه أنه قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل... فذكر مثله.

حدثنا محمد بن عوف، قال: ثني أبو صالح، قال: حدثنا معاوية، عن راشد بن سعد، عن عبد الرحمن بن قتادة، عن هشام بن حكيم، عن النبي صلى الله عليه وسلم، بنحوه.

واختلف في قوله: شَهَدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ فقال السدي: هو خير من الله عن نفسه وملائكته أنه جل ثناؤه قال هو وملائكته إذ أقر بنو آدم بربوبيته حين قال لهم: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالوا: بلى. فتأويل الكلام على هذا التأويل: وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم، وأشهدهم على أنفسهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالوا: بلى. فقال الله وملائكته: شهدنا عليكم بإقراركم بأن الله ربكم كيلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين. وقد ذكرت الرواية عنه بذلك فيما مضى والخبر الآخر الذي روي عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك.

وقال آخرون: ذلك خبر من الله عن قيل بعض بني آدم لبعض، حين أشهد الله بعضهم على بعض. وقالوا: معنى قوله: وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَشْهَدَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِإِقْرَارِهِمْ بِذَلِكَ، وقد ذكرت الرواية بذلك أيضا عن قاله قبل.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب، ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كان صحيحا، ولا أعلمه صحيحا لأن الثقات الذين يعتمد على حفظهم وإتقانهم حدثوا بهذا الحديث عن الثوري، فوقفوه على عبد الله بن عمرو ولم يرفعوه، ولم يذكروا في الحديث هذا الحرف الذي ذكره أحمد بن أبي طيبة عنه. وإن لم يكن ذلك عنه صحيحا، فالظاهر يدل على أنه خبر من الله عن قيل بني آدم بعضهم لبعض، لأنه جل ثناؤه قال: وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالوا: بلى. شهدنا فكأنه قيل: فقال الذين شهدوا على المقرين حين أقرروا، فقالوا: بلى شهدنا عليكم بما أقررتم به على أنفسكم كيلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين.

الآية : 173

القول في تأويل قوله تعالى: { أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ } ..

يقول تعالى ذكره: شهدنا عليكم أيها المقرون بأن الله ربكم، كيلا تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين، إنا كنا لا نعلم ذلك وكنا في غفلة منه، أو تقولوا: إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ اتبعنا منهاجهم

أَفْتَهْلِكُنَا بِإِشْرَاكٍ مِنْ أَشْرَاكٍ مِنْ آبَائِنَا، وَاتَّبَاعِنَا مِنْهَا جَهْلٌ عَلَى جَهْلٍ مَنَا بِالْحَقِّ؟
ويعني بقوله بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ: بما فعل الذين أبطلوا في دعواهم إليها غير الله.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه بعض المكيين والبصريين: «أن يقولوا» بالياء، بمعنى: شهدنا لئلا يقولوا على وجه الخير عن الغيب. وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة: أن تقولوا بالتاء على وجه الخطاب من اليهود للمشهود عليهم.
والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان صحيحتا المعنى متفقتا التأويل وإن اختلفت ألفاظهما، لأن العرب تفعل ذلك في الحكاية، كما قال الله: لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَ«ليبيننه»، وقد بينا نظائر ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

الآية : 174

القول في تأويل قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } .. يقول تعالى ذكره: وكما فصلنا يا محمد لقومك آيات هذه السورة، وبيننا فيها ما فعلنا بالأمم السالفة قبل قومك، وأحللنا بهم من المثلات بكفرهم وإشراكهم في عبادتي غيري، كذلك نفصل الآيات غيرها ونبينها لقومك، لينزجروا ويرتدعوا، فينيبوا إلى طاعتي ويتوبوا من شركهم وكفرهم، فيرجعوا إلى الإيمان والإقرار بتوحيدي وإفراد الطاعة لي وترك عبادة ما سواي.

الآية : 175

القول في تأويل قوله تعالى: { وَإِذْ عَلَّمْنَا نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ } .. يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واتل يا محمد على قومك نبأ الذي آتيناه آياتنا، يعني خبره وقصته. وكانت آيات الله للذي آتاه الله إياها فيما يقال اسم الله الأعظم، وقيل النبوة. واختلف أهل التأويل فيه، فقال بعضهم: هو رجل من بني إسرائيل. ذكر من قال ذلك:

12014- حدثنا حميد بن مسعدة، قال: حدثنا بشر بن المفضل، قال: حدثنا شعبة، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله في هذه الآية: وَإِذْ عَلَّمْنَا نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا قَالَ: هو بلعم. حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله، مثله.

قال: حدثنا أبي، عن سفيان، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله، قال: هو بلعم بن أبر.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود، في قوله: وَإِذْ عَلَّمْنَا نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا قَالَ: رجل من بني إسرائيل يقال له: بلعم بن أبر.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر وابن مهدي وابن أبي عدي، قالوا: حدثنا شعبة، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله، أنه قال في هذه الآية، فذكر مثله، ولم يقل ابن أبر.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عمرو، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود: **وَائْتَلُّ عَلَيْهِمْ تَبَا الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا قَالَ: رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يُقَالُ لَهُ: بَلْعَمُ بْنُ أْبْر.**
12015- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمران بن عيينة، عن حصين، عن عمران بن الحرث، عن ابن عباس، قال: هو بلعم بن باعرا.
حدثني الحرث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود، في قوله: **وَائْتَلُّ عَلَيْهِمْ تَبَا الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا... إِلَى: فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ هُوَ بَلْعَمُ بْنُ أْبْر.**
حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن الأعمش، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود، مثله، إلا أنه قال ابن أْبْر، بضم الباء.

12016- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: **وَائْتَلُّ عَلَيْهِمْ تَبَا الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا قَالَ: هُوَ رَجُلٌ مِنْ مَدِينَةِ الْجَبَارِينَ يُقَالُ لَهُ بَلْعَم.**
12017- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **فَانْسَلَخَ مِنْهَا قَالَ: بَلْعَامُ بْنُ بَاعِرَا، مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.**

حدثني الحرث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا أبو سعد، قال: سمعت مجاهدا يقول، فذكر مثله.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، قال: أخبرني عبد الله بن كثير، أنه سمع مجاهدا يقول، فذكر مثله.
12018- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا عبد الرحمن وابن أبي عدوي، عن شعبة، عن حصين، عن عكرمة، قال في الذي آتينا فانسَلَخَ مِنْهَا قال: هو بلعام.

12019- وحدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا غندر، عن شعبة، عن حصين، عن عكرمة، قال: هو بلعم.

قال: حدثنا عمران بن عيينة، عن حصين، عن عكرمة، قال: هو بلعم.
حدثنا حميد بن مسعدة، قال: حدثنا بشر، قال: حدثنا شعبة، عن حصين، قال: سمعت عكرمة يقول: هو بلعام.

حدثنا قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا إسرائيل، عن حصين، عن مجاهد، قال: هو بلعم.

حدثني الحرث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا إسرائيل، عن مغيرة، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: هو بلعم. (وقالت ثقيف: هو أمية بن أبي الصلت).

وقال آخرون: كان بلعم هذا من أهل اليمن. ذكر من قال ذلك.

12020- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **وَائْتَلُّ عَلَيْهِمْ تَبَا الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَدْعَى بَلْعَمُ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ.**
وقال آخرون: كان من الكنعانيين. ذكر من قال ذلك.

12021- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: **وَائْتَلُّ عَلَيْهِمْ تَبَا الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا قَالَ: هُوَ رَجُلٌ مِنْ مَدِينَةِ الْجَبَارِينَ يُقَالُ لَهُ بَلْعَم.**

وقال آخرون: هو أمية بن أبي الصلت. ذكر من قال ذلك.
12022- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا سعيد بن السائب، عن غصيف بن أبي سفيان، عن يعقوب بن نافع بن عاصم، عن عبد الله بن عمرو، قال في هذه الآية: الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا قَالَ: هو أمية بن أبي الصلت.
حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا ابن أبي عدي، قال: أنبأنا شعبة، عن يعلى بن عطاء، عن نافع بن عاصم، قال: قال عبد الله بن عمرو: هو صاحبكم أمية بن أبي الصلت.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا عبد الرحمن ووهب بن جرير، قال: حدثنا شعبة، عن يعلى بن عطاء، عن نافع بن عاصم، عن عبد الله بن عمرو بمثله.

حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، قال: حدثنا سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن رجل، عن عبد الله بن عمرو: وَلَكِنَّهُ أَحْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ قَالَ: هو أمية بن أبي الصلت.
حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا غندر، عن شعبة، عن يعلى بن عطاء، قال: سمعت نافع بن عاصم بن عروة بن مسعود، قال: سمعت عبد الله بن عمرو، قال في هذه الآية: الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا قَالَ: هو صاحبكم، يعني أمية بن أبي الصلت.
قال: حدثنا أبي، عن سفيان عن حبيب، عن رجل عن عبد الله بن عمرو، قال: هو أمية بن أبي الصلت.

قال: حدثنا يزيد، عن شريك، عن عبد الملك، عن فضالة، أو ابن فضالة، عن عبد الله بن عمرو، قال: هو أمية.

12023- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عنبسة، عن عبد الملك بن عمير، قال: تذاكروا في جامع دمشق هذه الآية: فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَزَلَتْ فِي بَلْعَمِ بْنِ بَاعُورَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَزَلَتْ فِي الرَّاهِبِ. فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالُوا: فِيمَنْ نَزَلَتْ هَذِهِ؟ قَالَ: نَزَلَتْ فِي أُمِيَّةِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِيِّ.

12024- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الكلبي: الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا قَالَ: هو أمية بن أبي الصلت، وقال قتادة: يشك فيه، يقول بعضهم: بلعم، ويقول بعضهم: أمية بن أبي الصلت.

واختلف أهل التأويل في الآيات التي كان أوتيتها التي قال جل ثناؤه: آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كانت اسم الله الأعظم. ذكر من قال ذلك.

12025- حدثني موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، قال: إن الله لما انقضت الأربعون سنة، يعني التي قال الله فيها: إِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً بَعَثَ يُوسُفَ بْنَ نُونِ نَبِيًّا، فدعا بني إسرائيل فأخبرهم أنه نبي وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين، فبايعوه وصدّقوه. وانطلق رجل من بني إسرائيل يقال له بلعم، وكان عالما يعلم الاسم الأعظم المكتوم، فكفر وأتى الجبارين، فقال: لا ترهبوا بني إسرائيل، فاني إذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم دعوة فيهلكون وكان عندهم فيما شاء من الدنيا، غير أنه كان لا يستطيع أن يأتي النساء يعظمن، فكان ينكح أتاناً له، وهو الذي يقول الله: وَاتُّلَّ عَلَيْهِمْ تَبًّا الَّذِي

آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا: أي تنصل فانسلخ منها, إلى قوله: وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ.

12026- حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: وَأَنْزَلُ عَلَيْهِمْ تَبَا الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا قَالَ: هو رجل يقال له: بلعم, وكان يعلم اسم الله الأعظم.
12027- حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَأَنْزَلُ عَلَيْهِمْ تَبَا الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا قَالَ: كان لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه.
وقال آخرون: بل الآيات التي كان أوتيها كتاب من كتب الله. ذكر من قال ذلك.

12028- حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال: حدثنا أبو ثُمَيْلَةَ, عن أبي حمزة, عن جابر, عن مجاهد وعكرمة, عن ابن عباس, قال: كان في بني إسرائيل بلعام بن باعر أوتي كتاباً.
وقال آخرون: بل كان أوتي النبوة. ذكر من قال ذلك.
12029- حدثني الحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, عن غيره, قال: الحارث قال: عبد العزيز يعني عن غير نفسه عن مجاهد, قال: هو نبيّ في بني إسرائيل, يعني بلعم, أوتي النبوة, فرشاه قومه على أن يسكت, ففعل وتركهم على ما هم عليه.
12030- حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, عن أبيه, أنه سئل عن الآية: وَأَنْزَلُ عَلَيْهِمْ تَبَا الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَحَدَّثَ عَنْ سَيَّارٍ أَنَّهُ كَانَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ بَلْعَامُ, وَكَانَ قَدْ أُوتِيَ النَّبُوَّةَ, وَكَانَ مَجَابِ الدَّعْوَةَ.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتلو على قومه خبر رجل كان الله آتاه حججه وأدلته, وهي الآيات.

وقد دللنا على أن معنى الآيات الأدلة والأعلام فيما مضى بما أغني عن إعادته, وجائز أن يكون الذي كان الله آتاه ذلك بلعم, وجائز أن يكون أمية, وكذلك الآيات إن كانت بمعنى الحجة التي هي بعض كتب الله التي أنزلها على بعض أنبيائه, فتعلمها الذي ذكره الله في هذه الآية, وعناه بها فجائز أن يكون الذي كان أوتيها بلعم, وجائز أن يكون أمية, لأن أمية كان فيما يقال قد قرأ من كتب أهل الكتاب, وإن كانت بمعنى كتاب أنزله الله على من أمر نبيّ الله عليه الصلاة والسلام أن يتلو على قومه نبأه أو بمعنى اسم الله الأعظم أو بمعنى النبوة, فغير جائز أن يكون معنياً به أمية لأن أمية لا تختلف الأمة في أنه لم يكن أوتي شيئاً من ذلك. ولا خبر بأيّ ذلك المراد وأيّ الرجلين المعنيّين يوجب الحجة ولا في العقل دلالة على أن ذلك المعنيّ به من أيّ. فالصواب أن يقال فيه ما قال الله, ويقرّ بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحي من الله.

وأما قوله: فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَإِنَّهُ يَعْنِي: خرج من الآيات التي كان الله آتاه إياها, فتبرأ منها.

وينحو ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

12031- حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قال: لما نزل موسى عليه السلام

يعني بالجبارين ومن معه آتاه يعني بلعم بنو عمه وقومه فقالوا: إن موسى رجل حديد, ومعه جنود كثيرة, وإنه إن يظهر علينا يهلكنا. فادع الله أن يردّ عنا موسى ومن معه قال: إني إن دعوت الله أن يردّ موسى ومن معه ذهبت دنياي وأخرتي. فلم يزالوا به حتى دعا عليهم, فسלخه الله مما كان عليه, فذلك قوله: فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ.

12032- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: كان الله آتاه آياته فتركها.
12033- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريح: قال ابن عباس: فَانْسَلَخَ مِنْهَا قَالَ: نزع منه العلم. وقوله: فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ يَقول: فصيره لنفسه تابعا ينتهي إلى أمره في معصية الله, ويخالف أمر ربه في معصية الشيطان وطاعة الرحمن. وقوله: فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ يَقول: فكان من الهالكين لضلاله وخلافه أمر ربه وطاعة الشيطان.

الآية : 176

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْضُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }..
يقول تعالى ذكره: ولو شئنا لرفعنا هذا الذي آتيناه آياتنا بآياتنا التي آتيناه, وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ يَقول: سكن إلى الحياة الدنيا في الأرض ومال إليها, وأثر لذتها وشهواتها على الآخرة, واتبع هواه, ورفض طاعة الله وخالف أمره.

وكانت قصة هذا الذي وصف الله خبره في هذه الآية, على اختلاف من أهل العلم في خبره وأمره, ما:

12034- حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر, عن أبيه, أنه سئل عن الآية: وَاتَّبَعَ هَوَاهُ يَقال له بلعام, وكان قد أوتي النبوة, وكان مجاب الدعوة. قال: وإن موسى أقبل في بني إسرائيل يريد الأرض التي فيها بلعام أو قال الشام قال: فرعب الناس منه رعبا شديدا, قال: فاتوا بلعاما, فقالوا ادع الله على هذا الرجل وجيشه قال: حتى أوامر ربي أو حتى أوامر قال: فأمر في الدعاء عليهم, ف قيل له: لا تدع عليهم فإنهم عبادي وفيهم نبيهم قال: فقال لقومه: إني أمرت ربي في الدعاء عليهم, وإني قد نُهيت. قال: فأهدوا إليه هدية فقبلها. ثم راجعوه فقالوا: ادع عليهم فقال: حتى أوامر ربي. فأمر فلم يأمره بشيء. قال: فقال: قد وأمرت فلم يأمرني بشيء, فقالوا: لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرّة الأولى. قال: فأخذ يدعو عليهم, فإذا دعا عليهم جرى على لسانه الدعاء على قومه وإذا أراد أن يدعو أن يُفْتَحَ لقومه, دعا أن يُفْتَحَ لموسى عليه السلام وجيشه أو نحو من ذلك إن شاء الله. قال: فقالوا ما نراك تدعو إلا علينا. قال: ما يجري على لساني إلا هكذا, ولو دعوتُ عليه ما استجيب لي, ولكن سأدلكم على أمر عسى أن يكون فيه هلاكهم إن الله يبغض الزنا, وإنهم إن وقعوا بالزنا هلكوا, ورجوت أن يهلكهم الله, فأخرجوا النساء لتستقبلهم وإنهم قوم مسافرون, فعسى أن

يزنوا فيهلكوا. قال: ففعلوا وأخرجوا النساء تستقبلهم. قال: وكان للملك ابنة، فذكر من عظمها ما الله أعلم به، قال: فقال أبوها أو بلعام: لا تمكني نفسك إلا من موسى قال: ووقعوا في الزنا. قال: وأتاها رأس سبط من أسباط بني إسرائيل، فأرادها على نفسه، قال: فقالت: ما أنا بممكنة نفسي إلا من موسى، قال: فقال: إن من منزلتي كذا وكذا، وإن من حالي كذا وكذا. قال: فأرسلت إلى أبيها تستأمره، قال: فقال لها: مَكْنِيهِ قال: ويأتيهما رجل من بني هارون ومعه الرمح فيطعنهما، قال: وأيدّه الله بقوة فانتظمتها جميعا، ورفعها على رمحه. قال: فرأهما الناس، أو كما حدّث. قال: وسلط الله عليهم الطاعون، قال: فمات منهم سبعون ألفا. قال: فقال أبو المعتمر: فحدثني سيار أن بلعاما ركب حمارة له، حتى إذا أتى المَعْلُولِي أو قال: طريقا من المعلولي جعل يضربها ولا تتقدّم. قال: وقامت عليه، فقالت: علام تضربني؟ أما ترى هذا الذي بين يديك؟ قال: فإذا الشيطان بين يديه، قال: فنزل فسجد له. قال الله: **وَإِنَّهُمْ عَلَىٰ تَبَاؤُا الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ... إِلَى قَوْلِهِ: لَعَلَّهُمْ يَتَّفَكَّرُونَ.** قال: فحدثني بهذا سيار، ولا أدري لعله قد دخل فيه شيء من حديث غيره.

12035- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا المعتمر، عن أبيه، قال: فبلغني حديث رجل من أهل الكتاب يحدث أن موسى سأل الله أن يطبعه وأن يجعله من أهل النار. قال: ففعل الله. قال: أنبئت أن موسى قتله بعد.

12036- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن سالم أبي النضر، أنه حدث: أن موسى لما نزل في أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعم إلى بلعم، فقالوا له: يا بلعم إن هذا موسى بن عمران في بني إسرائيل، قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلبها بني إسرائيل ويسكنها، وإنا قومك، وليس لنا منزل، وأنت رجل مجاب الدعوة، فاخرج وادع الله عليهم فقال: وبلکم نبیّ الله معه الملائكة والمؤمنون، كيف أذهب ادعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم؟ قالوا: ما لنا من منزل. فلم يزالوا به يرفعونه ويتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن. فركب حمارة له متوجها إلى الجبل الذي يطلعه على عسكر بني إسرائيل، وهو جبل حسان فلما سار عليها غير كثير ربضت به، فنزل عنها، فضربها، حتى إذا أدلقتها قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به. ففعل بها مثل ذلك، فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به. فضربها حتى إذا أدلقتها أذن الله لها، فكلّمته حجة عليه، فقالت: ويحك يا بلعم أين تذهب؟ أما ترى الملائكة تردني عن وجهي هذا؟ أتذهب إلى نبيّ الله والمؤمنين تدعو عليهم فلم ينزع عنها فضربها فحلى الله سبيلها حين فعل بها ذلك. قال: فانطلقت به حتى إذا أشرفت على رأس جبل حسان على عسكر موسى وبني إسرائيل جعل يدعو عليهم ولا يدعو عليهم بشراً إلا صرف به لسانه إلى قومه، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف لسانه إلى بني إسرائيل. قال: فقال له قومه: أتدري يا بلعم ما تصنع؟ إنما تدعو لهم وتدعو علينا قال: فهذا ما لا أملك، هذا شيء قد غلب الله عليه. قال: واندلع لسانه فوق على صدره، فقال لهم: قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة، فلم يبق إلا المكر والحيلة، فسامكر لكم وأحتال، حملوا النساء وأعطوهنّ السِّلْع، ثم أرسلوهنّ إلى العسكر يبعنها فيه، ومروهنّ فلا تمنع امرأة نفسها من رجل

أرادها، فإنهم إن زني منهم واحد كُفيتموهم ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرّت امرأة من الكنعانيين اسمها كستى ابنة صور رأس أمته برجل من عظماء بني إسرائيل، وهو زمري بن شلوم رأس سبط شمعون بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها، ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام فقال: إني أظنك ستقول هذه حرام عليك؟ فقال: أجل هي حرام عليك لا تقرّها قال: فوالله لا أطيعك في هذا، فدخل بها قبته فوقع عليها. وأرسل الله الطاعون في بني إسرائيل، وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى، وكان رجلاً قد أعطى بسطة في الخلق وقوة في البطش، وكان غائباً حين صنع زمري بن شلوم ما صنع. فجاء والطاعون يجوس في بني إسرائيل، فأخبر الخبر، فأخذ حربته، وكانت من حديد كلها، ثم دخل عليه القبة وهما متضاجعان، فانتظمهما بحربته، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء، والحربة قد أخذها بذراعه، واعتمد بمرفقه على خاصرته، وأسند الحربة إلى لحييه، وكان بكر العيزار، وجعل يقول: اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون، فحُسب من هلك من بني إسرائيل في الطاعون، فيما بين أن أصاب زمري المرأة إلى أن قتله فنحاص، فوجدوا قد هلك منهم سبعون ألفاً، والمقلل يقول: عشرون ألفاً في ساعة من النهار. فمن هنالك يعطى بنو إسرائيل ولد فنحاص بن العيزار بن هارون من كل ذبيحة ذبحوها الفشة والذراع واللحي، لاعتماده بالحربة على خاصرته وأخذها إياها بذراعه وإسناده إياها إلى لحييه، والبكر من كل أموالهم وأنفسهم، لأنه كان بكر العيزار. ففي بلعم بن باعورا أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم: **وَإِذْ عَلَّمْنَاهُ تَبَا الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَأَنْبَسَ مِنْهَا يَعْنِي بِلْعَم، فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ... إِلَى قَوْلِهِ: لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ.**

12037- حدثني موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، قال: انطلق رجل من بني إسرائيل يقال له بلعم، فأتى الجبارين فقال: لا ترهبوا من بني إسرائيل، فإني إذا خرجتم تقتلونهم أدعو عليهم فخرج يوشع يقاتل الجبارين في الناس. وخرج بلعم مع الجبارين على أتانه وهو يريد أن يلعن بني إسرائيل، فكلما أراد أن يدعو على بني إسرائيل دعا على الجبارين، فقال الجبارون: إنك إنما تدعو علينا فيقول: إنما أردت بني إسرائيل. فلما بلغ باب المدينة أخذ ملك بذنوب الأتان، فأمسكها فجعل يحركها فلا تتحرك، فلما أكثر ضربها تكلمت فقالت: أنت تنكحني بالليل وتركيني بالنهار؟ وبلي منك ولو أني أطقت الخروج لخرجت، ولكن هذا الملك يحبسني. وفي بلعم يقول الله: **وَإِذْ عَلَّمْنَاهُ تَبَا الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا... الآية.**

12038- حدثني الحارث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: ثني رجل سمع عكرمة، يقول: قالت امرأة منهم: أروني موسى، فأنا أفنته قال: فتطيبني، فمرّت على رجل يشبه موسى، فواقعها، فأتى ابن هارون فأخبر، فأخذ سيفاً، فطعن به في إحليله حتى أخرجه من قبلها، ثم رفعهما حتى رآهما الناس، فعلم أنه ليس موسى، ففُصّل آل هارون في القربان على آل موسى بالكيف والعصد والفخذ، قال: فهو الذي آتينا آياتنا فانسلخ منها، يعني بلعم.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: **وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا** فقال بعضهم: معناه: لرفعناه بعلمه بها. ذكر من قال ذلك.

12039- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: **وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا** لرفعه الله تعالى بعلمه. وقال آخرون: معناه لرفعنا عنه الحال التي صار إليها من الكفر بالله بآياتنا. ذكر من قال ذلك.

12040- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, عن عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: **وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا**: لرفعنا عنه بها.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: **وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا**: لرفعناه عنه.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله عمّ الخبر بقوله: **وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا** أنه لو شاء رفعه بآياته التي أتاه إياها. والرفع يعمّ معاني كثيرة, منها الرفع في المنزلة عنده, ومنها الرفع في شرف الدنيا ومكارمها. ومنها الرفع في الذكر الجميل والثناء الرفيع. وجائز أن يكون الله عنى كل ذلك أنه لو شاء لرفعها, فأعطاه كل ذلك بتوفيقه للعمل بآياته التي كان أتاه إياها.

وإذ كان ذلك جائزا, فالصواب من القول فيه أن لا يُخصّ منه شيء, إذ كان لا دلالة على خصوصه من خبر ولا عقل.

وأما قوله: **بِهَا** فإن ابن زيد قال في ذلك كالذي قلنا.

12041- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: **وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا** بتلك الآيات.

وأما قوله: **وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ** فإن أهل التأويل قالوا فيه نحو قولنا فيه. ذكر من قال ذلك.

12042- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسرائيل, عن أبي الهيثم, عن سعيد بن جبیر: **وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ** يعني: ركن إلى الأرض. قال: ثنا يحيى بن آدم, عن شريك, عن سالم, عن سعيد بن جبیر: **وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ** قال: نزع إلى الأرض.

12043- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: **أخلد**: سكن.

12044- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو ثميلة, عن أبي حمزة, عن جابر, عن مجاهد وعكرمة, عن ابن عباس, قال: كان في بني إسرائيل بلعام بن باعر أوتي كتابا, فأخلد إلى شهوات الأرض ولذتها وأموالها, لم ينتفع بما جاء به الكتاب.

12045- حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: **وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ** وَاتَّبَعَ هَوَاهُ أما أخلد إلى الأرض: فاتبع الدنيا, وركن إليها.

وأصل الإخلاق في كلام العرب: الإبطاء والإقامة, يقال منه: **أخلد فلان بالمكان** إذا أقام به وأخلد نفسه إلى المكان إذا أتاه من مكان آخر, ومنه قول زهير:

لَمَنْ الدِّيَارُ عَشِيَّتُهَا بِالْعَرَقِ قَدْ كَالَوْحِي فِي حَجَرِ الْمَسِيلِ الْمُخْلِدِ
يعني المقيم, ومنه قول مالك بن نويرة:

بَأْبَاءِ حَيٍّ مِنْ قَبَائِلِ مَالِكِوَعَمْرٍو بن يَزْبُوعِ أَقَامُوا فَأَخْلَدُوا
وكان بعض البصريين يقول: معنى قوله: أخلد: لزم وتقا عس وأبطأ،
والمخلد أيضا: هو الذي يبطنه شبيه من الرجال، وهو من الدواب الذي
تبقى ثناياه حتى تخرج رباعيته.

وأما قوله وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَإِنْ ابْنُ زَيْدٍ قَالَ فِي تَأْوِيلِهِ مَا:
12046- حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، في
قوله: وَاتَّبَعَ هَوَاهُ قَالَ: كان هواه مع القوم.
القول في تأويل قوله تعالى: فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثُ
أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ.

يقول تعالى ذكره: فمثل هذا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، مثل الكلب
الذي يلهث، طرده أو تركته.

ثم اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله جعل الله مثله كمثل
الكلب فقال بعضهم: مثله به في اللهث لتركه العمل بكتاب الله وآياته
التي آتاها إياه وإعراضه عن مواظب الله التي فيها إعراض من لم يؤته
الله شيئا من ذلك، فقال جل ثناؤه فيه: إذا كان سواء أمره وعظ بايات الله
التي آتاها إياه، أو لم يوعظ في أنه لا يتعظ بها، ولا يترك الكفر به، فمثله
مثل الكلب الذي سواء أمره في لهته، طرد أو لم يطرد، إذ كان لا يترك
الله بحال. ذكر من قال ذلك.

12047- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا
عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ
يَلْهَثُ قَالَ: تطرده، هو مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن
جريح، قال مجاهد: فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثُ قَالَ: تطرده
بدايتك ورجلك يلهث، قال: مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل بما فيه.

قال ابن جريح: الكلب منقطع الفؤاد، لا فؤاد له، إن حملت عليه يلهث، أو
تتركه يلهث. قال: مثل الذي يترك الهدى لا فؤاد له، إنما فؤاده منقطع.

12048- حدثني ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن توبة، عن معمر، عن
بعضهم: فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ فَذَلِكَ هُوَ
الكافر، هو ضالٌّ إن وعظته وإن لم تعظه.

12049- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال ثني معاوية،
عن علي، عن ابن عباس، قوله: فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ
الحكمة لم يحملها، وإن ترك لم يهتد لخير، كالكلب إن كان رابضا لهث
وإن طرد لهث.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني
أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: آتاه الله آياته فتركها، فجعل الله مثله
كمثل الكلب، إن تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث.

12050- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: وَأَنْلُ
عَلَيْهِمْ تَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ... الآية، هذا مثل
ضربه الله لمن عرض عليه الهدى، فأبى أن يقبله وتركه. قال: وكان
الحسن يقول: هو المنافق. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أُخْلِدَ إِلَى الْأَرْضِ
وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ قَالَ:
هذا مثل الكافر ميت الفؤاد.

وقال آخرون: إنما مثله جل ثناؤه بالكلب لأنه كان يلهث كما يلهث الكلب. ذكر من قال ذلك.

12051- حدثنا موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ وَكَانَ يَلْعَمُ يَلْهَثُ كَمَا يَلْهَثُ الْكَلْبُ. وأما تحمل عليه: فتشدد عليه. قال: أبو جعفر: وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من قال: إنما هو مثل لتركه العمل بآيات الله التي آتاها إياه، وأن معناه: سواء وعظ أو لم يعظ في أنه لا يترك ما هو عليه من خلافه أمر به، كما سواء حمل على الكلب وطرد أو ترك فلم يطرد في أنه لا يدع الله في كلتا حالتيه. وإنما قلنا ذلك أولى القولين بالصواب لدلالة قوله تعالى ذلك: مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فجعل ذلك مثل المكذبين بآياته. وقد علمنا أن اللهات ليس في خلقه كل مكذب كتب عليه ترك الإجابة من تكذيب آيات الله، وأن ذلك إنما هو مثل ضربه الله لهم، فكان معلوماً بذلك أنه للذي وصف الله صفته في هذه الآية، كما هو لسائر المكذبين بآيات الله مَثَلٌ. القول في تأويل قوله تعالى: ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ.

يقول تعالى ذكره: هذا المثل الذي ضربته لهذا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، مثل القوم الذين كذبوا بحجبتنا وأعلامنا وأدلتنا، فسلكوا في ذلك سبيل هذا المنسلخ من آياتنا الذي آتيناه إياه في تركه العمل بما آتيناه من ذلك.

وأما قوله: فَاقْصُصِ الْقِصَصَ فَإِنَّهُ يَقُولُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَاقْصُصْ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْقِصَصَ الَّذِي قِصَصْتَهُ عَلَيْكَ مِنْ نَبِيٍّ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا، وَأَخْبَارَ الْأُمَمِ الَّتِي أَخْبَرْتَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَقِصَصْتَهُ عَلَيْكَ نَبَاهُمْ وَنَبَأَ أَشْبَاهَهُمْ، وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ عِقَابِنَا وَنَزَلَ بِهِمْ، حِينَ كَذَّبُوا رُسُلَنَا مِنْ نَقْمَتِنَا عَلَى قَوْمِكَ مِنْ قَرِيشٍ وَمَنْ قَبْلَكَ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِيَتَفَكَّرُوا فِي ذَلِكَ فَيَعْتَبِرُوا وَيَنْبِيؤُوا إِلَى طَاعَتِنَا، لِئَلَّا يَحِلَّ بِهِمْ مِثْلَ الَّذِي حَلَّ بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ النِّقَمِ وَالْمِثْلَاتِ، وَيَتَدَبَّرَهُ الْيَهُودُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَيَعْلَمُوا حَقِيقَةَ أَمْرِكَ وَصِحَّةَ نَبُوءَتِكَ، إِذْ كَانَ نَبِيًّا الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا مِنْ خَفِيِّ عُلُومِهِمْ وَمَكْنُونِ أَخْبَارِهِمْ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا أَخْبَارُهُمْ وَمَنْ قَرَأَ الْكُتُبَ وَدَرَسَهَا مِنْهُمْ، وَفِي عِلْمِكَ بِذَلِكَ وَأَنْتَ أُمِّي لَا تَكْتَبُ وَلَا تَقْرَأُ وَلَا تَدْرُسُ الْكُتُبَ وَلَمْ تَجَالِسْ أَهْلَ الْعِلْمِ الْحِجَّةَ الْبَيْتَةَ لَكَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّكَ لَلَّهِ رَسُولٌ، وَأَنْكَ لَمْ تَعْلَمْ مَا عَلِمْتَ مِنْ ذَلِكَ، وَحَالِكَ الْحَالِ الَّتِي أَنْتَ بِهَا إِلَّا بُوْحَى مِنَ السَّمَاءِ.

وينحو ذلك كان أبو النصر يقول.

12052- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد، عن سالم أبي النصر: فَاقْصُصِ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ يعني: بني إسرائيل، إذ قد جئتهم بخبر ما كان فيهم مما يخفون عليك، لعلهم يتفكرون، فيعرفون أنه لم يأت بهذا الخبر عما مضى فيهم إلا نبي يأتيه خبر السماء.

الآية : 177

القول في تأويل قوله تعالى: {سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ} ..

يقول تعالى ذكره: ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بحجج الله وأدلتها فجدوها، وأنفسهم كانوا ينقصون حظوظها، ويبخسونها منافعها بتكذيبهم بها لا غيرها. وقيل: ساء مثلاً من الشر، بمعنى: بئس مثلاً. وأقيم القوم مقام المثل، وحذف المثل، إذ كان الكلام مفهوماً معناه، كما قال جل ثناؤه: وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ فَإِنَّ مَعْنَاهُ: ولكن البرُّ برٌّ من آمن بالله. وقد بيّنا نظائر ذلك في مواضع غير هذا بما أغنى عن إعادته.

الآية : 178

القول في تأويل قوله تعالى: { مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } ..

يقول تعالى ذكره: الهداية والإضلال بيد الله والمهتدي وهو السالك سبيل الحقِّ الراكب قصد المحجة في دينه من هداه الله لذلك، فوفقه لإصابته. والضالُّ من خذله الله فلم يوفقه لطاعته، ومن فعل الله ذلك به فهو الخاسر: يعني الهالك. وقد بيّنا معنى الخسارة والهداية والضلالة في غير موضع من كتابنا هذا بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

الآية : 179

القول في تأويل قوله تعالى: { وَلَقَدْ دَرَأْنَا لَجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ } ..

يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا لجهنم كثيراً من الجنِّ والإنس، يقال منه: ذرأ الله خلقه يذرؤهم ذرءاً.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

12053- حدثني علي بن الحسين الأزدي، قال: حدثني يحيى بن يمان، عن مبارك بن فضالة، عن الحسن، في قوله: وَلَقَدْ دَرَأْنَا لَجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ قال: مما خلقنا.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن أبي زائدة، عن مبارك، عن الحسن، في قوله: وَلَقَدْ دَرَأْنَا لَجَهَنَّمَ قال: خلقنا.

12054- قال: ثنا زكريا، عن عتاب بن بشير، عن علي بن يديمة، عن سعيد بن جبير، قال: أولاد الزنا مما ذرأ الله لجهنم.

12055- قال: ثنا زكريا بن عدي وعثمان الأحول، عن مروان بن معاوية، عن الحسن بن عمرو، عن معاوية ابن إسحاق، عن جليس له بالطائف، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا دَرَأَ لَجَهَنَّمَ مَا دَرَأَ، كَانَ وَلَدُ الرَّنَا مِمَّنْ دَرَأَ لَجَهَنَّمَ».

12056- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: وَلَقَدْ دَرَأْنَا لَجَهَنَّمَ يقول: خلقنا.

12057- حدثني الحرث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا أبو سعد، قال: سمعت مجاهداً يقول في قوله: وَلَقَدْ دَرَأْنَا لَجَهَنَّمَ قال: لقد خلقنا لجهنم كثيراً من الجنِّ والإنس.

12058- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس: وَلَقَدْ دَرَأْنَا لَجَهَنَّمَ خلقنا.

وقال جل ثناؤه: وَلَقَدْ دَرَأْنَا لَجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لنفاذ علمه فيهم بأنهم يصيرون إليها بكفرهم بربهم.

وأما قوله: لَّهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا فَإِن مَعْنَاهُ: لهؤلاء الذين ذرأهم الله لجهنم من خلقه قلوب لا يتفكرون بها في آيات الله، ولا يتدبرون بها أدلته على وحدانيته، ولا يعتبرون بها حجه لرسله، فيعلموا توحيد ربهم، ويعرفوا حقيقة نبوة أنبيائهم. فوصفهم ربنا جل ثناؤه بأنهم لا يفقهون بها لإعراضهم عن الحق وتركهم تدبر صحة الرشد وبطول الكفر. وكذلك قوله: وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا مَعْنَاهُ: ولهم أعين لا ينظرون بها إلى آيات الله وأدلته، فيناملوها ويتفكروا فيها، فيعلموا بها صحة ما تدعوهم إليه رسلهم، وفساد ما هم عليه مقيمون من الشرك بالله وتكذيب رسله فوصفهم الله بتركهم أعمالها في الحق بأنهم لا يبصرون بها. وكذلك قوله: وَلَهُمْ أَدَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا آيَاتِ كِتَابِ اللَّهِ فَيَعْتَبِرُوهَا وَيَتَفَكَّرُ فِيهَا، ولكنهم يعرضون عنها، ويقولون: لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ. وذلك نظير وصف الله إياهم في موضع آخر بقوله: صُمُّ بُكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ والعرب تقول ذلك للتارك استعمال بعض جوارحه فيما يصلح له، ومنه قول مسكين الدارمي:

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي حَرَجْتَحْتِي يُوَارِي جَارَتِي السُّرُّ
وَأَصَمَّ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمْعِي وَمَا بِالسَّمْعِ مِنْ وَفَرٍ
فوصف نفسه لتركه النظر والاستماع بالعمى والصمم. ومنه قول الآخر:
وَعَوْرَاءِ اللَّثَامِ صَمَمْتُ عَنْهَا وَإِنِّي لَوْ أَشَاءُ بِهَا سَمِيعٌ
وَبَادِرَةٍ وَرَعْتُ النَّفْسَ عَنْهَا وَلَوْ بَيَّنْتُ مِنَ الْعَصَبِ الصَّلُوعُ
وذلك كثير في كلام العرب وأشعارها.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.
12059- حدثني الحرث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا أبو سعد، قال: سمعت مجاهدا يقول في قوله: لَّهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا قَالَ: لَا يَفْقَهُونَ بِهَا شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ. وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا الْهُدَى. وَلَهُمْ أَدَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا الْحَقُّ ثُمَّ جَعَلَهُمْ كَالْأَنْعَامِ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ شَرًّا مِنَ الْأَنْعَامِ، فَقَالَ: بَلْ هُمْ أَصَلُّ ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ هُمُ الْغَافِلُونَ.
القول في تأويل قوله تعالى: أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَصَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ.

يعني جل ثناؤه بقوله: أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ هؤلاء الذين ذرأهم لجهنم هم كالأَنْعَامِ، وهي البهائم التي لا تفقه ما يقال لها ولا تفهم ما أبصرته مما يصلح وما لا يصلح ولا تعقل بقلوبها الخير من الشر فتميز بينهما، فشبههم الله بها، إذ كانوا لا يتذكرون ما يرون بأبصارهم من حجه، ولا يتفكرون فيما يسمعون من أي كتابه. ثم قال: بَلْ هُمْ أَصَلُّ يقول: هؤلاء الكفرة الذين ذرأهم لجهنم أشد ذهابا عن الحق وألزم لطريق الباطل من البهائم، لأن البهائم لا اختيار لها ولا تمييز فتختار وتميز، وإنما هي مسخرة ومع ذلك تهرب من المضار وتطلب لأنفسها من الغذاء الأصلح. والذين وصف الله صفتهم في هذه الآية، مع ما أعطوا من الأفهام والعقول المميزة بين المصالح والمضار، تترك ما فيه صلاح دنياها وآخرتها وتطلب ما فيه مضارها، فالبهائم منها أسد وهي منها أصل، كما وصفها به ربنا جل ثناؤه.

وقوله: أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفت صفتهم، القوم الذين غفلوا، يعني سهوا عن آياتي وحججي، وتركوا تدبرها والاعتبار

بها والاستدلال على ما دلت عليه من توحيد ربها, لا البهائم التي قد عرّفها ربها ما سخرها له.

الآية : 180

القول في تأويل قوله تعالى: { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سُبُجْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } ..

يقول تعالى ذكره ولله الأسماء الحسنى, وهي كما قال ابن عباس. 12060- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ومن أسمائه: العزيز الجبار, وكل أسماء الله حسن.

12061- حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن هشام بن حسان, عن ابن سيرين, عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِثَّةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا كُلَّهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وأما قوله: وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ فإنه يعني به المشركين. وكان إلحادهم في أسماء الله أنهم عدلوا بها عما هي عليه, فسموا بها ألتهم وأوثانهم, وزادوا فيها ونقصوا منها, فسموا بعضها اللات اشتقاقا منهم لها من اسم الله الذي هو الله, وسموا بعضها العزى اشتقاقا لها من اسم الله الذي هو العزيز.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

12062- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ قال: إلحاد الملحدين أن دعوا اللات في أسماء الله.

12063- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ قال: اشتقوا العزى من العزيز, واشتقوا اللات من الله.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله يُلْحِدُونَ فقال بعضهم: يكذبون. ذكر من قال ذلك.

12064- حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس, قوله: وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ قال: الإلحاد: التكذيب.

وقال آخرون: معنى ذلك: يشركون. ذكر من قال ذلك.

12065- حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا أبو ثور, عن معمر, عن قتادة: يُلْحِدُونَ قال: يشركون.

وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدول عن القصد, والجور عنه, والإعراض, ثم يستعمل في كل معوج غير مستقيم, ولذلك قيل للحد القبر لحد, لأنه في ناحية منه وليس في وسطه, يقال منه: ألحد فلان يُلْحِدُ إلحادا, ولحد يُلْحِدُ لَحْدًا ولحودا. وقد ذكر عن الكسائي أنه كان يفرق بين الإلحاد واللحد, فيقول في الإلحاد: إنه العدول عن القصد, وفي اللحد إنه الركون إلى الشيء, وكان يقرأ جميع ما في القرآن «يُلْحِدُونَ» بضم الياء وكسر الحاء, إلا التي في النحل, فإنه كان يقرأها: «يَلْحِدُونَ» بفتح الياء والحاء, وبزعم أنه بمعنى الركون. وأما

سائر أهل المعرفة بكلام العرب فيرون أن معناهما واحد، وأنهما لغتان جاءتا في حرف واحد بمعنى واحد.
واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض البصريين والكوفيين: يُلجِدُونَ بضم الياء وكسر الحاء من الحد يُلجِد في جميع القرآن. وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة: «يَلجِدُونَ» بفتح الياء والحاء من لحد يلحد.
والصواب من القول في ذلك أنهما لغتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب في ذلك. غير أنني أختار القراءة بضم الياء على لغة من قال: «الجد»، لأنها أشهر اللغتين وأفصحهما. وكان ابن زيد يقول في قوله: وَذَرُوا الَّذِينَ يُلجِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ إِنَّهُ مَنْسُوخٌ.
12066- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَذَرُوا الَّذِينَ يُلجِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ قَالَ: هؤلاء أهل الكفر، وقد نسخ، نسخه القتال.

ولا معنى لما قال ابن زيد في ذلك من أنه منسوخ، لأن قوله: وَذَرُوا الَّذِينَ يُلجِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ليس بأمر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بترك المشركين أن يقولوا ذلك حتى يأذن له في قتالهم، وإنما هو تهديد من الله للملحدين في أسمائه ووعيد منه لهم، كما قال في موضع آخر: ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمْلُ... الآية، وكقوله: لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ وهو كلام خرج مخرج الأمر بمعنى الوعيد والتهديد، ومعناه: إن ثمهل الذين يلحدون يا محمد في أسماء الله إلى أجل هم بالغوه، فسوف يجزون إذا جاءهم أجل الله الذي أجله إليهم جزاء أعمالهم التي كانوا يعملونها قبل ذلك من الكفر بالله والإلحاد في أسمائه وتكذيب رسوله.

الآية : 181

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} ..
يقول تعالى ذكره: ومن الخلق الذين خلقنا أمة، يعني جماعة يهدون، يقول: يهتدون بالحق وبه يعدلون يقول: وبالحق يقضون وينصفون الناس، كما قال ابن جريج.
12067- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ قَالَ ابن جريج: ذكره لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم، قال: «هَذِهِ أُمَّتِي» قَالَ: «بِالْحَقِّ يَأْخُذُونَ وَيُعْطُونَ وَيَقْضُونَ».

12068- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ.
12069- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ بَلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا قرأها: «هَذِهِ لَكُمْ، وَقَدْ أُعْطِيَ الْقَوْمَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ مِنْهَا، وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ».

الآية : 182

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ} ..

يقول تعالى ذكره: والذين كذبوا بأدلتنا وأعلامنا، فجدوها ولم يتذكروا بها، سنمهلهم بغرته ونزين له سوء عمله، حتى يحسب أنه هو فيما عليه من تكذيبه آيات الله إلى نفسه محسن، وحتى يبلغ الغاية التي كتب له من المهل، ثم يأخذه بأعماله السيئة، فيجازيه بها من العقوبة ما قد أعد له. وذلك استدراج الله إياه. وأصل الاستدراج اغترار المستدرج بلطف من حيث يرى المستدرج أن المستدرج إليه محسن حتى يورطه مكروها. وقد بينا وجه فعل الله ذلك بأهل الكفر به فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

الآية : 183

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَمْلِي لَهُمْ إِنِّ كَيْدِي مَتِينٌ} ..
يقول تعالى ذكره: وأؤخر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا مُلاءةً بالكسر والضم والفتح من الدهر، وهي الحين، ومنه قيل: انتظرتك مليا، ليلغوا بمعصيتهم ربهم المقدر الذي قد كتبه لهم من العقاب والعذاب ثم يقبضهم إليه. إِنِّ كَيْدِي والكيد: هو المكر. وقوله مَتِينٌ يعني: قويٌّ شديد، ومنه قول الشاعر:

عَدَلْنَ عُدُولَ النَّاسِ وَأَقْبِحَ يُبْتَلِئُفَاسُ مِنْ الْهَرَابِ سَدِّ مَمَاتِنِ
يعني: سيرا شديدا باقيا لا ينقطع.

الآية : 184

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا تَذِيرٌ مُّبِينٌ} ..
يقول تعالى ذكره: أو لم يتفكر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا فيتدبروا بعقولهم، ويعلموا أن رسولنا الذي أرسلناه إليهم، لا جنة به ولا خبل، وأن الذي دعاهم إليه هو الدين الصحيح القويم والحق المبين. ولذا نزلت هذه الآية فيما قبل، كما:

12070- حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان على الصفا، فدعا قريشا، فجعل يفحذهم فحذا فحذا: يا بني فلان يا بني فلان فحذّهم بأس الله، ووقائع الله، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت إلى الصباح، أو حتى أصبح. فأنزل الله تبارك وتعالى: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا تَذِيرٌ مُّبِينٌ}.
ويعني بقوله: {إِنْ هُوَ إِلَّا تَذِيرٌ مُّبِينٌ}: ما هو إلا نذير منذركم عقاب الله على كفركم به إن لم تنبوا إلى الإيمان به، ويعني بقوله: {مُبِينٌ} قد أبان لكم أيها الناس إنذاره ما أنذركم به من بأس الله على كفركم به.

الآية : 185

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ قِيَايَ حَدِيثِ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} ..

يقول تعالى ذكره: أو لم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله في ملك الله وسلطانه في السموات وفي الأرض وفيما خلق جل ثناؤه من شيء

فيهما، فيتدبروا ذلك ويعتبروا به ويعلموا أن ذلك ممن لا نظير له ولا شبيهه، ومن فعل من لا ينبغي أن تكون العبادة والدين الخالص إلا له، فيؤمنوا به ويصدقوا رسوله وينيبوا إلى طاعته ويخلعوا الأنداد والأوثان ويحذروا أن تكون أجالهم قد اقتربت فيهلكوا على كفرهم وبصيروا إلى عذاب الله وأليم عقابه.

وقوله: **فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ** يقول: فبأيّ تجويف وتحذير وترهيب بعد تحذير محمد صلى الله عليه وسلم وترهيبه الذي أتاهم به من عند الله في أي كتابه يصدقون، إن لم يصدقوا بهذا الكتاب الذي جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى.

الآية : 186

القول في تأويل قوله تعالى: { **مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَدْرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** } ..

يقول تعالى ذكره: إن إعراض هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا، التاركي النظر في حجج الله والفكر فيها، لإضلال الله إياهم، ولو هداهم الله لاعتبروا وتدبروا فأبصروا رشدهم ولكن الله أضلهم فلا يبصرون رشدا ولا يهتدون سبيلا، ومن أضله عن الرشاد فلا هادي له. ولكن الله يدعهم في تماديهم في كفرهم وتمردهم في شركهم يترددون، ليستوجبوا الغاية التي كتبها الله لهم من عقوبته وأليم نكاله.

الآية : 187

القول في تأويل قوله تعالى: { **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِمَّا عِلْمُهُا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ تَقُلْتُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِمَّا عِلْمُهُا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** } ..

اختلف أهل التأويل في الذين عثوا بقوله: **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ** فقال بعضهم: عني بذلك قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش، وكانوا سألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك: 12071- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم: إن بيننا وبينك قرابة، فأسرر إلينا متى الساعة فقال الله: **يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا**.

وقال آخرون: بل عني به قوم من اليهود. ذكر من قال ذلك: 12072- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يونس بن بكير، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: ثني سعيد بن جبیر أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال حمل بن أبي فُشير وسُمول بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا كما تقول، فإننا نعلم متى هي فأنزل الله تعالى: **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِمَّا عِلْمُهُا عِنْدَ رَبِّي... إلى قوله: وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**.

12073- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن طارق بن شهاب، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال يذكر من شأن الساعة حتى نزلت: **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا**.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن قوما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة، فأنزل الله هذه الآية، وجائز أن يكون كانوا من قريش، وجائز أن يكونوا كانوا من اليهود ولا خبر بذلك عندنا يجوز قطع القول على أي ذلك كان.

فتأويل الآية إذن: يسئلك القوم الذين يسئلونك عن الساعة أيان مرساها، يقول: متى قيامها. ومعنى «أيان»: «متى» في كلام العرب، ومنه قول الراجز:

أيان تفضي حاجتي أيانأما ترى لئججها إباناً
ومعنى قوله: مُرساها: قيامها، من قول القائل: أرساها الله فهي مرساة، وأرساها القوم: إذا حبسوها، ورست هي ترسو رُسُوًا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

12074- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا: يقول متى قيامها.

12075- حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا: متى قيامها.

وقال آخرون: معنى ذلك: منتهاها. وذلك قريب المعنى من معنى من قال: معناه: قيامها، لأن انتهاءها: بلوغها وقتها. وقد بينا أن أصل ذلك الحبس والوقوف. ذكر من قال ذلك.

12076- حدثنا المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا يعني: منتهاها.

وأما قوله: قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ فإنه أمر من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأن يجيب سائله عن الساعة بأنه لا يعلم وقت قيامها إلا الله الذي يعلم الغيب، وأنه لا يظهرها لوقتها ولا يعلمها غيره جل ذكره. كما:

12077- حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ يقول: علمها عند الله، هو يجليها لوقتها، لا يعلم ذلك إلا الله.

12078- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: لا يُجَلِّيهَا: يأتي بها.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد: لا يُجَلِّيهَا لا يأتي بها إلا هو.

12079- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ يقول: لا يرسلها لوقتها إلا هو.

القول في تأويل قوله تعالى: تَقَلَّتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَعَثَةً.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: ثقلت الساعة على أهل السموات والأرض أن يعرفوا وقتها ومجيئها لخفائها عنهم واستئثار الله بعلمها. ذكر من قال ذلك.

12080- حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي, قوله: تَقُلْتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَقُولُ: خفيت في السموات والأرض, فلم يعلم قيامها متى تقوم مَلَكٌ مَقْرَبٌ ولا نبيٌّ مرسل.

12081- حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, وحدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق جميعا, عن معمر, عن بعض أهل التأويل: تَقُلْتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَالَ: ثقل علمها على أهل السموات وأهل الأرض أنهم لا يعلمون.
وقال آخرون: معنى ذلك: أنها كبرت عند مجيئها على أهل السموات والأرض. ذكر من قال ذلك.

12082- حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, وحدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق جميعا, عن معمر, قال: قال الحسن, في قوله: تَقُلْتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يعني: إذا جاءت تَقُلْتُ على أهل السماء وأهل الأرض. يقول: كَبُرَتْ عَلَيْهِمْ.
12083- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريح: تَقُلْتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَالَ: إذا جاءت انشقت السماء, وانتشرت النجوم, وكُوِّرَتِ الشَّمْسُ, وسُيِّرَتِ الْجِبَالُ, وكان ما قال الله فذلك ثقلها.

12084- حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي, قال: قال بعض الناس في «ثقلت»: عظمت.
وقال آخرون: معنى قوله: فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: على السموات والأرض. ذكر من قال ذلك.

12085- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: تَقُلْتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: أي على السموات والأرض.
قال أبو جعفر: وأولى ذلك عندي بالصواب, قول من قال: معنى ذلك: ثقلت الساعة في السموات والأرض على أهلها أن يعرفوا وقتها وقيامها لأن الله أخفى ذلك عن خلقه, فلم يطلع عليه منهم أحدا. وذلك أن الله أخبر بذلك بعد قوله: قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ وأخبر بعده أنها لا تأتي إلا بغتة, فالذي هو أولى أن يكون ما بين ذلك أيضا خبرا عن خفاء علمها عن الخلق, إذ كان ما قبله وما بعده كذلك.
وأما قوله: لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً فَإِنَّهُ يَقُولُ: لَا تَجِيءُ السَّاعَةُ إِلَّا فَجَاءَةً, لَا تَشْعُرُونَ بِمَجِيئِهَا. كما:

12086- حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَقُولُ: يَبْغَتْهُمْ قِيَامُهَا, تَأْتِيهِمْ عَلَى غَفْلَةٍ.

12087- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً قَضَى اللَّهُ أَنَّهَا لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً. قال: وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «إِنَّ السَّاعَةَ تَهْبِجُ بِالنَّاسِ وَالرَّجُلُ يُصْلِحُ حَوْضَهُ وَالرَّجُلُ يُسْقِي مَا شَبَّيْتَهُ وَالرَّجُلُ يُقِيمُ سِلْعَتَهُ فِي السُّوقِ وَالرَّجُلُ يَخْفِضُ مِيرَاتَهُ وَيَرْقَعُهُ».

القول في تأويل قوله تعالى: يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ كَاتِبٌ فَخَفِيَ عَنِهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ.

يقول تعالى ذكره: يسألك هؤلاء القوم عن الساعة، كأنك حفي عنها. فقال بعضهم: يسألونك عنها كأنك حفي بهم. وقالوا: معنى قوله: «عنها» التقديم وإن كان مؤخرا. ذكر من قال ذلك.

12088- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا يَقُولُ: كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ مَوَدَّةٌ، كأنك صديق لهم. قال ابن عباس: لما سأل الناس محمدا صلى الله عليه وسلم عن الساعة سأله سؤال قوم كأنهم يرون أن محمدا حفي بهم، فأوحى الله إليه: إنما علمها عنده، استأثر بعلمها، فلم يُطلع عليها ملكا ولا رسولا.

12089- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: قال قتادة: قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم: إن بيننا وبينك قرابة، فأسرر إلينا متى الساعة فقال الله: يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا: أي حفي بهم. قال: قالت قريش: يا محمد أسرر إلينا علم الساعة لما بيننا وبينك من القرابة لقرابتنا منك. 12090- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبو خالد الأحمر وهانئ بن سعيد، عن حجاج، عن خصيف، عن مجاهد وعكرمة: يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قال: حفي بهم حين يسألونك.

12091- حدثني الحرث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس: يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قال: قربت منهم، وتحفي عليهم. قال: وقال أبو مالك: كأنك حفي بهم، قال: قريب منهم، وتحفي عليهم. قال: وقال أبو مالك: كأنك حفي بهم فتحدثهم.

12092- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا كأنك صديق لهم. وقال آخرون: بل معنى ذلك: كأنك قد استحفيت المسألة عنها فغلمتها. ذكر من قال ذلك.

12093- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: كأنك حفي عنها استحفيت عنها السؤال حتى علمتها. حدثني الحرث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا أبو سعد، عن مجاهد في قوله: كأنك حفي عنها قال: استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقتها.

12094- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا المجاربي، عن جوير، عن الضحاك: يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قال: كأنك عالم بها. قال: حدثنا حامد بن نوح، عن أبي روق، عن الضحاك: يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قال: كأنك تعلمها.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثني عبيد بن سليمان، عن الضحاك، قوله: يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا يقول: يسألونك عن الساعة، كأنك عندك علما منها. قل إنما علمها عند ربي.

12095- حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن بعضهم: كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنَّا: كأنك عالم بها.

12096- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنَّا قال: كأنك عالم بها. وقال: أخفى علمها على خلقه. وقرأ: إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ, حتى ختم السورة.

12097- حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن علي بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنَّا يقول: كأنك يعجبك سؤالهم إياك. قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ. وقوله: كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنَّا يقول: لطيف بها.

فوجه هؤلاء تأويل قوله: كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنَّا إلى حفي بها, وقالوا: تقول العرب: تحفيت له في المسئلة, وتحفيت عنه. قالوا: ولذلك قيل: أتينا فلانا نسأل به, بمعنى نسأل عنه.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: كأنك حفي بها بالمسئلة عنها فتعلمها.

فإن قال قائل: وكيف قيل: حَفِيٌّ عَنَّا ولم يقل حفي بها, إن كان ذلك تأويل الكلام؟ قيل: إن ذلك قيل كذلك, لأن الحفاوة إنما تكون في المسئلة, وهي البشاشة للمسؤول عند المسئلة, والإكثار من السؤال عنه, والسؤال يوصل ب «عن» مرّة وبالباء مرّة, فيقال: سألت عنه, وسألت به فلما وضع قوله «حفي» موضع السؤال, وصل بأغلب الحرفين اللذين يوصل بهما السؤال, وهو «عن», كما قال الشاعر:

سُؤَالَ حَفِيٍّ عَنِّ أَخِيهِ كَأَنَّهُ يَدْكُرُهُ وَيَسْنَانُ أَوْ مُتَوَاسِنُ
وأما قوله: قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ فإن معناه: قل يا محمد لسائلك عن وقت الساعة وحين مجيئها: لا علم لي بذلك, ولا يعلم به إلا الله الذي يعلم غيب السموات والأرض. وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يقول: ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك لا يعلمه إلا الله, بل يحسبون أن علم ذلك يوجد عند بعض خلقه.

الآية : 188

القول في تأويل قوله تعالى: { قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } ..

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لسائلك عن الساعة أيان مرساها: لا أملك لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا يقول: لا أقدر على اجتلاب نفع إلى نفسي, ولا دفع ضررٍ يحلُّ بها عنها إلا ما شاء الله أن أملكه من ذلك بأن يقوِّني عليه ويعينني. وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ يقول: لو كنت أعلم ما هو كائن مما لم يكن بعد لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ يقول: لأعددت الكثير من الخير.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى الخير الذي عناه الله بقوله: لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ فقال بعضهم: معنى ذلك: لاستكثرت من العمل الصالح. ذكر من قال ذلك.

12098- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج: قوله: قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قال: الهدى والضلالة. لَوْ

كُنْتُ أَعْلَمُ الْعَيْبَ لِاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ قَالَ: أَعْلَمُ الْغَيْبَ مَتَى أَمُوتَ
 لاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ.
 12099- حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن
 أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
 12100- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد, في
 قوله: وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْعَيْبَ لِاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ: قال:
 لاجتنبت ما يكون من الشرِّ واتقيته.
 وقال آخرون: معنى ذلك: ولو كنت أعلم الغيب لأعددت للسُّنة المجدبة
 من المخصبة, ولعرفت الغلاء من الرخص, واستعددت له في الرخص.
 وقوله: وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ يقول: وما مسني الضر. إن أنا إلا تذييرٌ وبشيرٌ
 يقول: ما أنا إلا رسول الله أرسلني إليكم, أنذر عقابه من عصاه منكم
 وخالف أمره, وأبشر بثوابه وكرامته من آمن به وأطاعة منكم. قولوه: لِقَوْمٍ
 يُؤْمِنُونَ يقول: يصدقون بأني لله رسول, ويقروون بحقية ما جئتهم به من
 عنده.

الآية : 189

القول في تأويل قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ
 مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا
 أَتَتْهُ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ } ..
 يقول تعالى ذكره: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ. يعني بالنفس
 الواحدة: آدم كما:

12101- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن رجل, عن
 مجاهد: خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ قَالَ: آدم عليه السلام.
 12102- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله:
 هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ مِنْ آدَمَ.
 ويعني بقوله: وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا: وجعل من النفس الواحدة, وهو آدم,
 زوجها حواء كما:

12103- حدثني بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة:
 وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا: حواء, فجعلت من صلح من أضلعه ليسكن إليها.
 ويعني بقوله: لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا: لياوى إليها لقضاء الحاجة ولذته. ويعني
 بقوله: فَلَمَّا تَغَشَّاهَا فلما تذررها لقضاء حاجته منها فقضى حاجته منها,
 حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا وفي الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ظهر عما
 حذف, وذلك قوله: فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ وَإِنَّمَا الْكَلَامُ: فلما تغشاه فقضى
 حاجته منها حملت. وقوله: حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا يعني بخفة الحمل: الماء
 الذي حملته حواء في رحمها من آدم أنه كان حملاً خفيفاً, وكذلك هو حمل
 المرأة ماء الرجل خفيف عليها. وأما قوله: فَمَرَّتْ بِهِ فَإِنَّهُ يَعْنِي:
 استمرت بالماء: قامت به وقعدت, وأتمت الحمل. كما:

12104- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن أبي عمير, عن أبوب,
 قال: سألت الحسن عن قوله: حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ قَالَ: لو كنت
 امرأً عربياً لعرفت ما هي, إنما هي: فاستمرت به.

12105- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: فَلَمَّا
 تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ اسْتَبَانَ حَمْلَهَا.

12106- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: قَمَرْتُ بِهِ قَالَ: اسْتَمَرَّ حَمَلُهَا.
12107- حدثني موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، قوله: حَمَلْتُ حَمَلًا خَفِيفًا قَالَ: هِيَ النُّطْفَةُ. وَقَوْلُهُ قَمَرْتُ بِهِ يَقُولُ: اسْتَمَرَّتْ بِهِ.

وقال آخرون: معنى ذلك: فشكت فيه. ذكر من قال ذلك.
12108- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن ابن عباس، في قوله: قَمَرْتُ بِهِ قَالَ: فَشَكَتْ أَحْمَلتْ أُم لَأ.

وبعني بقوله: فَلَمَّا أُثْقَلَتْ فَلَمَّا صَارَ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْحَمْلِ الَّذِي كَانَ خَفِيفًا ثَقِيلًا وَدَنَتْ وَلادَتْهَا، يُقَالُ مِنْهُ: أُثْقَلتْ فَلَانَةٌ إِذَا صَارَتْ ذَاتَ ثَقَلٍ بِحَمْلِهَا كَمَا يُقَالُ: أَتَمَرُ فَلَانٌ: إِذَا صَارَ ذَا تَمَرٍ. كَمَا:

12109- حدثني موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: فَلَمَّا أُثْقَلَتْ: كَبُرَ الْوَلَدُ فِي بَطْنِهَا.
قال أبو جعفر: دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا، يَقُولُ: نَادَى آدَمُ وَحَوَّاءُ رَبَّهُمَا وَقَالَا: يَا رَبَّنَا لئن آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ.

واختلف أهل التأويل في معنى الصلاح الذي أقسم آدم وحواء عليهما السلام أنه إن آتاهما صالحا في حمل حواء لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فقال بعضهم: ذلك هو أن يكون الحمل غلاما. ذكر من قال ذلك.

12110- حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: قال الحسن، في قوله: لئن آتَيْتَنَا صَالِحًا قَالَ: غَلَامًا.
وقال آخرون: بل هو أن يكون المولود بشرا سويا مثلهما، ولا يكون بهيمة. ذكر من قال ذلك.

12111- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن سفيان، عن زيد بن جبير الحسبي، عن أبي البختري، في قوله: لئن آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قَالَ: أَشْفَقَا أَنْ يَكُونَ شَيْئًا دُونَ الْإِنْسَانِ.

قال: حدثنا يحيى بن يمان، عن سفيان، عن زيد بن جبير، عن أبي البختري، قال: أَشْفَقَا أَنْ لَا يَكُونَ إِنْسَانًا.

12112- قال: حدثنا محمد بن عبيد، عن إسماعيل، عن أبي صالح، قال: لما حملت امرأة آدم فأثقلت، كان يشفقان أن يكون بهيمة، فدَعَا رَبَّهُمَا لئن آتَيْتَنَا صَالِحًا... الآية.

12113- قال: حدثنا جابر بن نوح، عن أبي روق، عن الضحاک، عن ابن عباس، قال: أَشْفَقَا أَنْ يَكُونَ بِهِمَةً.

12114- حدثني القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال سعيد بن جبير: لما هبط آدم وحواء، أَلْقِيَتِ الشَّهْوَةُ فِي نَفْسِهِ فَأَصَابَهَا، فَلَيْسَ إِلَّا أَنْ أَصَابَهَا حَمَلتْ، فَلَيْسَ إِلَّا أَنْ حَمَلتْ تَحَرَّكَ فِي بَطْنِهَا وَلِدَهَا، قَالَتْ: مَا هَذَا؟ فَجَاءَهَا إِبْلِيسُ، فَقَالَ: أَتَرِينَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا نَاقَةَ أَوْ بَقْرَةَ أَوْ ضَائِنَةً أَوْ مَاعِزَةً؟ هُوَ بَعْضُ ذَلِكَ. قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا مَنَى شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ يَضِيقُ عَن ذَلِكَ. قَالَ: فَأُطِيعَنِي وَسَمِيهِ عَبْدَ الْحَرثِ تَلَدِي شَبْهَكُمَا مِثْلَكُمَا قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: هُوَ صَاحِبُنَا الَّذِي قَدْ أَخْرَجَنَا مِنَ الْجَنَّةِ. فَمَاتَ، ثُمَّ حَمَلتْ بِأَخْرَجَهَا فَقَالَ: أَطِيعَنِي وَسَمِيهِ عَبْدَ الْحَرثِ وَكَانَ اسْمُهُ فِي الْمَلَائِكَةِ الْحَارِثُ وَإِلَّا وَلَدتْ نَاقَةً أَوْ

بقرة أو ضائنة أو ماعزة، أو قتلته، فإنني أنا قتلت الأول قال: فذكرت ذلك لآدم، فكأنه لم يكرهه، فسمته عبد الحرث، فذلك قوله: لئن آتيتنا صالحا يقول: شبهنا مثلنا، فلما آتاها صالحا قال: شبههما مثلهما.

12115- حدثني موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: فلما أتت كبر الولد في بطنها جاءها إبليس، فخوفاها وقال لها: ما يدريك ما في بطنك، لعله كلب أو خنزير أو حمار؟ وما يدريك من أين يخرج؟ أمن دبرك فيقتلك، أو من قبلك، أو ينشق بطنك فيقتلك؟ فذلك حين دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا يقول: مثلنا، لتكوتن من الشاكرين. قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن آدم وحواء أنهما دعوا الله ربهما بحمل حواء، وأقسما لئن أعطاهما في بطن حواء صالحا ليكونان لله من الشاكرين. والصلاح قد يشمل معاني كثيرة: منها الصلاح في استواء الخلق. ومنها الصلاح في الدين، والصلاح في العقل والتدبير. وإذا كان ذلك كذلك، ولا خبر عن الرسول يوجب الحجة بأن ذلك على بعض معاني الصلاح دون بعض، ولا فيه من العقل دليل وجب أن يعم كما عمه الله، فيقال إنهما قالا لئن آتيتنا صالحا بجميع معاني الصلاح.

وأما معنى قوله: لتكوتن من الشاكرين فإنه لئكونن ممن يشكرك على ما وهبت له من الولد صالحا.

الآية: 190

القول في تأويل قوله تعالى: { فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } .. يقول تعالى ذكره: فلما رزقهما الله ولدا صالحا كما سألا جعل له شركاء فيما آتاها ورزقهما.

ثم اختلف أهل التأويل في الشركاء التي جعلها فيما أوتيا من المولود، فقال بعضهم: جعل له شركاء في الاسم. ذكر من قال ذلك.

12116- حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الصمد، قال حدثنا عمر بن إبراهيم، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة بن جندب، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «كأنت حواء لا يعيش لها ولد، فتدثر لئن عاش لها ولد لتسمينه عبد الحرث، فعاش لها ولد، فسمته عبد الحرث، وإنما كان ذلك من وحي الشيطان».

12117- حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا معتمر، عن أبيه، قال: حدثنا أبو العلاء، عن سمرة بن جندب: أنه حدث أن آدم عليه السلام سمي ابنه عبد الحرث.

قال: حدثنا المعتمر، عن أبيه، قال: حدثنا ابن علية، عن سليمان التيمي، عن أبي العلاء بن الشخير، عن سمرة بن جندب، قال: سمي آدم ابنه: عبد الحرث.

12118- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كانت حواء تلد لآدم، فتعبد لهم لله، وتسميه عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك، فيصيبهم الموت، فأتاها إبليس وأدم، فقال: إنكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه لعاش فولدت له رجلا، فسماه عبد الحرث، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ... إلى قوله: جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا... إلى آخر الآية.

12119- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله في آدم: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ... إلى قوله: فَمَرَّتْ بِهِ فِشْكَتْ أَحْبَلَتْ أَمْ لَا؟ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا... الآية، فأتاهما الشيطان فقال: هل تدریان ما یولد لکما أم هل تدریان ما یكون أبهیمة تكون أم لا؟ وزین لهما الباطل إنه غویّ مبین. وقد كانت قبل ذلك ولد ولدين فماتا، فقال لهما الشيطان: إنکما إن لم تسمیاه بی لم یخرج سوياً ومات كما مات الأولان فسمیا ولدیهما عبد الحرث فذلک قوله: فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا... الآية.

12120- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا حجاج، عن ابن جریج، قال: قال ابن عباس: لما وُلد له أوّل ولد، أتاه إبليس فقال: إنی سأنصح لك فی شأن ولدك هذا تسمیه عبد الحرث فقال آدم: أعود بالله من طاعتك قال ابن عباس: وكان اسمه في السماء الحارث. قال آدم: أعود بالله من طاعتك إنی أطعتك في أكل الشجرة، فأخرجتني من الجنة، فلن أطيعك. فمات ولده، ثم وُلد له بعد ذلك ولد آخر، فقال: أطعني وإلا مات كما مات الأول فعصاه، فمات، فقال: لا أزال أقتلهم حتى تسمیه عبد الحرث. فلم یزل به حتى سماه عبد الحرث، فذلک قوله: جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا: أشركه في طاعته في غير عبادة، ولم یُشرك بالله، ولكن أطاعه.

12121- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن هارون، قال: أخبرنا الزبير بن الخريت، عن عكرمة، قال: ما أشرك آدم ولا حواء، وكان لا يعيش لهما ولد، فأتاهما الشيطان فقال: إن سرّكما أن يعيش لکما ولد فسمیاه عبد الحرث فهو قوله: جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا.

12122- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيفًا قال: كان آدم عليه السلام لا یولد له ولد إلا مات، فجاءه الشيطان، فقال: إن سرّك أن يعيش ولدك هذا، فسمیه عبد الحرث ففعل، قال: فأشركا في الاسم ولم یُشركا في العبادة.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ كَانَ لَا يَعِيشُ لِهَمَا وَلَدٌ، فأتاهما الشيطان، فقال لهما: سمیاه عبد الحرث وكان من وحي الشيطان وأمره، وكان شركا في طاعته، ولم یکن شركا في عبادته.

12123- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ قال: كان لا يعيش لآدم وامرأته ولد، فقال لهما الشيطان: إذا ولد لکما ولد، فسمیاه عبد الحرث ففعلوا وأطاعاه، فذلک قول الله: فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ... الآية.

12124- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا ابن فضيل، عن سالم بن أبي حفصة، عن سعيد بن جبیر، قوله: أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا... إلى قوله تعالی: فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ قال: لما حملت حواء في أوّل ولد ولدت له حين أثقلت، أتاه إبليس قبل أن تلد، فقال: يا حواء ما هذا الذي بطنك؟ فقالت: ما أدري. فقال: من أين یخرج؟ من أنفك، أو من عينك، أو من

أذنك؟ قالت: لا أدري. قال: رأيت إن خرج سليما أتطيعيني أنت فيما أمرك به؟ قالت: نعم. قال: سميه عبد الحرث وقد كان يسمى إبليس الحرث، فقالت: نعم. ثم قالت بعد ذلك لآدم: أتاني آت في النوم فقال لي كذا وكذا، فقال: إن ذلك الشيطان فاحذريه، فإنه عدونا الذي أخرجنا من الجنة ثم أتاه إبليس، فأعاد عليها، فقالت: نعم. فلما وضعته أخرجته الله سليما، فسمته عبد الحرث، فهو قوله: جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

12125- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا جرير وابن فضيل، عن عبد الملك، عن سعيد بن جبير، قال: قيل له: أشرك آدم؟ قال: أعوذ بالله أن أزعم أن آدم أشرك ولكن حوَّاء لما أثقلت، أتاه إبليس فقال لها: من أين يخرج هذا، من أنفك أو من عينك أو من فيك؟ فقنطها، ثم قال: رأيت إن خرج سويا زاد ابن فضيل لم يضرك ولم يقتلك أتطيعيني؟ قالت: نعم. قال: فسميه عبد الحرث ففعلت. زاد جرير: وإنما كان شركه في الاسم.

12126- حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، قال: فولدت غلاما، يعني حوَّاء، فاتاهما إبليس فقال: سموه عبدي وإلا قتلته قال له آدم عليه السلام: قد أطعتك وأخرجتني من الجنة، فأبى أن يطيعه، فسماه عبد الرحمن، فسلط الله عليه إبليس فقتله. فحملت بأخر فلما ولدتها قال لها: سميه عبدي وإلا قتلته قال له آدم: قد أطعتك فأخرجتني من الجنة. فأبى، فسماه صالحا فقتله. فلما أن كان الثالث، قال لهما: فإذا عُلبتم فسموه عبد الحرث وكان اسم إبليس وإنما سمي إبليس حين أبلس. ففعلوا، فذلك حين يقول الله: جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا يعني في التسمية.

وقال آخرون: بل المعني بذلك رجل وامرأة من أهل الكفر من بني آدم جعل الله شركاء من الآلهة والأوثان حين رزقهما فارزقهما من الولد. وقالوا: معنى الكلام: هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها، فلما تغشاها: أي هذا الرجل الكافر، حملت حملا خفيفا، فلما أثقلت دعوتما الله ربكما. قالوا: وهذا مما ابتدء به الكلام على وجه الخطاب، ثم رد إلى الخبر عن الغائب، كما قيل: هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَبَ بِهَمِّ بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ. وقد بيَّنا نظائر ذلك بشواهد في ما مضى قبل. ذكر من قال ذلك.

12127- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا سهل بن يوسف، عن عمرو، عن الحسن: جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا قال: كان هذا في بعض أهل الممل، ولم يكن بآدم.

12128- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: قال الحسن: عني بهذا ذرية آدم، من أشرك منهم بعده. يعني بقوله: فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا.

12129- حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولادا فهوّدوا ونصروا.

قال أبو جعفر: وأولى القولين بالصواب قول من قال: عني بقوله: فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِي الْأَسْمَاءِ لَا فِي الْعِبَادَةِ، وأن المعني بذلك آدم وحوَّاء لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك.

فإن قال قائل: فما أنت قائل إذ كان الأمر على ما وصفت في تأويل هذه الآية، وأن المعني بها آدم وحواء في قوله: فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ؟ أهو استنكاف من الله أن يكون له في الأسماء شريك أو في العبادة؟ فإن قلت في الأسماء دل على فساده قوله: أَيْشُرِكُونَ ما لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلُقُونَ وإن قلت في العبادة، قيل لك: أفكان آدم أشرك في عبادة الله غيره؟ قيل له: إن القول في تأويل قوله: فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ليس بالذي ظننت، وإنما القول فيه: فتعالى الله عما يشرك به مشركو العرب من عبدة الأوثان. فأما الخبر عن آدم وحواء فقد إنقضى عند قوله: جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ثم استؤنف قوله: فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ. كما:

12130- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، قوله: فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ يقول: هذه فصل من آية آدم خاصة في آلهة العرب.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: شُرَكَاءَ فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين: «جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ» بكسر الشين، بمعنى الشركاء. وقرأه بعض المكيين وعامة قرّاء الكوفيين وبعض البصريين: جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ بضمّ الشين، بمعنى جمع شريك. وهذه القراءة أولى القراءتين بالصواب، لأن القراءة لو صحت بكسر الشين لوجب أن يكون الكلام: فلما آتاهما صالحا جعلنا لغيره فيه شركا لأن آدم وحواء لم يدينا بأن ولدهما من عطية إبليس ثم جعلنا لله فيه شركا لتسميتهما إياه بعبد الله، وإنما كانا يدينان لا شك بأن ولدهما من رزق الله وعطيته، ثم سمياه عبد الحرث، فجعلنا لإبليس فيه شركا بالاسم، فلو كانت قراءة من قرأ: «شُرَكَاءَ» صحيحة وجب ما قلنا أن يكون الكلام: جعلنا لغيره فيه شركا، وفي نزول وحى الله بقوله: جَعَلَا لَهُ ما يوضح عن أن الصحيح من القراءة: شُرَكَاءَ بضمّ الشين على ما بينت قبل.

فإن قال قائل: فإن آدم وحواء إنما سميا ابنهما عبد الحرث، والحرث واحد، وقوله: شُرَكَاءَ جماعة، فكيف وصفهما جل ثناؤه بأنهما جعلنا له شركاء، وإنما أشركا واحدا؟ قيل: قد دللنا فيما مضى على أن العرب تخرج الخبر عن الواحد مخرج الخبر عن الجماعة إذا لم تقصد واحدا بعينه ولم تسمه، كقوله: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ وَإِنَّمَا كَانَ الْقَائِلُ ذَلِكَ واحدا، فأخرج الخبر مخرج الخبر عن الجماعة، إذ لم يقصد قصده، وذلك مستفيض في كلام العرب وأشعارها. وأما قوله: فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ فتنزیه من الله تبارك وتعالى نفسه، وتعظيم لها عما يقول فيه المبطلون ويدعون معه من الآلهة والأوثان. كما:

12131- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ قال: هو الإنكاف، أنكف نفسه جل وعزّ، يقول: عظم نفسه، وأنكفته الملائكة وما سبح له.

12132- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، قال: سمعت صدقة يحدث عن السدي، قال: هذا من الموصول والمفصول قوله: جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا في شأن آدم وحواء، ثم قال

الله تبارك وتعالى: فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ قال: عما يشرك المشركون، ولم يعنهما.

الآية : 191

القول في تأويل قوله تعالى: {أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلِقُونَ} ..

يقول تعالى ذكره: أيشركون في عبادة الله، فيعبدون معه ما لا يخلق شيئاً والله يخلقها وينشئها، وإنما العبادة الخالصة للخالق لا للمخلوق؟ وكان ابن زيد يقول في ذلك بما: 12133- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، قال: وُلِدَ لِأَدَمَ وَحَوَّاءَ وَلَدٌ، فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ اللَّهِ، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ فَقَالَ: مَا سَمَيْتُمَا يَا أَدَمُ وَيَا حَوَّاءُ ابْنِكُمَا؟ قَالَ: وَكَانَ وُلْدُ لِهَمَا قَبْلَ ذَلِكَ وَلَدٌ، فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ اللَّهِ، فَمَاتَ فَقَالَا: سَمِينَاهُ عَبْدَ اللَّهِ. فَقَالَ إِبْلِيسُ: أَتَظَنُّانِ أَنَّ اللَّهَ تَارَكَ عِبْدَهُ عِنْدَكُمَا؟ لَا وَاللَّهِ لِيَذْهَبَنَّ بِهِ كَمَا ذَهَبَ بِالْآخِرِ وَلَكِنْ أَدْلَكُمَا عَلَى اسْمٍ يَبْقَى لَكُمَا مَا بَقِيَ لِمَا؟ فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ شَمْسٍ قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلِقُونَ الشَّمْسُ تَخْلُقُ شَيْئاً حَتَّى يَكُونَ لَهَا عَبْدٌ؟ إِنَّمَا هِيَ مَخْلُوقَةٌ. وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَدَّعَهُمَا مَرَّتَيْنِ: حَدَّعَهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَحَدَّعَهُمَا فِي الْأَرْضِ».

وقيل: وَهُمْ يُخْلِقُونَ، فَأَخْرَجَ مَكْنِيهِمْ مَخْرَجَ مَكْنَى بَنِي آدَمَ، وَقَدْ قَالَ: أَيُّشْرِكُونَ مَا فَأَخْرَجَ ذِكْرَهُمْ بـ «ما» لـ بـ «من» مخرج الخبر عن غير بني آدم، لأن الذي كانوا يعبدونه إنما كان حجراً أو خشباً أو نجاساً، أو بعض الأشياء التي يخبر عنها بـ «ما» لـ بـ «من»، فـ قيل لذلك «ما»، ثم قيل: «وهم»، فأخرجت كنايةهم مخرج كناية بني آدم، لأن الخبر عنها بتعظيم المشركين إياها نظير الخبر عن تعظيم الناس بعضهم بعضاً.

الآية : 192

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصراً وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ} ..

يقول تعالى ذكره: أيشرك هؤلاء المشركون في عبادة الله ما لا يخلق شيئاً من خلق الله، ولا يستطيع أن ينصرهم إن أراد الله بهم سوءاً أو أحلَّ بهم عقوبة، ولا هو قادر إن أراد به سوءاً نصر نفسه ولا دفع ضرِّ عنها، وإنما العابد يعبد ما يعبده لاجتلاب نفع منه أو لدفع ضرِّ منه عن نفسه، والتهتم التي يعبدونها ويشركونها في عبادة الله لا تنفعهم ولا تضرهم، بل لا تجتلب إلى نفسها نفعاً ولا تدفع عنها ضرراً، فهي من نفع غير أنفسها أو دفع الضرِّ عنها أبعد. يعجَّب تبارك وتعالى خلقه من عظيم خطأ هؤلاء الذين يشركون في عبادتهم الله غيره.

الآية : 193

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ} ..

يقول تعالى ذكره في وصفه وعيبه ما يشرك هؤلاء المشركون في عبادتهم ربهم إياه: ومن صفته أنكم أيها الناس إن تدعوهم إلى الطريق المستقيم، والأمر الصحيح السديد لا يتبعوكم لأنها ليست تعقل شيئاً، فتترك من الطرق ما كان عن القصد منعداً جائراً، وترك ما كان

مستقيماً سديداً. وإنما أراد الله جل ثناؤه بوصف آلهتهم بذلك من صفتها تنبيههم على عظيم خطئهم، وفتح اختيارهم، يقول جل ثناؤه: فكيف يهديكم إلى الرشاد من إن دعي إلى الرشاد وعرفه لم يعرفه، ولم يفهم رشادا من ضلال، وكان سواءً دعاء داعيه إلى الرشاد وسكوته، لأنه لا يفهم دعاءه، ولا يسمع صوته، ولا يعقل ما يقال له؟ يقول: فكيف يُعبد من كانت هذه صفته، أم كيف يشكل عظيم جهل من اتخذ ما هذه صفته إلهاً؟ وإنما الربّ المعبود هو النافع من يعبده، الضارّ من يعصيه، الناصر وليه، الخاذل عدوّه، الهادي إلى الرشاد من أطاعه، السامع دعاء من دعاه. وقيل: سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ فعطف بقوله: «صامتون»، وهو اسم على قوله: «أدعوتموهم»، وهو فعل ماضٍ، ولم يقل: أَمْ صَمْتُمْ، كما قال الشاعر:

سَوَاءٌ عَلَيْكَ الْقَفْرُ أَمْ بَتَّ لَيْلَةً بِأَهْلِ الْقَبَابِ مِنْ تُمَيْرِ بْنِ عَامِرٍ
وقد ينشد: «أَمْ أَنْتِ بَأْتِ».

الآية : 194

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلَكُمْ قَادُوا لَهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ..
يقول جل ثناؤه لهؤلاء المشركين من عبدة الأوثان موبخهم على عبادتهم ما لا يضرهم ولا ينفعهم من الأصنام: إن الذين تدعون أيها المشركون آلهة من دون الله، وتعبدونها شركاً منكم وكفراً بالله، عِبَادٌ أَمْثَلَكُمْ يقول: هم أملاك لربكم، كما أنتم له ممالئكم. فإن كنتم صادقين أنها تضرّ وتنفع وأنها تستوجب منكم العبادة لنفعتها إياكم، فليستجيبوا لدعائكم إذا دعوتموهم، فإن لم يستجيبوا لكم لأنها لا تسمع دعاءكم، فأيقنوا بأنها لا تنفع ولا تضرّ لأن الضرّ والنفع إنما يكونان ممن إذا سئل سمع مسألة سائل وأعطى وأفضل ومن إذا سُئِلَ إليه من شيء سمع فضرّ من استحقّ العقوبة ونفع من لا يستوجب الضرّ.

الآية : 195

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلَمْ يَأْتِ الْفِرْعَوْنَ بِآيَاتٍ لَوْ كَانَ مِنْكُمْ مَنْ يَفْقَهُ لَشِئْبٌ خَالٍ أَلَمْ يَأْتِ الْفِرْعَوْنَ بِآيَاتٍ لَوْ كَانَ مِنْكُمْ مَنْ يَفْقَهُ لَشِئْبٌ خَالٍ} ..
يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين عبدوا الأصنام من دونه معرّفهم جهل ما هم عليه مقيمون: الأصنامكم هذه أيها القوم أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا فَيَسْعُونَ معكم ولكم في حوائجكم ويتصرّفون بها في منافعكم، أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا فَيَدْفَعُونَ عنكم وينصرونكم بها عند قصد من يقصدكم بشرّ ومكره، أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا فَيَعْرِفُوكُمْ ما عاينوا وأبصروا مما تغيبون عنه فلا ترونه، أَمْ لَهُمْ أَدَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَيَخْبِرُوكُمْ بما سمعوا دونكم مما لم تسمعوه؟ يقول جل ثناؤه: فإن كانت آلهتكم التي تعبّدونها ليس فيها شيء من هذه الآلات التي ذكرتها، والمعظم من الأشياء إنما يعظم لما يرجى منه من المنافع التي توصل إليه بعض هذه المعاني عندكم، فما وجه عبادتكم أصنامكم التي تعبّدونها، وهي خالية من كل هذه الأشياء التي بها يوصل إلي اجتلاب النفع ودفع الضرّ؟
وقوله: قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا أَنْتُمْ وَهَن، فَلَا تُنْظِرُونَ يقول: فلا تؤخروا بالكيد والمكر، ولكن عجلوا بذلك. يُعَلِّمُهُ جَلُّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ

يَضْرُوه، وأنه قد عصمه منهم، ويعرّف الكفرة به عجز أوثانهم عن نصره من بغى أولياءهم بسوء.

الآية : 196

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} ..

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للمشركين من عبدة الأوثان: إن ولي نصيري ومعيني وظهري عليكم الله الذي نزل الكتاب عليّ بالحق، وهو الذي يتولى من صلح عمله بطاعته من خلقه.

الآية : 197

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ} ..

وهذا أيضا أمر من الله جل ثناؤه لنبيه أن يقوله للمشركين بقوله تعالى: قل لهم، إن الله نصيري وظهري، والذين تدعون أنتم أيها المشركون من دون الله من الآلهة، لا يستطيعون نصركم، ولا هم مع عجزهم عن نصرتكم يقدرون على نصره أنفسهم، فأئ هذين أولى بالعبادة وأحقّ بالألوهة، أمن ينصر وليه ويمنع نفسه ممن أراده، أم من لا يستطيع نصر وليه ويعجز عن منع نفسه ممن أراده وبغاه بمكروه؟

الآية : 198

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} ..

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل للمشركين: وإن تدعوا أيها المشركون أهتكم إلى الهدى، وهو الاستقامة إلى السداد، لا يسمعون يقول: لا يسمعون دعاءكم. وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون وهذا خطاب من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم، يقول: وترى يا محمد أهتكم ينظرون إليك وهم لا يبصرون. ولذلك وحد، ولو كان أمر النبي صلى الله عليه وسلم بخطاب المشركين لقال: وترونهم ينظرون إليكم. وقد روي عن السدي في ذلك ما:

12134- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ قال: هؤلاء المشركين. وقد يحتمل قول السدي هذا أن يكون أراد بقوله: هؤلاء المشركون قول الله: وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا. وقد كان مجاهد يقول في ذلك ما:

12135- حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ما تدعوهم إلى الهدى.

وكان مجاهدا وجه معنى الكلام إلى أن معناه: وترى المشركين ينظرون إليك وهم لا يبصرون. فهو وجه، ولكن الكلام في سياق الخبر عن الآلهة فهو بوصفها أشبه.

قال أبو جعفر: فإن قال قائل: فما معنى قوله: وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ؟ وهل يجوز أن يكون شيء ينظر إلى شيء ولا يراه؟ قيل: إن العرب تقول للشيء إذا قابل شيئاً أو حاذاه هو ينظر إلى كذا، ويقال: منزل فلان ينظر إلى منزلي إذا قابله. وحكي عنها: إذا أتيت موضع كذا وكذا، فنظر إليك الجبل، فخذ يمينا أو شمالاً. وحدثت عن أبي عبيد، قال: قال الكسائي: الحائط ينظر إليك إذا كان قريباً منك حيث تراه، ومنه قول الشاعر:

إِذَا تَطَلَّتْ بِلَادَ بَنِي تَمِيمِ عَيْنٍ أَوْ بِلَادَ بَنِي ضُبَاحٍ
يريد: تقابل نبئها وعشبتها وتحادى.

فمعنى الكلام: وترى يا محمد آلهة هؤلاء المشركين من عبدة الأوثان يقابلونك وبحادونك، وهم لا يبصرونك، لأنه لا أبصار لهم. وقيل: «وتراهم»، ولم يقل: «وتراها»، لأنها صور مصورة على صور بني آدم.

الآية: 199

{ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ
الْجَاهِلِينَ }..

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: تأويله: خذ العفو من أخلاق الناس، وهو الفضل وما لا يجهدهم. ذكر من قال ذلك.

12136- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم، عن مجاهد، في قوله: خذ العفو قال: من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس.

حدثنا يعقوب وابن وكيع، قالوا: حدثنا ابن عليه، عن ليث، عن مجاهد في قوله: خذ العفو قال: عفو أخلاق الناس، وعفو أمورهم.

12137- حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني ابن الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه في قوله: خذ العفو... الآية. قال عروة: أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس.

12138- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن ابن الزبير، قال: ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس: خذ العفو وأمر بالعرف الآية.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا محمد بن بكر، عن ابن جريج، قال: بلغني عن مجاهد: خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس.

قال: حدثنا أبو معاوية، عن هشام بن عروة، عن وهب بن كيسان، عن ابن الزبير: خذ العفو قال: من أخلاق الناس، والله لاخذنه منهم ما صحبتهم.

قال: حدثنا عبدة بن سليمان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن ابن الزبير، قال: إنما أنزل الله خذ العفو من أخلاق الناس.

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: خذ العفو قال: من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تحسس أو تحسس، شك أبو عاصم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: خذ العفو من أموال الناس، وهو الفضل. قالوا: وأمر بذلك قبل نزول الزكاة، فلما نزلت الزكاة نسخ. ذكر من قال ذلك.

12139- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله خذ العفو يعني: خذ ما عفا لك

من أموالهم, وما أتوك به من شيء فخذ. فكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت الصدقات إليه.
12140- حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: حُذِيَ الْعَفْوُ أَمَا الْعَفْوُ: فالفضل من المال, نسختها الزكاة.

12141- حُذِثَ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ, قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ بَنِي سَلِيمَانَ, قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ, يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: حُذِيَ الْعَفْوُ يَقُولُ: خذ ما عفا من أموالهم, وهذا قبل أن تنزل الصدقة المفروضة. وقال آخرون: بل ذلك أمر من الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالعفو عن المشركين وترك الغلظة عليهم قبل أن يُفرض قتالهم عليه. ذكر من قال ذلك.

12142- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: حُذِيَ الْعَفْوُ قَالَ: أمره فأعرض عنهم عشر سنين بمكة. قال: ثم أمره بالغلظة عليهم وأن يقعد لهم كل مرصد وأن يحصرهم, ثم قال: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ الْآيَةَ كُلَّهَا, وَقَرَأَ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ. قَالَ: وَأَمْرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْغُلْظَةِ عَلَيْهِمْ, فَقَالَ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً بَعْدَمَا كَانَ أَمْرُهُمْ بِالْعَفْوِ, وَقَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ: قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ثُمَّ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا الْإِسْلَامَ أَوْ الْقَتْلَ, فَنَسَخَتْ هَذِهِ الْآيَةَ الْعَفْوُ.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معناه: خذ العفو من أخلاق الناس, واترك الغلظة عليهم, وقال: أمر بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم في المشركين. وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب, لأن الله جل ثناؤه اتبع ذلك تعليمه نبيه صلى الله عليه وسلم محاجته المشركين في الكلام, وذلك قوله: قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ, وَعَقِبَهُ بِقَوْلِهِ: وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْعَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَأْيَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا فَمَا بَيْنَ ذَلِكَ بَأَن يَكُونَ مِنْ تَأْدِيبِهِ نَبِيَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَشْرَتِهِمْ بِهِ أَشْبَهَ وَأَوْلَى مِنَ الْإِعْتِرَاضِ بِأَمْرِهِ بِأَخْذِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

فإن قال قائل: أفمنسوخ ذلك؟ قيل: لا دلالة عندنا على أنه منسوخ, إذ كان جائزا أن يكون, وإن كان الله أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام في تعريفه عشرة من لم يؤمر بقتاله من المشركين مرادا به تأديب نبي الله والمسلمين جميعا في عشرة الناس وأمرهم بأخذ عفو أخلاقهم, فيكون وإن كان من أجلهم نزل تعليمهما من الله خلقه صفة عشرة بعضهم بعضا, لم يجب استعمال الغلظة والشدة في بعضهم, فإذا وجب استعمال ذلك فيهم استعمال الواجب, فيكون قوله: حُذِيَ الْعَفْوُ أمرا بأخذه ما لم يجب غير العفو, فإذا وجب غيره أخذ الواجب وغير الواجب إذا أمكن ذلك فلا يحكم على الآية بأنها منسوخة لما قد بينا ذلك في نظائره في غير موضع من كتبنا.

وأما قوله: وَأَمْرٌ بِالْعُرْفِ فَإِنَّ أَهْلَ التَّوْبِيلِ اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهِ, فَقَالَ بَعْضُهُمْ بِمَا:

12143- حدثني الحسن بن الزبيران النخعي، قال: ثني حسين الجعفي، عن سيفيان بن عيينة، عن رجل قد سماه، قال: لما نزلت هذه الآية: **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا جبريلُ ما هَذَا؟» قال: ما أدري حتى أسأل العالم. قال: ثم قال جبريل: يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك.

12144- حدثني يونس، قال: أخبرنا سفيان، عن أبي، قال: لما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما هَذَا يا جبريلُ؟» قال: إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك. وقال آخرون بما:

12145- حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه: وأمر بالعرف يقول: بالمعروف.

12146- حدثنا محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: وأمر بالعرف: أما العرف: فالمعروف.

12147- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: وأمر بالعرف أي بالمعروف.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس بالعرف، وهو المعروف في كلام العرب، مصدر في معنى المعروف، يقال أوليته عُرفاً وعارفاً وعارفةً كل ذلك بمعنى المعروف. فإذا كان معنى العرف ذلك، فمن المعروف صلة رجم من قطع، وإعطاء من حرم، والعفو عمن ظلم. وكل ما أمر الله به من الأعمال أو ندب إليه فهو من العرف. ولم يخص الله من ذلك معنى دون معنى فالحق فيه أن يقال: قد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده بالمعروف كله لا ببعض معانيه دون بعض.

وأما قوله: **وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** فإنه أمر من الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعرض عمن جهل. وذلك وإن كان أمراً من الله لنبيه، فإنه تأديب منه عز ذكره لخلقه باحتمال من ظلمهم أو اعتدى عليهم، لا بالإعراض عمن جهل الواجب عليه من حق الله ولا بالصفح عمن كفر بالله وجهل وحدانيته، وهو للمسلمين حرب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

12148- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** قال: أخلاق أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم، ودله عليها.

الآية : 200

القول في تأويل قوله تعالى: **{وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}** ..

يعني جل ثناؤه بقوله: **{وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ}** وإما يغضبك من الشيطان غضب يصدك عن الإعراض عن الجاهلين ويحملك على مجازاتهم. فاستعذ بالله يقول: فاستجر بالله من نزعه. **إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** يقول: إن الله الذي تستعيز به من نزع الشيطان سميع لجهل الجاهل عليك ولاستعادتك به من نزعه ولغير ذلك من كلام خلقه، لا يخفى

عليه منه شيء، عليم بما يذهب عنك نزع الشيطان وغير ذلك من أمور خلقه. كما:

12149- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **فَكَيْفَ بِالْعَصَبِ يَا رَبُّ؟** قال: **وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ تَرَعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.**

12150- حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ تَرَعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** قال: علم الله أن هذا العدو منيع ومريد. وأصل النزغ: الفساد، يقول: نزع الشيطان بين القوم إذا أفسد بينهم وحمل بعضهم على بعض، ويقال منه: نزع ينزغ، ونعز ينعز.

الآية : 201

القول في تأويل قوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ}** ..

يقول تعالى ذكره: **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا** الله من خلقه، فخافوا عقابه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه **إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا** يقول: إذا ألمَّ بهم طيف من الشيطان من غضب أو غيره مما يصد عن واجب حق الله عليهم، تذكروا عقاب الله وثوابه ووعدته ووعدته، وأبصروا الحق فعملوا به، وانتهوا إلى طاعة الله فيما فرض عليهم وتركوا فيه طاعة الشيطان.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: «طَيْفٌ» فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة: طائِفٌ على مثال فاعل، وقرأه بعض المكيين والبصريين والكوفيين: «طَيْفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ».

واختلف أهل العلم بكلام العرب في فرق ما بين الطائف والطيف. قال بعض البصريين: الطائف والطيف سواء، وهو ما كان كالخيال والشيء يلم بك. قال: ويجوز أن يكون الطيف مخففاً عن طيف مثل ميت وميت. وقال بعض الكوفيين: الطائف: ما طاف بك من وسوسة الشيطان، وأما الطيف: فإنما هو من اللمم والممس. وقال آخر منهم: الطيف: اللمم، والطائف: كل شيء طاف بالإنسان. وذكر عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول: الطيف: الوسوسة.

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ: طائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ لأن أهل التأويل تأولوا ذلك بمعنى الغضب والزلة تكون من المطيف به. وإذا كان ذلك معناه كان معلوماً إذ كان الطيف إنما هو مصدر من قول القائل: طاف يطيف، أن ذلك خبر من الله عما يمس الذين اتقوا من الشيطان، وإنما يمسهم ما طاف بهم من أسبابه، وذلك كالغضب والوسوسة. وإنما يطوف الشيطان بابن آدم ليستزله عن طاعة ربه أو ليوسوس له، والوسوسة والاستزلال هو الطائف من الشيطان، وأما الطيف فإنما هو الخيال، وهو مصدر من طاف يطيف، ويقول: لم أسمع في ذلك طاف يطيف، ويتأوله بأنه بمعنى الميت وهو من الواو. وحكى البصريون وبعض الكوفيين سماعاً من العرب: طاف يطيف، وطفط أطيف، وأنشدوا في ذلك:

أَتَى أَلَمَّ بِكَ الْخَيَالُ يَطِيفُومَطَافُهُ لَكَ ذِكْرُهُ وَشُعُوفُ

وأما أهل التأويل, فإنهم اختلفوا في تأويله, فقال بعضهم: ذلك الطائف هو الغضب. ذكر من قال ذلك.

12151- حدثنا أبو كريب وابن وكيع, قالا: حدثنا ابن يمان, عن أشعث, عن جعفر, عن سعيد: إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ قَالَ: الطيف: الغضب.
12152- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن محمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبي بزة, عن مجاهد, في قوله: «إِذَا مَسَّهُمْ طَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ» قال: هو الغضب.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الله بن رجاء, عن ابن جريج, عن عبد الله بن كثير, عن مجاهد, قال: الغضب.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: إِذَا مَسَّهُمْ طَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا قَالَ: هو الغضب.
حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ قَالَ: الغضب.

وقال آخرون: هو اللمة والزلة من الشيطان. ذكر من قال ذلك.
12153- حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن علي بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا الطائف: اللمة من الشيطان. فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ.

12154- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ يَقُولُ: نَزَعٌ مِنَ الشَّيْطَانِ. تَذَكَّرُوا.

12155- حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا يَقُولُ: إِذَا زَلُّوا تَابُوا..

قال أبو جعفر: وهذان التأويلان متقاربا المعنى, لأن الغضب من استئلال الشيطان. واللمة من الخطيئة أيضا منه, وكان ذلك من طائف الشيطان. وإذا كان ذلك كذلك, فلا وجه لخصوص معنى منه دون معنى, بل الصواب أن يُعْمَ كما عمه جل ثناؤه, فيقال: إن الذين اتقوا إذا عرض لهم عارض من أسباب الشيطان ما كان ذلك العارض, تذكروا أمر الله وانتهوا إلى أمره. وأما قوله: فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ فإنه يعني: فإذا هم مبصرون هدى الله وبيانه وطلاعته فيه, فمنتهون عما دعاهم إليه طائف الشيطان. كما:

12156- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ يَقُولُ: إِذَا هُمْ مَنْتَهُونَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ, أَخْذُونَ بِأَمْرِ اللَّهِ, عَاصُونَ لِلشَّيْطَانِ.

الآية : 202

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ} ..

يقول تعالى ذكره: وإخوان الشياطين تمدّهم الشياطين في الغي. يعني بقوله: يَمُدُّوهُمْ يَزِيدُونَهُمْ. ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ عما قصر عنه الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان. وإنما هذا خبر من الله عن فريق الإيمان

والكفر، بأن فريق الإيمان وأهل تقوى الله إذا استزلهم الشيطان تذكروا عظمة الله وعقابه، فكفتهم رهبته عن معاصيه ورددتهم إلى التوبة والإنابة إلى الله مما كان منهم من زلة، وأن فريق الكافرين يزيدهم الشيطان غيًّا إلى غيرهم إذا ركبوا معصية من معاصي الله، ولا يحجزهم تقوى الله ولا خوف المعاد إليه عن التمادي فيها والزيادة منها، فهو أبداً في زيادة من ركوب الإثم، والشيطان يزيده أبداً، لا يقصر الإنسي عن شيء من ركوب الفواحش ولا الشيطان من مده منه. كما:

12157- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس: وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْعَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ قَالَ: لَا الْإِنْسَ يَقْصِرُونَ عَمَّا يَعْمَلُونَ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَلَا الشَّيَاطِينُ تَمْسُكُ عَنْهُمْ.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْعَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ يَقُولُ: هُمُ الْجِنَّ يُوْحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ، ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ، يَقُولُ: لَا يَسَامُونَ.

12158- حدثنا محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْعَيِّ إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، يَمُدُّهُمْ الشَّيْطَانُ فِي الْعَيِّ. ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ.

12159- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال عبد الله بن كثير: وَإِخْوَانُهُمْ مِنَ الْجِنَّ، يَمُدُّونَ إِخْوَانَهُمْ مِنَ الْإِنْسِ، ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ، ثُمَّ يَقُولُ لَا يَقْصِرُ الْإِنْسَانُ. قَالَ: وَالْمَدُّ الزِّيَادَةُ، يَعْنِي: أَهْلُ الشَّرْكِ، يَقُولُ: لَا يَقْصِرُ أَهْلُ الشَّرْكِ، كَمَا يَقْصِرُ الَّذِينَ اتَّقَوْا لِأَنَّهُمْ لَا يَحْجِزُهُمُ الْإِيمَانُ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ، قَالَ مَجَاهِدٌ وَإِخْوَانُهُمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ يَمُدُّوهُمْ فِي الْعَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ اسْتَجْهَالًا يَمُدُّونَ أَهْلَ الشَّرْكِ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَلَقَدْ دَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ قَالَ: فَهَؤُلَاءِ الْإِنْسِ. يَقُولُ اللَّهُ: وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْعَيِّ.

12160- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثني محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْعَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ قَالَ: إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ يَمُدُّهُمْ الشَّيَاطِينُ فِي الْعَيِّ ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ.

12161- حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: وَإِخْوَانُهُمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ يَمُدُّوهُمْ فِي الْعَيِّ اسْتَجْهَالًا.

وكان بعضهم يتأول قوله: ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ بمعنى: ولا الشياطين يُقْصِرُونَ فِي مَدِّهِمْ إِخْوَانَهُمْ مِنَ الْعَيِّ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ.

12162- حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْعَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ عَنْهُمْ، وَلَا يَرْحَمُونَهُمْ.

قال أبو جعفر: وقد بينا أولى التأويلين عندنا بالصواب، وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك على ما بيناه لأن الله وصف في الآية قبلها أهل الإيمان به وارتداعهم عن معصيته وما يكرهه إلى محبته عند تذكركم عظمته، ثم أتبع ذلك الخبر عن إخوان الشياطين وركوبهم معاصيه، وكان

الأولى وصفهم بتماديهم فيها، إذ كان عقيب الخبر عن تقصير المؤمنين عنها.

وأما قوله: **يَمُدُّوهُمْ** فإن القراء اختلفت في قراءته، فقرأه بعض المدنيين: «**يُمِدُّوهُمْ**» بضم الياء من أمدت. وقرأه عامة قراء الكوفيين والبصريين: **يَمُدُّوهُمْ** بفتح الياء من مدت. قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك عندنا: **يَمُدُّوهُمْ** بفتح الياء، لأن الذي يمدُّ الشياطين إخوانهم من المشركين إنما هو زيادة من جنس الممدود، وإذا كان الذي مدُّ من جنس الممدود كان كلام العرب مددت لا أمددت.

وأما قوله: **يُقْصِرُونَ** فإن القراء على لغة من قال: **أَقْصَرْتُ** أقصر، وللعرب فيه لغتان: **قَصَّرْتُ** عن الشيء، و**أَقْصَرْتُ** عنه.

الآية : 203

القول في تأويل قوله تعالى: { **وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أْتِيْتُكُمْ بِالْحَقِّ وَالْغَيْبِ الَّذِي يَخْتَارُ لِغَيْرِكُمْ مَا يُرِيدُ لِيَُدْخِلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** } **يَوْمُنُونَ** ..

يقول تعالى ذكره: وإذا لم تأت يا محمد هؤلاء المشركين بآية من الله قالوا **لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا** يقول: قالوا هلا اخترتها واصطفيتها، من قول الله تعالى: **وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَارُ مَنْ يُرِيدُ مِنْ رِجَالِهِ مَن يَشَاءُ** يعني: يختار ويصطفي. وقد بينا ذلك في مواضعه بشواهد.

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: هلا افتعلتها من قبل نفسك واختلفتها بمعنى: هلا اجتبيتها اختلافا كما تقول العرب: لقد اختار فلان هذا الأمر وتخيره اختلافا. ذكر من قال ذلك.

12163- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا** أي لولا أتيتها بها من قبل نفسك هذا قول كفار قريش.

12164- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قوله: **وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا** قالوا: لولا اقتضيتها قالوا: تخرجها من نفسك.

12165- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا** قالوا: لولا تقولتها، جئت بها من عندك.

12166- حدثني المثنى، قال: ثني عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: **لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا** يقول: لولا تلقيتها. وقال مرة أخرى: لولا أحدثتها فأنشأتها.

12167- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: **قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا** يقول: لولا أحدثتها.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله: **لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا** قال: لولا جئت بها من نفسك.

وقال آخرون: معنى ذلك: هلا أخذتها من ربك وتقبلتها منه ذكر من قال ذلك.

12168- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن ابن عباس قوله: لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا يَقُول: لولا تقبلتها من الله.

12169- حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا يَقُول: لولا تلقيتها من ربك.

12170- حَدَّثَ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ, قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ, قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ سَلِيمَانَ, قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا يَقُول: لولا أخذتها أنت فجتت بها من السماء.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين بالصواب في ذلك, تأويل من قال تأويله: هلا أحدثتها من نفسك لدلالة قول الله: قُلْ إِنَّمَا أُتِيعَ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ يبين ذلك أن الله إنما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يجيبهم بالخبر عن نفسه أنه إنما يتبع ما ينزل عليه ربه ويوحى إليه, لا أنه يحدث من قبل نفسه قولاً وينشئه فيدعو الناس إليه. وحكي عن الفراء أنه كان يقول: اجتبيت الكلام واختلقته وارجلته: إذا افتعلته من قبل نفسك.

12171- حدثني بذلك الحرث, قال: حدثنا القاسم عنه.

قال: أبو عبيد, وكان أبو زيد يقول: إنما تقول العرب ذلك للكلام يديه الرجل لم يكن أعدّه قبل ذلك في نفسه. قال أبو عبيد: واخترعه مثل ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: قُلْ إِنَّمَا أُتِيعَ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للقائلين لك إذا لم تأتهم بأية هلا أحدثتها من قبل نفسك: إن ذلك ليس لي ولا يجوز لي فعله لأن الله إنما أمرني باتباع ما يوحى إلي من عنده, وإنما أتبع ما يوحى إلي من ربي لأنني عبده وإلى أمره أنتهي وإياه أطيع. هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ يَقُول: هذا القرآن والوحي الذي أتوه عليكم بصائر من ربكم, يقول: حجج عليكم, وبيان لكم من ربكم, وأحدثها: بصيرة, كما قال جل ثناؤه: هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. وإنما ذكر هذا ووحد في قوله: هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ لما وصفت من أنه مراد به القرآن والوحي. وقوله: وَهَدَىٰ يَقُول: وبيان يهدي المؤمنين إلى الطريق المستقيم, ورحمة رحم الله به عباده المؤمنين, فأنقذهم به من الضلالة والهلكة. لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ يَقُول: هو بصائر من الله وهدى ورحمة لمن آمن, يقول: لمن صدق بالقرآن أنه تنزيل الله ووحيه, وعمل بما فيه دون من كذب به وجده وكفر به, بل هو على الذين لا يؤمنون به غم وخزي.

الآية : 204

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} ..

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به المصدقين بكتابه الذين القرآن لهم هدى ورحمة: إِذَا قُرِئَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ, الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ يَقُول: أصغوا له سمعكم لتتفهموا آياته وتعتبروا بمواعظه وأنصتوا إليه لتعقلوه وتتدبروه, ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه. لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ يَقُول: ليرحمكم ربكم

باتعاظكم بمواعظه, واعتباركم بعبره, واستعمالكم ما بينه لكم ربكم من فرائضه في آية.

ثم اختلف أهل التأويل في الحال التي أمر الله بالاستماع لقارئ القرآن إذا قرأ والإنصات له, فقال بعضهم: ذلك حال كون المصلي في الصلاة خلف إمام يأتّم به, وهو يسمع قراءة الإمام عليه أن يسمع لقراءته. وقالوا: في ذلك أنزلت هذه الآية. ذكر من قال ذلك.

12172- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, عن عاصم, عن المسيب بن رافع, قال: كان عبد الله يقول: كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة, سلام على فلان, وسلام على فلان, قال: فجاء القرآن: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا.

12173- قال: حدثنا حفص بن غياث, عن إبراهيم الهجري عن أبي عياض, عن أبي هريرة, قال: كانوا يتكلمون في الصلاة, فلما نزلت هذه الآية: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ وَالْآيَةُ الْآخِرَى, أمروا بالإنصات.

12174- حدثني أبو السائب, قال: حدثنا حفص, عن أشعث, عن الزهري, قال: نزلت هذه الآية في فتى من الأنصار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرأ شيئاً قرأه, فنزلت: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا.

12175- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا المحاربي, عن داود بن أبي هند, عن بشير بن جابر, قال: صلى ابن مسعود, فسمع ناساً يقرءون مع الإمام, فلما انصرف, قال: أما أن لكم أن تفقهوا؟ أما أن لكم أن تعقلوا؟ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا كما أمركم الله.

12176- حدثنا حميد بن مسعدة, قال: حدثنا بشر بن المفضل, قال: حدثنا الجريري, عن طلحة بن عبيد الله بن كريب, قال: رأيت عبيد بن عمير وعطاء بن أبي رباح يتحدثان والقاص يقصّ, فقلت: ألا تستمعان إلى الذكر وتستوجبان الموعود؟ قال: فنظرا إليّ ثم أقبلنا على حديثهما. قال: فأعدت فنظرا إليّ, ثم أقبلنا على حديثهما, قال: فأعدت الثالثة, قال: فنظرا إليّ فقالا: إنما ذلك في الصلاة: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا.

12177- حدثني العباس بن الوليد, قال: أخبرني أبي, قال: سمعت الأوزاعي, قال: حدثنا عبد الله بن عامر قال: ثني زيد بن أسلم, عن أبيه, عن أبي هريرة, عن هذه الآية: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا قال: نزلت في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة.

12178- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي هاشم إسماعيل بن كثير, عن مجاهد في قوله: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا قال: في الصلاة.

12179- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي, عن رجل, عن قتادة, عن سعيد بن المسيب: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا قال: في الصلاة.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: حدثنا ليث, عن مجاهد: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا قال: في الصلاة.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، قال: سمعت حميدا الأعرج، قال: سمعت مجاهدا يقول في هذه الآية: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا قال: في الصلاة.
قال: ثني عبد الصمد، قال: حدثنا شعبة، قال: حدثنا حميد، عن مجاهد بمثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا جرير وابن إدريس، عن ليث، عن مجاهد: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا قال: في الصلاة المكتوبة.
12180- قال: حدثنا المحاربي، عن ليث، عن مجاهد، وعن حجاج، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد، وعن ابن أبي ليلى، عن الحكم، عن سعيد بن جبير: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا قال: في الصلاة المكتوبة.

قال: حدثنا أبي، عن سفيان، عن أبي هاشم، عن مجاهد: في الصلاة المكتوبة.

قال: حدثنا أبي، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد، مثله.
12181- قال: حدثنا المحاربي وأبو خالد، عن جوبير، عن الضحاك قال: في الصلاة المكتوبة.

12182- قال: حدثنا جرير وابن فضيل، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: في الصلاة المكتوبة.

12183- حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا قال: كانوا يتكلمون في صلاتهم بحوائجهم أول ما فرضت عليهم، فأنزل الله ما تسمعون: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا.

12184- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا قال: كان الرجل يأتي وهم في الصلاة فيسألهم: كم صليتم؟ كم بقي؟ فأنزل الله: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا. وقال غيره: كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار، فأنزل الله: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ.

12185- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبو خالد والمحاربي، عن أشعث، عن الزهري، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ ورجل يقرأ، فنزلت: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا.

قال: حدثنا أبو خالد الأحمر، عن الهجري عن أبي عياض، عن أبي هريرة، قال: كانوا يتكلمون في الصلاة، فلما نزلت: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا قال: هذا في الصلاة.

12186- قال: حدثنا أبي، عن حريث، عن عامر، قال: في الصلاة المكتوبة.

حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا قال: إذا قرئ في الصلاة.

12187- حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو صالح، قال: حدثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ يعني: في الصلاة المفروضة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن أبي هاشم، عن مجاهد قال: هذا في الصلاة في قوله: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ.

12188- قال: أخبرنا الثوري، عن ليث، عن مجاهد: أنه كره إذا مرَّ الإمام بآية خوف أو بآية رحمة أن يقول أحد ممن خلفه شيئاً، قال: السكوت.
12189- قال: أخبرنا الثوري، عن ليث، عن مجاهد: قال: لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم.

12190- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ قال: هذا إذا قام الإمام للصلاة فاستمعوا له وأنصتوا.

12191- حدثني المثنى، قال: حدثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن يونس، عن الزهري، قال: لا يقرأ من وراء الإمام فيما يجهر به من القراءة، تكفيهم قراءة الإمام وإن لم يسمعهم صوته، ولكنهم يقرءون فيما لم يجهر به سرّاً في أنفسهم، ولا يصلح لأحد خلفه أن يقرأ معه فيما يجهر به سرّاً ولا علانية، قال الله: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ.

12192- حدثني المثنى، قال: حدثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن ابن لهيعة، عن ابن هبيرة، عن ابن عباس أنه كان يقول في هذه: وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَصَرُّعًا وَخَيْفَةً هذا في المكتوبة. وأما ما كان من قصص أو قراءة بعد ذلك، فإنما هي نافلة. إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قرأ في صلاة مكتوبة، وقرأ وراءه أصحابه، فخلطوا عليه، قال: فنزل القرآن: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ فهذا في المكتوبة.

وقال آخرون: بل عُني بهذه الآية الأمر بالإنصات للإمام في الخطبة إذا قرئ القرآن في خطبة. ذكر من قال ذلك.

12193- حدثنا تميم بن المنتصر، قال: حدثنا إسحاق الأزرق، عن شريك، عن سعيد بن مسروق، عن مجاهد، في قوله: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا قال: الإنصات للإمام يوم الجمعة.
حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبو خالد وابن أبي عتبة، عن العوام، عن مجاهد، قال: في خطبة يوم الجمعة.

وقال آخرون: عُني بذلك: الإنصات في الصلاة وفي الخطبة. ذكر من قال ذلك.

12194- حدثني ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن منصور، قال: سمعت إبراهيم بن أبي حمزة، يحدث أنه سمع مجاهداً يقول في هذه الآية: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا قال: في الصلاة، والخطبة يوم الجمعة.

12195- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا هارون، عن عنبسة، عن جابر، عن عطاء، قال: وجب الصموت في اثنتين: عند الرجل يقرأ القرآن وهو يصلي، وعند الإمام وهو يخطب.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن سفيان، عن جابر، عن مجاهد: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ وَجِبَ الْإِنْصَاتُ، قال: وجب في اثنتين: في الصلاة والإمام يقرأ، والجمعة والإمام يخطب.

12196- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال هشيم, أخبرنا من سمع الحسن يقول: في الصلاة المكتوبة, وعند الذكر. حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوري, عن جابر, عن مجاهد, قال: وجب الإنصات في اثنتين: في الصلاة, ويوم الجمعة.

12197- حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن بقية بن الوليد, قال: سمعت ثابت بن عجلان يقول: سمعت سعيد بن جبير يقول في قوله: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا قال: الإنصات: يوم الأضحى, ويوم الفطر, ويوم الجمعة, وفيما يجهر به الإمام من الصلاة.

12198- حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن حماد, قال: أخبرنا هشيم, عن الربيع بن صبيح, عن الحسن, قال: في الصلاة, وعند الذكر.

12199- حدثنا ابن البرقي, قال: حدثنا ابن أبي مريم, قال: حدثنا يحيى بن أيوب, قال: ثني ابن جريح, عن عطاء بن أبي رباح, قال: أوجب الإنصات يوم الجمعة, قول الله تعالى: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وفي الصلاة مثل ذلك. قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: أمروا باستماع القرآن في الصلاة إذا قرأ الإمام وكان من خلفه ممن يأمم به يسمعه, وفي الخطبة.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب, لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, أنه قال: «إِذَا قَرَأَ الْإِمَامُ فَأَنْصِتُوا», وإجماع الجميع على أن من سمع خطبة الإمام ممن عليه الجمعة, الاستماع والإنصات لها, مع تتابع الأخبار بالأمر بذلك, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, وأنه لا وقت يجب على أحد استماع القرآن والإنصات لسامعه من قارئه إلا في هاتين الحالتين على اختلاف في إحداهما, وهي حالة أن يكون خلف إمام مؤتمم به. وقد صحَّ الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا من قوله: «إِذَا قَرَأَ الْإِمَامُ فَأَنْصِتُوا» فالإنصات خلفه لقراءته واجب على من كان به مؤتما سامعا قراءته بعموم ظاهر القرآن والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الآية : 205

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ كُذِّبَتْ فِي نَفْسِكَ نَصْرًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ} .. يقول تعالى ذكره: وأذكر أيها المستمع المنصت للقرآن إذا قرىء في صلاة أو خطبة, رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ يقول: اتعظ بما في أي القرآن, واعتبر به, وتذكر معادك إليه عند سماعك. نَصْرًا يقول: افعل ذلك تخشعا لله وتواضعا له. وَخِيفَةً يقول: وخوفا من الله أن يعاقبك على تقصير يكون منك في الاعتاظ به والاعتبار, وغفلة عما بين الله فيه من حدوده. وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ يقول: ودعاء باللسان لله في خفاء لا جهار, يقول: ليكن ذكر الله عند استماعك القرآن في دعاء إن دعوت غير جهار, ولكن في خفاء من القول. كما:

12200- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: **وَأَذْكُرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ لَا يَجْهَرُ بِذَلِكَ.**

12201- حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, قال: سمعت مجاهدًا يقول في قوله: **وَأَذْكُرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ... الآية,** قال: أمروا أن يذكروه في الصدور تضرَّعًا وخيفة.

12202- حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن التيمي, عن أبيه, عن حيان بن عمير, عن عبيد بن عمير, في قوله: **وَأَذْكُرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ** قال: «يقول الله إذا ذكرني عبدي في نفسه, ذكرته في نفسي, وإذا ذكرني عبدي وحده ذكرته وحدي, وإذا ذكرني في ملا ذكرته في أحسن منهم وأكرم».

12203- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريح, قوله: **وَأَذْكُرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً** قال: يؤمر بالتضرع في الدعاء والاستكانة, ويكره رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء. وأما قوله: **بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ** فإنه يعني بالبكر والعشيات. وأما **الْأَصَالِ** فجمع.

واختلف أهل العربية فيها فقال بعضهم: هي جمع أصيل, كما الأيمان جمع يمين, والأسرار جمع سرير. وقال آخرون منهم: هي جمع أصل, وإن شئت جعلت الأصل جمعاً للأصيل, وإن شئت جعلته واحداً. قال: والعرب تقول: **قد دنا الأصل فيجعلونه واحداً.**

وهذا القول أولى بالصواب في ذلك, وهو أنه جائز أن يكون جمع أصيل وأصل, لأنهما قد يجمعان على أفعال. وأما **الْأَصَالِ** فهي فيما يقال في كلام العرب ما بين العصر إلى المغرب.

وأما قوله: **وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ** فإنه يقول: ولا تكن من اللاهين إذا قرىء القرآن عن عظاته وعبره, وما فيه من عجائبه, ولكن تدبر ذلك وتفهمه, وأشعره قلبك بذكر الله وخضوع له وخوف من قدرة الله عليك, إن أنت غفلت عن ذلك.

12204- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: **بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ** قال: **بِالْبَكْرِ وَالْعَشِيِّ.** وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ.

12205- حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا معرّف بن واصل السعديّ, قال: سمعت أبا وائل يقول لغلامه عند مغيب الشمس: **أَصَلْنَا بَعْدُ؟**

12206- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريح, قال مجاهد, قوله: **بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ** قال: **الْغَدُوُّ:** آخر الفجر صلاة الصبح, **وَالْأَصَالِ:** آخر العشيّ صلاة العصر. قال: وكل ذلك لها وقت أوّل الفجر وآخره, وذلك مثل قوله في سورة آل عمران: **وَأَذْكُرُ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ.** وقيل: **العشيّ:** ميل الشمس إلى أن تغيب, **وَالْإِبْكَارِ:** أول الفجر.

12207- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن محمد بن شريك, عن ابن أبي مليكة, عن ابن عباس, سئل عن صلاة الفجر, فقال: إنها لفي كتاب الله, ولا يقوم عليها, ثم قرأ: فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ... الآية.

12208- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سويد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: **وَأَذْكُرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً...** إلى قوله: **بِالصُّبْحِ وَالْأَصَالِ** أمر الله بذكره, ونهى عن الغفلة. أما بالغدو: فصلاة الصبح, والأصال: بالعشي.

الآية : 206

القول في تأويل قوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ}..**

يقول تعالى ذكره: لا تستكبر أيها المستمع المنصت للقرآن عن عبادة ربك, واذكره إذا قرىء القرآن تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول, فإن الذين عند ربك من ملائكته لا يستكبرون عن التواضع له والتخشع, وذلك هو العبادة. **وَيُسَبِّحُونَهُ** يقول: ويعظمون ربهم بتواضعهم له وعبادتهم. **وَلَهُ يَسْجُدُونَ** يقول: ولله يصلون, وهو سجدوهم, فصلوا أنتم أيضاً له, وعظموه بالعبادة كما يفعله من عنده من ملائكته.

سورة الأنفال

سُورَةُ الْأَنْفَالِ مَدَنِيَّةٌ
وآياتها خمس وسبعمون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الآية : 1

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها الأنفال **{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا دَاتِ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}..**

اختلف أهل التأويل في معنى الأنفال التي ذكرها الله في هذا الموضوع, فقال بعضهم: هي الغنائم, وقالوا: معنى الكلام: يسألك أصحابك يا محمد عن الغنائم التي غنمتها أنت وأصحابك يوم بدر لمن هي, فقل هي لله ولرسوله. ذكر من قال ذلك.

12209- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا وكيع, قال: حدثنا سويد بن عمرو, عن حماد بن زيد, عن عكرمة: **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ** قال: الأنفال: الغنائم.

12210- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ** قال: الأنفال: الغنائم.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: الأنفال: المغنم.

12211- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو خالد الأحمر, عن جويبر, عن الضحاك: **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ** قال: الغنائم.

حدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **الأنفال** قال: يعني الغنائم.

12212- حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن علي بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قَالَ: الْأَنْفَالُ: الْغَنَائِمُ.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ الْغَنَائِمِ. 12213- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قَالَ: الْأَنْفَالُ: الْغَنَائِمُ. 12214- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: الْأَنْفَالُ: الْغَنَائِمُ.

12215- حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا ابن المبارك, عن ابن جريح, عن عطاء: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قَالَ: الْغَنَائِمُ. وقال آخرون: هي أنفال السرايا. ذكر من قال ذلك.

12216- حدثني الحارث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا علي بن صالح بن حي, قال: بلغني في قوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قَالَ: السرايا. وقال آخرون: الأنفال ما شذ من المشركين إلى المسلمين من عبد أو دابة وما أشبه ذلك. ذكر من قال ذلك.

12217- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا جابر بن نوح, عن عبد الملك, عن عطاء, في قوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ قَالَ: هُوَ مَا شذ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال دابة أو عبد أو متاع, ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما شاء.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير, عن عبد الملك, عن عطاء: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قَالَ: هِيَ مَا شذ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال من عبد أو أمة أو متاع أو نفل, فهو للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما شاء.

12218- قال: حدثنا عبد الأعلى, عن معمر, عن الزهري, أن ابن عباس سئل عن الأنفال, فقال: السلب والفرس.

12219- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, ويقال: الأنفال: ما أخذ مما سقط من المتاع بعدما تقسم الغنائم, فهي نفل لله ولرسوله.

12220- حدثني القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريح: أخبرني عثمان بن أبي سليمان, عن محمد بن شهاب أن رجلاً قال لابن عباس: ما الأنفال؟ قال: الفرس والدرع والرمح.

12221- حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا عبد الوارث بن سعيد, قال: قال ابن جريح, قال عطاء: الأنفال: الفرس الشاذ, والدرع, والثوب.

12222- حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الزهري, عن ابن عباس, قال: كان ينقل الرجل فرس الرجل وسلبه.

12223- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني مالك بن أنس, عن ابن شهاب, عن القاسم بن محمد, قال: سمعت رجلاً سأل ابن عباس عن الأنفال, فقال ابن عباس: الفرس من النفل, والسلب من النفل. ثم عاد لمسألته, فقال ابن عباس ذلك أيضاً, ثم قال الرجل:

الأَنْفَالِ التي قال الله في كتابه ما هي؟ قال القاسم: فلم يزل يسأله حتى كاد يخرجه، فقال ابن عباس: أتدرون ما مثل هذا؟ مثل صَبِيغِ الذي ضربه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن القاسم بن محمد، قال: قال ابن عباس: كان عمر رضي الله عنه إذا سئل عن شيء قال: لا أمرك ولا أنهاك. ثم قال ابن عباس: والله ما بعث الله نبيه عليه السلام إلا زاجرا أمرا محلا محرما. قال القاسم: فسלט على ابن عباس رجل يسأله عن الأنفال، فقال ابن عباس: كان الرجل ينقل فرس الرجل وسلاحه. فأعاد عليه الرجل، فقال له مثل ذلك، ثم أعاد عليه حتى أغضبه، فقال ابن عباس: أتدرون ما مثل هذا؟ مثل صبيغ الذي ضربه عمر حتى سالت الدماء على عقبه، أو على رجله، فقال الرجل: أما أنت فقد انتقم الله لعمر منك.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا ابن المبارك، عن عبد الملك، عن عطاء: يسألونك عن الأنفال قال: يسألونك فيما شد من المشركين إلى المسلمين في غير قتال من دابة أو عبد، فهو نفل للنبي صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: النفل: الخمس الذي جعله الله لأهل الخمس. ذكر من قال ذلك.

12224- حدثني الحرث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا عبد الوارث بن سعيد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: يسألونك عن الأنفال قال: هو الخمس. قال المهاجرون: لم يرفع عنا هذا الخمس؟ لم يخرج منا؟ فقال الله: هو لله والرسول.

12225- حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا عباد بن العوام، عن الحجاج، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمس بعد الأربعة الأخماس، فنزلت: يسألونك عن الأنفال.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب في معنى الأنفال قول من قال: هي زيادات يزيدها الإمام بعض الجيش أو جميعهم إما من سلبه على حقوقهم من القسمة، وإما مما وصل إليه بالنفل، أو ببعض أسبابه، ترغيبا له وتحريضا لمن معه من جيشه على ما فيه صلاحهم وصلاح المسلمين، أو صلاح أحد الفريقين. وقد يدخل في ذلك ما قال ابن عباس من أنه الفرس والدرع ونحو ذلك، ويدخل فيه ما قاله عطاء من أن ذلك ما عاد من المشركين إلى المسلمين من عبد أو فرس لأن ذلك أمره إلى الإمام إذا لم يكن ما وصلوا إليه لغلبة وقهر، يفعل ما فيه صلاح أهل الإسلام، وقد يدخل فيه ما غلب عليه الجيش بقهر.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب، لأن الثقل في كلام العرب إنما هو الزيادة على الشيء، يقال منه: نفلت كذا، وأنفلت كذا: إذا زدتك، والأنفال: جمع نفل ومنه قول لبيد بن ربيعة:

إِنَّ تَفْوَى رَبَّنَا حَيْرٌ تَقْلُوبًا دُنَّ اللَّهُ رَبِّي وَعَجَلٌ

فإذ كان معناه ما ذكرنا، فكل من زيد من مقاتلة الجيش على سهمه من الغنيمة، إن كان ذلك لبلاء أبلاه أو لغناء كان منه عن المسلمين، بتفيل الوالي ذلك إياه، فيصير حكم ذلك له كالسلب الذي يسلبه القاتل، فهو

منفل ما زيد من ذلك لأن الزيادة وإن كانت مستوجبة في بعض الأحوال بحق، فليست من الغنيمة التي تقع فيها القسمة، وكذلك كل ما رضح لمن لا سهم له في الغنيمة فهو نفل، لأنه وإن كان مغلوبا عليه فليس مما وقعت عليه القسمة. فالفصل إذ كان الأمر على ما وصفنا بين الغنيمة والنفل، أن الغنيمة هي ما أفاء الله على المسلمين من أموال المشركين بغلبة وقهر نفل منه منفل أو لم ينفل والنقل: هو ما أعطيه الرجل على البلاء والغناء عن الجيش على غير قسمة. وإذ كان ذلك معنى النفل، فتأويل الكلام: يسألك أصحابك يا محمد عن الفضل من المال الذي تقع فيه القسمة من غنيمة كفار قريش الذين قتلوا بيدك لمن هو قل لهم يا محمد: هو لله ولرسوله دونكم، يجعله حيث شاء.

واختلف في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية، فقال بعضهم: نزلت في غنائم بدر لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان نقل أقواما على بلاء، فأبلى أقوام وتخلف آخرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاختلّفوا فيها بعد انقضاء الحرب، فأنزل الله هذه الآية على رسوله، يعلمهم أن ما فعل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فماض جائز. ذكر من قال ذلك.

12226- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا معتمر بن سليمان، قال: سمعت داود بن أبي هند يحدث، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَتَى مَكَانَ كَدًّا وَكَدًّا، قَلَهُ كَدًّا وَكَدًّا، أَوْ قَعَلَ كَدًّا وَكَدًّا، قَلَهُ كَدًّا وَكَدًّا». فتسارع إليه الشبان، وبقي الشيوخ عند الرايات. فلما فتح الله عليهم، جاءوا يطلبون ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لهم الأشياخ: لا تذهبوا به دوننا فأنزل الله عليه الآية: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ.

حدثنا المثنى، قال: حدثنا عبد الأعلى، وحدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عبد الأعلى، قال: حدثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما كان يوم بدر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ صَنَعَ كَدًّا وَكَدًّا، قَلَهُ كَدًّا وَكَدًّا» قال: فتسارع في ذلك شبان الرجال، وبقيت الشيوخ تحت الرايات فلما كانت الغنائم، جاءوا يطلبون الذي جعل لهم، فقالت الشيوخ: لا تستأثروا علينا، فإننا كنا ردءا لكم، وكنا تحت الرايات، ولو انكشفتم لفتتم إلينا فتنازعوا، فأنزل الله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

حدثني إسحاق بن شاهين، قال: حدثنا خالد بن عبد الله، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما كان يوم بدر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَعَلَ كَدًّا قَلَهُ كَدًّا وَكَدًّا مِنَ النَّقْلِ» قال: فتقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات، فلم يبرحوا، فلما فتح عليهم، قالت المشيخة: كنا ردءا لكم، فلو انهزمتم انحزتم إلينا، لا تذهبوا بالمغنم دوننا فأبى الفتيان وقالوا: جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا فأنزل الله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ قَالَ: فكان ذلك خيرا لهم، وكذلك أيضا: أطيعوني فإني أعلم.

12227- حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبد الوهاب، قال: حدثنا داود، عن عكرمة في هذه الآية: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ

وَالرَّسُولِ قَالَ: لَمَا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَنَعَ كَذَا قَلَهُ مِنْ التَّقَلِ كَذَا» فَخَرَجَ شِبَانُ مِنَ الرِّجَالِ فَجَعَلُوا يَصْنَعُونَهُ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الْقِسْمَةِ، قَالَ الشَّيْخُ: نَحْنُ أَصْحَابُ الرِّيَاضِ، وَقَدْ كُنَّا رَدَاءً لَكُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ: قُلِ الْاِنْفَالِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

12228- حَدَّثَنِي الْمِثْنِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ الزَّبِيرِيُّ، قَالَ: ثَنِي الْمَغِيرَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَلِيمَانَ بْنِ مُوسَى، عَنْ مَكْحُولٍ مَوْلَى هَذِيلٍ، عَنْ أَبِي سَلَامٍ، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهَلِيِّ، عَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: أَنْزَلَ اللَّهُ حِينَ اخْتَلَفَ الْقَوْمُ فِي الْغَنَائِمِ يَوْمَ بَدْرٍ: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْاِنْفَالِ... إِلَى قَوْلِهِ: إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَقَسَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُمْ عَنْ سِوَاءِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، عَنْ مُحَمَّدٍ، قَالَ: ثَنِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَرِثِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ سَلِيمَانَ بْنِ مُوسَى الْأَسَدِيِّ، عَنْ مَكْحُولٍ، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهَلِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ عِبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ عَنِ الْاِنْفَالِ، فَقَالَ: فِينَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ بَدْرٍ نَزَلَتْ حِينَ اخْتَلَفْنَا فِي النَّفْلِ، وَسَاءَتْ فِيهِ أَخْلَاقُنَا، فَنَزَعَهُ اللَّهُ مِنْ أَيْدِينَا، فَجَعَلَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَسَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ سِوَاءِ، يَقُولُ: عَلَى السِّوَاءِ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ تَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَلَاحَ ذَاتِ الْبَيْنِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ لِأَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَهُ مِنَ الْمَغْنَمِ شَيْئًا قَبْلَ قِسْمَتِهَا، فَلَمْ يُعْطِهِ إِيَّاهُ، إِذْ كَانَ شَرِكًا بَيْنَ الْجَيْشِ، فَجَعَلَ اللَّهُ جَمِيعَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ.

12229- حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُوسَى السَّدِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ مَعْصَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ سَعْدٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ بِسَيْفٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا السَّيْفُ قَدْ شَفَى اللَّهَ بِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسَأَلْتَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: «لَيْسَ هَذَا لِي وَلَا لَكَ». قَالَ: فَلَمَّا وَلَيْتُ، قُلْتُ: أَخَافُ أَنْ يُعْطِيَهُ مِنْ لَمْ يَبْلُ بِلَائِي. فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفِي، قَالَ: فَقُلْتُ: أَخَافُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِيَّ شَيْءٌ قَالَ: «إِنَّ السَّيْفَ قَدْ صَارَ لِي». قَالَ: فَأَعْطَانِيهِ، وَنَزَلَتْ: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْاِنْفَالِ.

12230- حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، عَنْ مَعْصَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ، جِئْتُ بِسَيْفٍ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ اللَّهُ قَدْ شَفَى صَدْرِي مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَوْ نَحْوِ هَذَا، فَهَبْ لِي هَذَا السَّيْفَ فَقَالَ لِي: «هَذَا لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ». فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: عَسَى أَنْ يُعْطَى هَذَا مِنْ لَمْ يَبْلُ بِلَائِي فَجَاءَنِي الرَّسُولُ، فَقُلْتُ: حَدِّثْ فِيَّ حَدِّثْ: فَلَمَّا انْتَهَيْتُ، قَالَ: «يَا سَعْدُ إِنَّكَ سَأَلْتَنِي السَّيْفَ وَلَيْسَ لِي، وَإِنَّهُ قَدْ صَارَ لِي فَهُوَ لَكَ». وَنَزَلَتْ: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْاِنْفَالِ قُلِ الْاِنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ مَعْصَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَصَبْتُ سَيْفًا يَوْمَ بَدْرٍ، فَأَعْجَبَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَبْ لِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْاِنْفَالِ قُلِ الْاِنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ.

حدثنا ابن المثنى وابن وكيع، قال ابن المثنى، ثني معاوية، وقال ابن وكيع: حدثنا أبو معاوية، قال: حدثنا الشيباني، عن محمد بن عبيد الله، عن سعيد بن أبي وقاص، قال: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العاص، وأخذت سيفه، وكان يسمى ذا الكتيفة، فجئت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَذْهَبَ فَاطْرَحَهُ فِي الْقَبْضِ» فطرحته ورجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلمي، قال: فما جاوزت إلا قريبا حتى نزلت عليه سورة الأنفال، فقال: «أَذْهَبَ فَخُذْ سَيْفَكَ». ولفظ الحديث لابن المثنى.

12231- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يونس بن بكير، وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة جميعا، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني عبد الله بن أبي بكر، عن قيس بن ساعدة، قال: سمعت أبا أسيد بن مالك بن ربيعة يقول: أصبت سيف ابن عائد يوم بدر، وكان السيف يدعي المرزبان فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يردوا ما في أيديهم من النفل، أقبلت به فألقيته في النفل، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شيئا يسأله، فراه الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعطاه إياه.

12232- حدثني يحيى بن جعفر، قال: حدثنا أحمد بن أبي بكر، عن يحيى بن عمران، عن جده عثمان بن الأرقم، عن عمه، عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر: «رُدُّوا مَا كَانَ مِنَ الْأَنْفَالِ» فوضع أبو أسيد الساعدي سيف بن عائد المرزبان، فعرفه الأرقم فقال: هبه لي يا رسول الله قال: فأعطاه إياه.

12233- حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن سماك بن حرب، عن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال: أصبت سيفا. قال: فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله نفلني فقال: «صَعَّه» ثم قام فقال: يا رسول الله نفلني فقال: «صَعَّه» قال: ثم قام فقال: يا رسول الله نفلني اجعل كمن لا غناء له؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صَعَّه مِنْ حَيْثُ أَحَدْتَهُ» فنزلت هذه الآية يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا إسرائيل، عن سماك، عن مصعب بن سعد، عن سعد، قال: أخذت سيفاً من المغنم، فقلت: يا رسول الله هب لي هذا فنزلت: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ.

12234- حدثني الحرث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا إسرائيل، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، في قوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قال: قال سعد: كنت أخذت سيف سعيد بن العاص بن أمية، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: أعطني هذا السيف يا رسول الله فسكت، فنزلت: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ... إلى قوله: إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قال: فأعطانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: بل نزلت لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا قسمة الغنيمة بينهم يوم بدر فأعلمهم الله أن ذلك لله ولرسوله دونهم ليس لهم فيه شيء. وقالوا: معنى «عن» في هذا الموضع «من» وإنما معنى الكلام: يسألونك من الأنفال، وقالوا: قد كان ابن مسعود يقرؤه: «يَسْأَلُونَكَ الْأَنْفَالَ» على هذا التأويل. ذكر من قال ذلك.

12235- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, قال: كان أصحاب عبد الله يقرءونها: «يَسْأَلُونَكَ الْأَنْفَالَ».

12236- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المجاريبي, عن جويبر, عن الضحاك, قال: هي في قراءة ابن مسعود «يَسْأَلُونَكَ الْأَنْفَالَ». ذكر من قال ذلك.

12237- حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ قال: الأنفال: المغانم كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ليس لأحد منها شيء, ما أصاب سرايا المسلمين من شيء أتوه به, فمن حبس منه إبرة أو سلكا فهو غلول. فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم منها, قال الله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِي جَعَلْتُهَا لِرَسُولِي لَيْسَ لَكُمْ فِيهَا شَيْءٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ, ثم أنزل الله: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ثم قسم ذلك الخمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن سمي في الآية.

12238- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريح: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قال: نزلت في المهاجرين والأنصار ممن شهد بدرا. قال: واختلفوا فكانوا أثلاثا. قال: فنزلت: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ وملكه الله رسوله, فقسمه كما أراه الله.

12239- حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا عباد بن العوام, عن الحجاج, عن عمرو بن شعيب, عن أبيه, عن جده: أن الناس سألو النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم بدر, فنزلت: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ.

12240- قال: حدثنا عباد بن العوام, عن جويبر, عن الضحاك: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قال: يسألونك أن تُنقلهم.

12241- حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا حماد بن زيد, قال: حدثنا أيوب, عن عكرمة, في قوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قال: يسألونك الأنفال. قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى أخبر في هذه الآية عن قوم سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنفال أن يعطيهموها, فأخبرهم الله أنها لله وأنه جعلها لرسوله. وإذا كان ذلك معناه جاز أن يكون نزولها كان من أجل اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها, وجائز أن يكون كان من أجل مسألة من سأله السيف الذي ذكرنا عن سعد أنه سأله إياه, وجائز أن يكون من أجل مسألة من سأله قسم ذلك بين الجيش.

واختلفوا فيها, أم نسوخة هي أم غير منسوخة؟ فقال بعضهم: هي منسوخة, وقالوا: نسخها قوله: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ... الآية. ذكر من قال ذلك.

12242- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن جابر, عن مجاهد وعكرمة, قال: كانت الأنفال لله وللرسول فنسختها: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ.

12243- حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قال: أصاب سعد بن أبي

وقاص يوم بدر سيفاً، فاختم فيه وناس معه، فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم منهم، فقال الله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ... الآية، فكانت الغنائم يومئذٍ للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة، فنسخها الله بالخمسة.

12244_ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني سليم مولى أم محمد، عن مجاهد، في قوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قَالَ: نَسَخَهَا: وَاعْلَمُوا أَنَّهَا غَنِمٌ مِّنْ شَيْءٍ قَانَ لِلَّهِ خُمُسَهُ.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا شريك، عن جابر، عن مجاهد وعكرمة، أو عكرمة وعامر، قالوا: نسخت الأنفال: وَاعْلَمُوا أَنَّهَا غَنِمٌ مِّنْ شَيْءٍ قَانَ لِلَّهِ خُمُسَهُ.

وقال آخرون: هي محكمة وليست منسوخة. وإنما معنى ذلك: قل الأنفال لله، وهي لا شك لله مع الدنيا بما فيها والآخرة، وللرسول يضعها في مواضعها التي أمره الله بوضعها فيه. ذكر من قال ذلك.

12245_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ فَقَرَأْ حَتَّىٰ بَلَغَ: إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ فاسلموا لله ولرسوله يحكمان فيها بما شاء ويضعانها حيث أرادا، فقالوا: نعم. ثم جاء بعد الأربعين: وَاعْلَمُوا أَنَّهَا غَنِمٌ مِّنْ شَيْءٍ قَانَ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ... الآية، ولكم أربعة أخماس، وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر: «وَهَذَا الْخُمْسُ مَرْدُودٌ عَلَىٰ قُرَائِكُمْ يَصْغُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِي ذَلِكَ الْخُمْسِ مَا أَحَبَّ، وَبِضْعَانِهِ حَيْثُ أَحَبَّ، ثُمَّ أَخْبَرْنَا اللَّهُ الَّذِي يَجِبُ مِنْ ذَلِكَ» ثم قرأ الآية: لِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْلًا يَكُونُ ذَوْلَهُ بَيْنَ الْأَعْيَاءِ مِنْكُمْ.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر أنه جعل الأنفال لنبيه صلى الله عليه وسلم ينفل من شاء، فنفل القاتل السلب، وجعل للجيش في البداة الربع وفي الرجعة الثلث بعد الخمس، ونفل قوما بعد سهمانهم بعيرا بعيرا في بعض المغازي. فجعل الله تعالى ذكره حكم الأنفال إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ينفل على ما يرى مما فيه صلاح المسلمين، وعلى من بعده من الأئمة أن يستنوا بسنته في ذلك، وليس في الآية دليل على أن حكمها منسوخ لاحتمالها ما ذكرت من المعنى الذي وصفت، وغير جائز أن يحكم بحكم قد نزل به القرآن أنه منسوخ إلا بحجة يجب التسليم لها، فقد دللنا في غير موضع من كتبنا على أن لا منسوخ إلا ما أبطل حكمه حادث حكم بخلافه ينفية من كل معانيه، أو يأتي خبر يوجب الحجة أن أحدهما ناسخ الآخر. وقد ذكر عن سعيد بن المسيب أنه كان ينكر أن يكون التنفيل لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تأويلاً منه لقول الله تعالى: قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ.

12246_ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عبدة بن سليمان، عن محمد بن عمرو، قال: أرسل سعيد بن المسيب غلامه إلى قوم سألوه عن شيء، فقال: إنكم أرسلتم إليّ تسألوني عن الأنفال، فلا نفل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد بينا أن للأئمة أن يتأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في مغازيهم بفعله، فينفلوا على نحو ما كان ينفل، إذا كان التفيل صلاحاً للمسلمين.

القول في تأويل قوله تعالى: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

يقول تعالى ذكره: فخافوا الله أيها القوم، واتقوه بطاعته واجتناب معاصيه، وأصلحوا الحال بينكم.

واختلف أهل التأويل في الذي عني بقوله: وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ فقال بعضهم: هو أمر من الله الذين غنموا الغنيمة يوم بدر وشهدوا الواقعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اختلفوا في الغنيمة أن يردّوا ما أصابوا منها بعضهم على بعض. ذكر من قال ذلك.

12247- حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ قال: كان نبيّ الله ينقل الرجل من المؤمنين سلب الرجل من الكفار إذا قتله، ثم أنزل الله: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ أمرهم أن يردّ بعضهم على بعض.

12248- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، قال: بلغني أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان ينفل الرجل على قدر جدّه وعنائه على ما رأى، حتى إذا كان يوم بدر وملأ الناس أيديهم غنائم، قال أهل الضعف من الناس: ذهب أهل القوّة بالغنائم فذكروا ذلك للنبيّ صلى الله عليه وسلم، فنزلت: قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ليردّ أهل القوّة على أهل الضعف.

وقال آخرون: هذا تحريج من الله على القوم، ونهي لهم عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من أمر الغنيمة وغيره. ذكر من قال ذلك.

12249- حدثني محمد بن عمارة، قال: حدثنا خالد بن يزيد، وحدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا أبو إسرائيل، عن فضيل، عن مجاهد، في قول الله: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ قال: حرّج عليهم.

12250- حدثني الحرث، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا عباد بن العوّام، عن سفيان بن حسين، عن مجاهد، عن ابن عباس: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ قال هذا تحريج من الله على المؤمنين أن يتقوا ويصلحوا ذات بينهم. قال عباد، قال سفيان: هذا حين اختلفوا في الغنائم يوم بدر.

12251- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ: أي لا تستبوا. واختلف أهل العربية في وجه تأنيث البين، فقال بعض نحويي البصرة: أضاف ذات إلى البين وجعله ذاتاً، لأن بعض الأشياء يوضع عليه اسم مؤنث، وبعضها يذكر نحو الدار، والحائط أنث الدار وذكر الحائط. وقال بعضهم: إنما أراد بقوله: ذَاتَ بَيْنِكُمْ: الحال التي للبين فقال: وكذلك «ذات العشاء» يربد الساعة التي فيها العشاء. قال: ولم يضعوا مذكراً لمؤنث ولا مؤنثاً لمذكر إلا لمعنى.

قال أبو جعفر: هذا القول أولى القولين بالصواب للعلة التي ذكرتها له.

وأما قوله: وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنْ مَعَنَاهُ: وانتهوا أيها القوم الطالبون الأنفال إلى أمر الله وأمر رسوله فيما أفاء الله عليكم، فقد بين لكم وجوه وسبله. إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ يَقُولُ: إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِينَ رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا آتَاكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ. كَمَا:

12252- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: فاتتوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فسلموا لله ولرسوله يحكمان فيها بما شاء، ويضعانها حيث أرادا.

الآية : 2

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} .. يقول تعالى ذكره: ليس المؤمن بالذي يخالف الله ورسوله ويترك اتباع ما أنزله إليه في كتابه من حدوده وفرائضه والانقياد لحكمه، ولكن المؤمن هو الذي إذا ذكر الله وجل قلبه وانقاد لأمره وخضع لذكره خوفاً منه وقرقا من عقابه، وإذا قرئت عليه آيات كتابه صدق بها وأيقن أنها من عند الله، فزاد بتصديقه بذلك إلى تصديقه بما كان قد بلغه منه قبل ذلك تصديقا وذلك هو زيادة ما تلى عليهم من آيات الله إياهم إيمانا. وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ يَقُولُ: وباللّه يوقنون في أنّ قضاءه فيهم ماض فلا يرجون غيره ولا يرهبون سواه.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

12253- حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ قَالَ: المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله، ولا يتوكلون على الله، ولا يصلون إذا غابوا، ولا يؤدّون زكاة أموالهم. فأخبر الله سبحانه أنهم ليسوا بمؤمنين، ثم وصف المؤمنين فقال: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ فَأَدُّوا فرائضه، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا يَقُولُ: تصديقا، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ يَقُولُ: لا يرجون غيره.

12254- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عبد الله، عن ابن جريح، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد: الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ قَالَ: فرقت.

12255- قال: حدثنا أبي، عن سفيان، عن السدي: الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ قَالَ: إذا ذكر الله عند الشيء وجل قلبه.

حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ يَقُولُ: إذا ذكر الله وجل قلبه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ قَالَ: فرقت. حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ فرقت.

12256- قال: حدثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن سفيان، قال: سمعت السدي يقول في قوله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ قَالَ: هو الرجل يريد أن يظلم أو قال: يهّم بمعصية أحسبه قال: فينزع عنه.

12257- حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا سفيان الثوري, عن عبد الله بن عثمان بن خثيم, عن شهر بن حوشب, عن أبي الدرداء, في قوله: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ قال: الوجل في القلب كإحراق السعفة, أما تجد له قُسْعَرِبْرَةً؟ قال: بلى. قال: إذا وجدت ذلك في القلب فادع الله, فإن الدعاء يذهب بذلك.

12258- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ قال: فرقا من الله, ووجلاً من الله, وخوفاً من الله تبارك وتعالى.
وأما قوله: رَأَتْهُمْ إِيْمَانًا فقد ذكرت قول ابن عباس فيه. وقال غيره فيه, ما:

12259- حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع: وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ رَأَتْهُمْ إِيْمَانًا قال: خشية.

12260- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ رَأَتْهُمْ إِيْمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ قال: هذا نعت أهل الإيمان, فأثبت نعتهم, ووصفهم فأثبت صفتهم.

الآية : 3-4

القول في تأويل قوله تعالى: {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} ..

يقول تعالى ذكره: الذين يؤدّون الصلاة المفروضة بحدودها, وينفقون مما رزقهم الله من الأموال فيما أمرهم الله أن ينفقوها فيه من زكاة وجهاد وحج وعمرة ونفقة على من تجب عليهم نفقته, فيؤدّون حقوقهم. أولئك يقول: هؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال. هُمُ الْمُؤْمِنُونَ لا الذين يقولون بالسنتهم قد آمننا وقلوبهم منطوية على خلافه نفاقاً, لا يقيمون صلاة ولا يؤدّون زكاة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

12261- حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن علي, عن ابن عباس: الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ يقول: الصلوات الخمس. ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ يقول: زكاة أموالهم. أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا يقول: يرثوا من الكفر. ثم وصف الله النفاق وأهله, فقال: إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ... إلى قوله: أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا فجعل الله المؤمن مؤمناً حَقًّا, وجعل الكافر كافراً حَقًّا, وهو قوله: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ.

12262- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا قال: استحقوا الإيمان بحق, فأحقه الله لهم.
القول في تأويل قوله تعالى: لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ.

يعني جل ثناؤه بقوله: لَهُمْ دَرَجَاتٌ لَهُوَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ وَصَفَ جَلِّ ثَنَاؤُهُ صَفْتَهُمْ دَرَجَاتٍ, وهي مراتب رفيعة.

ثم اختلف أهل التأويل في هذه الدرجات التي ذكر الله أنها لهم عنده ما هي، فقال بعضهم: هي أعمال رفيعة وفضائل قدموها في أيام حياتهم. ذكر من قال ذلك.

12263- حدثني أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد: لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ: أعمال رفيعة.

وقال آخرون: بل ذلك مراتب في الجنة. ذكر من قال ذلك.
12264- حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان، عن هشام بن جبلة، عن عطية، عن ابن محيريز: لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ: الدرجات سبعون درجة، كل درجة حضر الفرس الجواد المضمّر سبعين سنة.

وقوله وَمَغْفِرَةٌ يقول: وعفو عن ذنوبهم وتغطية عليها. وَرِزْقٌ كَرِيمٌ قيل: الجنة. وهو عندي ما أعد الله في الجنة لهم من مزيد المأكّل والمشرب وهنيء العيش.

12265- حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، عن هشام، عن عمرو، عن سعيد، عن قتادة: وَمَغْفِرَةٌ قَالَ: لذنوبهم. وَرِزْقٌ كَرِيمٌ قَالَ: الجنة.

الآية : 5-6

القول في تأويل قوله تعالى: { كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ } ..

اختلف أهل التأويل في الجالب لهذه الكاف التي في قوله: كما أَخْرَجَكَ وما الذي شبه بإخراج الله نبيه صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق. فقال بعضهم: شبه به في الصلاح للمؤمنين، اتقاؤهم ربهم، وإصلاحهم ذات بينهم، وطاعتهم الله ورسوله. وقالوا: معنى ذلك: يقول الله: وأصلحوا ذات بينكم، فإن ذلك خير لكم، كما أخرج الله محمدا صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق كان خيرا له. ذكر من قال ذلك.

12266- حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبد الوهاب، قال: حدثنا داود، عن عكرمة: فَاتَّبِعُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ... الآية: أي إن هذا خير لكم، كما كان إخراجك من بيتك بالحق خيرا لك.

وقال آخرون: معنى ذلك: كما أخرجك ربك يا محمد من بيتك بالحق على كره من فريق من المؤمنين كذلك هم يكرهون القتال، فهم يجادلونك فيه بعد ما تبين لهم. ذكر من قال ذلك.

12267- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ قَالَ: كذلك يجادلونك في الحق.

حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ كَذَلِكَ يجادلونك في الحق، القتال.

12268- قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ قَالَ: كذلك أخرجك ربك.

12269- حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي, قال: أنزل الله في خروجه يعني خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر ومجادلتهم إياه, فقال: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ قَرِيبًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ لَطَلَبَ الْمُشْرِكِينَ, يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ.

اختلف أهل العربية في ذلك, فقال بعض نحويي الكوفيين: ذلك أمر من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يمضي لأمره في الغنائم, على كره من أصحابه, كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون. وقال آخرون منهم: معنى ذلك: يسألونك عن الأنفال مجادلة كما جادلوك يوم بدر, فقالوا: أخرجتنا للعير, ولم تعلمنا قتالاً فنستعد له. وقال بعض نحويي البصرة: يجوز أن يكون هذا الكاف في: كَمَا أَخْرَجَكَ عَلَى قَوْلِهِ: أَوْلَيْكَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَقِيلَ: الكاف بمعنى «على».

وقال آخرون منهم: هي بمعنى القسم. قال: ومعنى الكلام: والذي أخرجك ربك.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال في ذلك بقول مجاهد, وقال معناه: كما أخرجك ربك بالحق على كره من فريق من المؤمنين, كذلك يجادلونك في الحق بعدما تبين. لأن كلا الأمرين قد كان, أعني خروج بعض من خرج من المدينة كارها, وجدّالهم في لقاء العدو عند دنو القوم بعضهم من بعض, فتشبيه بعض ذلك ببعض مع قرب أحدهما من الآخر أولى من تشبيهه بما بعد عنه. وقال مجاهد في الحق الذي ذكر أنهم يجادلون فيه النبي صلى الله عليه وسلم بعدما تبينوه: هو القتال.

12270- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ قَالَ: الْقِتَالُ. حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

وأما قوله: مِنْ بَيْتِكَ فَإِنْ بَعْضُهُمْ قَالَ: مَعْنَاهُ مِنَ الْمَدِينَةِ. ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ.

12271- حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي بزة: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ الْمَدِينَةَ إِلَى بَدْر.

12272- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريح, قال: أخبرني محمد بن عباد بن جعفر, في قوله: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ قَالَ: مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى بَدْر.

وأما قوله: وَإِنَّ قَرِيبًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ فَإِنْ كَرَاهَتُهُمْ كَانَتْ كَمَا:

12273- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثني محمد بن مسلم الزهري, وعاصم بن عمر بن قتادة, وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان, عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا, عن عبد الله بن عباس, قالوا: لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلاً من الشام, ندب إليهم المسلمين, وقال: «هَذِهِ عَيْرٌ قُرَيْشٍ فِيهَا

أَمْوَالَهُمْ، فَاحْرُجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُنْفِلَكُمْ مَوْهَا» فانتدب الناس، فخفف بعضهم وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حرباً.

12274- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: وَإِنَّ قَرِيحًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ لَطَلَبِ الْمُشْرِكِينَ.

ثم اختلف أهل التأويل في الذين عثوا بقوله: يُجَادِلُوكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ فقال بعضهم: عُنِيَ بِذَلِكَ: أَهْلُ الْإِيمَانِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ حِينَ تَوَجَّهَ إِلَى بَدْرٍ لِلِقَاءِ الْمُشْرِكِينَ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ.

12275- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم في لقاء القوم، وقال له سعد بن عباد ما قال: وذلك يوم بدر، أمر الناس، فتعبوا للقتال، وأمرهم بالشوكة، وكره ذلك أهل الإيمان، فأنزل الله: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ قَرِيحًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُوكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. 12276- حدثني ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثم ذكر القوم، يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومسيرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين عرف القوم أن قريشاً قد سارت إليهم، وأنهم إنما خرجوا يريدون العير طمعاً في الغنيمة، فقال: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ... إلى قوله: لَكَارِهُونَ أَي كَرَاهِيَةَ لِلِقَاءِ الْقَوْمِ، وَإِنكَارًا لِمَسِيرِ قَرِيشٍ حِينَ ذَكَرُوا لَهُمْ. وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ.

12277- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: يُجَادِلُوكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ قال: هؤلاء المشركون جادلوك في الحق كأنما يساقون إلى الموت حين يُدْعَوْنَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ قال: وليس هذا من صفة الآخرين، هذه صفة مبتدأة لأهل الكفر.

12278- حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا يعقوب بن محمد، قال: ثني عبد العزيز بن محمد، عن ابن أخي الزهري، عن عمه، قال: كان رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر: كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العير.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك ما قاله ابن عباس وابن إسحاق، من أن ذلك خبر من الله عن فريق من المؤمنين أنهم كرهوا لقاء العدو، وكان جدالهم نبي الله صلى الله عليه وسلم أن قالوا: لم يعلمنا أنا نلقى العدو فنستعد لقتالهم، وإنما خرجنا للعير. ومما يدل على صحة قوله: وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ فففي ذلك الدليل الواضح لمن فهم عن الله أن القوم قد كانوا للشوكة كارهين وأن جدالهم كان في القتال كما قال مجاهد، كراهية منهم له، وأن لا معنى لما قال ابن زيد، لأن الذي قبل قوله: يُجَادِلُوكَ فِي الْحَقِّ

خبر عن أهل الإيمان, والذي يتلوه خبر عنهم, فإن يكون خبرا عنهم أولى منه بأن يكون خبرا عن من لم يجر له ذكر.
وأما قوله: بَعْدَمَا تَبَيَّنَ فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اِخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهِ, فقال بعضهم: معناه: بعدما تبين لهم أنك لا تفعل إلا ما أمرك الله. ذكر من قال ذلك.

12279- حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: بَعْدَمَا تَبَيَّنَ أَنْكَ لَا تَصْنَعُ إِلَّا مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ.
وقال آخرون: معناه يجادلونك في القتال بعدما أمرت به. ذكر من قال ذلك.

12280- رواه الكلبي, عن أبي صالح, عن ابن عباس.
وأما قوله كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ فَإِنَّ مَعْنَاهُ: كَأَن هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَجَادِلُونَكَ فِي لِقَاءِ الْعَدُوِّ مِنْ كِرَاهَتِهِمْ لِلْقَائِمِ إِذَا دَعُوا إِلَى لِقَائِهِمْ لِلْقِتَالِ يَسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ.

وينحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.
12281- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال قال ابن إسحاق: كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ: أَي كِرَاهَةَ لِلْقَائِمِ الْقَوْمِ, وَإِنْكَارًا لِمَسِيرِ قَرِيشٍ حِينَ ذَكَرُوا لَهُمْ.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ...﴾

يقول تعالى ذكره: وأذكروا أيها القوم إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين يعني: إحدى الفرقتين, فرقة أبي سفيان بن حرب والغير, وفرقة المشركين الذين نفروا من مكة لمنع غيرهم. وقوله: أَنَّهَا لَكُمْ يقول: إن ما معهم غنيمة لكم. وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ يقول: وتحبون أن تكون تلك الطائفة التي ليست لها شوكة, يقول: ليس لها حد ولا فيها قتال أن تكون لكم, يقول: تودون أن تكون لكم الغير التي ليس فيها قتال لكم دون جماعة قريش الذين جاءوا لمنع غيرهم الذين في لقاءهم القتال والحرب. وأصل الشوكة من الشوك.

وينحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.
12282- حدثنا علي بن نصر, وعبد الوارث بن عبد الصمد, قال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث, قال: حدثنا أبان العطار, قال: حدثنا هشام بن عروة, عن عروة: أن أبا سفيان أقبل ومن معه من ركب قريش مقبلين من الشام, فسلخوا طريق الساحل فلما سمع بهم النبي صلى الله عليه وسلم ندب أصحابه, وحدثهم بما معهم من الأموال وبقلة عددهم. فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان, والركب معه لا يرونها إلا غنيمة لهم, لا يظنون أن يكون كبير قتال إذا رأوهم. وهي ما أنزل الله: وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ.

12283- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن محمد بن إسحاق, عن محمد بن مسلم الزهري, وعاصم بن عمر بن قتادة, وعبد الله بن أبي بكر, ويزيد بن رومان, عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا, عن عبد الله بن عباس, كل قد حدثني بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم فيما

سقت من حديث بدر، قالوا: لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلاً من الشام ندب المسلمين إليهم، وقال: «هَذِهِ عَيْرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ، فَاحْرُجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُثَقِّلَ كُمُوهَا» فانتدب الناس، فخف بعضهم وثقل بعض، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقي حرباً. وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار ويسأل من لقي من الركبان تخوفاً من الناس، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك، فحذر عند ذلك، واستأجر مضمض بن عمرو الغفاري، فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشاً يستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه. فخرج مضمض بن عمرو سريعا إلى مكة، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه، حتى بلغ وادياً يقال له دَفْرَان، فخرج منه، حتى إذا كان ببعضه نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم، فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس، وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فأحسن ثم قام عمر رضي الله عنه فقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض إلى حيث أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لئن سرت بنا إلى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً، ثم دعا له بخير، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَشْيِرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ» وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم كانوا عدد الناس، وذلك أنهم حين بايعوه على العقبة، قالوا: يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خاف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم. قال: فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال له سعد بن معاذ: لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أَجَلٌ». قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن يلقانا عدوًنا غداً، إنا لضرب عند الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سعد ونشطه ذلك، ثم قال: «سِيرُوا عَلَيَّ بِرَكَّةِ اللَّهِ وَأُبَشِّرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظِرُ الْآنَ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ عَدَا».

12284- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: أن أبا سفيان أقبل في غير الشام فيها تجارة قريش، وهي اللطيمة، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها قد أقبلت فاستنفر الناس، فخرجوا معه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فبعث عينا له من جهينة، حليفاً للأنصار يدعى ابن الأريقط، فأتاه بخير القوم. وبلغ أبا سفيان خروج محمد صلى الله عليه وسلم، فبعث إلى أهل مكة

يستعينهم، فبعث رجلاً من بني غفار يُدعى ضمضم بن عمرو، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ولا يشعر بخروج قريش، فأخبره الله بخروجهم، فتخوّف من الأنصار أن يخذلوه ويقولوا: إنا عاهدنا أن نمنعك إن أرادك أحد ببلدنا. فأقبل على أصحابه فاستشارهم في طلب العير، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: إني قد سلكت هذا الطريق، فأنا أعلم به، وقد فارقهم الرجل بمكان كذا وكذا، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عاد فشاورهم، فجعلوا يشيرون عليه بالعير. فلما أكثر المشورة، تكلم سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله، أراك تشاور أصحابك فيشيرون عليك وتعود فتشاورهم، فكانك لا ترضى ما يشيرون عليك وكأنك تتخوّف أن تتخلف عنك الأنصار، أنت رسول الله، وعليك أنزل الكتاب، وقد أمرك الله بالقتال ووعدك النصر، والله لا يخلف الميعاد، امض لما أمرت به فوالذي بعثك بالحق لا يتخلف عنك رجل من الأنصار ثم قام المقداد بن الأسود الكندي، فقال: يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ ولكننا نقول: أقدم فقاتل إنا معك مقاتلون ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال: «إِنَّ رَبِّي وَعَدَنِي الْقَوْمَ وَقَدْ حَرَجُوا فَسِيرُوا إِلَيْهِمْ» فساروا.

12285- حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ قَالَ: الطائفتان إحداهما أبو سفيان بن حرب إذ أقبل بالعير من الشام، والطائفة الأخرى أبو جهل معه نفر من قريش. فكره المسلمون الشوكة والقتال، وأحبوا أن يلقوا العير، وأراد الله ما أراد.

12286- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ قَالَ: أقبلت عير أهل مكة يريد: من الشام فبلغ أهل المدينة ذلك، فخرجوا ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدون العير. فبلغ ذلك أهل مكة، فسارعوا السير إليها لا يغلب عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان الله وعهدهم إحدى الطائفتين، فكانوا أن يلقوا العير أحب إليهم وأيسر شوكة وأحضر مغنما. فلما سبقت العير، وفاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين يريد القوم، فكره القوم مسيرهم لشوكة في القوم.

12287- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ قَالَ: أرادوا العير، قال: ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في شهر ربيع الأول، فأغار كرز بن جابر الفهري يريد سرح المدينة حتى بلغ الصفراء، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فركب في أثره، فسبقه كرز بن جابر، فرجع النبي صلى الله عليه وسلم، فأقام سنته. ثم إن أبا سفيان أقبل من الشام في عير لقريش، حتى إذا كان قريبا من بدر، نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم، فأوحى إليه: وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ فنفر النبي صلى الله عليه وسلم بجميع المسلمين، وهو يومئذ ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً، منهم

سبعون ومئتان من الأنصار، وسائرهم من المهاجرين. وبلغ أبا سفيان الخبر وهو بالبطم، فبعث إلى جميع قريش وهم بمكة، فنفرت قريش وغضبت.

12288- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح: وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ قَالَ: كان جبريل عليه السلام قد نزل، فأخبره بمسير قريش وهي تريد غيرها، ووعدته: إما العير، وإما قريشا وذلك كان ببدر، وأخذوا السقاة وسألوهم، فأخبروهم، فذلك قوله: وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ هم أهل مكة.

12289- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ... إلى آخر الآية: خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر وهم يريدون يعترضون عيرا لقريش، قال: وخرج الشيطان في صورة سراقه بن جعشم، حتى أتى أهل مكة، فاستغواهم وقال: إن محمدا وأصحابه قد عرضوا لعيركم، وقال: لا غالب لكم اليوم من الناس من مثلكم، وإنني جار لكم أن تكونوا على ما يكره الله. فخرجوا ونادوا أن لا يتخلف منا أحد إلا هدمنا داره واستبحناه وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالروحاء عينا للقوم، فأخبره بهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَكُمْ الْعَيْرَ أَوْ الْقَوْمَ». فكانت العير أحب إلى القوم من القوم، كان القتال في الشوكة، والعير ليس فيها قتال، وذلك قول الله: وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ قال: الشوكة: القتال، وغير الشوكة: العير.

12290- حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا يعقوب بن محمد الزهري، قال: حدثنا عبد الله بن وهب، عن ابن لهيعة، عن ابن أبي حبيب، عن أبي عمران، عن أبي أيوب، قال: أنزل الله جل وعز: وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ فَلَمَّا وَعَدْنَا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَنَا طَابَتْ أَنْفُسُنَا. والطائفتان: عير أبي سفيان، أو قريش.

حدثني المثنى، قال: حدثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أسلم أبي عمران الأنصاري، أحسبه قال: قال أبو أيوب: وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ قالوا: الشوكة: القوم وغير الشوكة: العير فلما وعدنا الله إحدى الطائفتين: إما العير، وإما القوم، طابت أنفسنا.

12291- حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: ثني يعقوب بن محمد، قال: ثني غير واحد، في قوله: وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ إن الشوكة قريش.

12292- حدثت عن الحسين بن الفرغ، قال: سمعت أبا معاذ، قال: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ هي عير أبي سفيان، ود أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن العير كانت لهم وأن القتال صُرف عنهم.

12293- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق: وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ: أي الغنيمة دون الحرب.

وأما قوله: أَتَهَا لَكُمْ فُتِحَتْ عَلَى تَكْرِيرِ «يَعِدُّ»، وذلك أن قوله: يَعِدُّكُمْ اللَّهُ قد عمل في إحدى الطائفتين. فتأويل الكلام: وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ يَعِدُّكُمْ أَنْ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ لَكُمْ، كما قال: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً. قال: وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونَ لَكُمْ فَاَنْتِ «ذات» لأنه مراد بها الطائفة.

ومعنى الكلام: وتودون أن الطائفة التي هي غير ذات الشوكة تكون لكم، دون الطائفة ذات الشوكة.

القول في تأويل قوله تعالى: وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ.

يقول تعالى ذكره: ويريد الله أن يحق الإسلام ويعليه بكلماته، يقول: بأمره إياكم أيها المؤمنون بقتال الكفار، وأنتم تريدون الغنيمة والمال.

وقوله: وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ يقول: يريد أن يجب أصل الجاحدين توحيد الله. وقد بينا فيما مضى معنى دابر، وأنه المتأخر، وأن معنى قطعه الإتيان على الجميع منهم.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

12294- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ أَنْ يَقْتُلَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَقْطَعَ دَابِرَهُمْ، هذا خير لكم من العير.

12295- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق: وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ: أي الوقعة التي أوقع بصناديد قريش وقادتهم يوم بدر.

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى: {لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ} ..

يقول تعالى ذكره: ويريد الله أن يقطع دابر الكافرين كما يحق الحق، كما يعبد الله وحده دون الآلهة والأصنام، ويعز الإسلام، وذلك هو تحقيق الحق وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ يقول ويبطل عبادة الآلهة والأوثان والكفر ولو كره ذلك الذين أجرموا، فاكتسبوا المآثم والأوزار من الكفار.

12296- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ هم المشركون. وقيل: إن الحق في هذا الموضع: الله عز وجل.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: {إِذْ تَسْتَعِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْدِفِينَ} ..

يقول تعالى ذكره: ويبطل الباطل حين تستغيثون ربكم، ف «إذا» من صلة «يبطل» ومعنى قوله: تَسْتَعِيثُونَ رَبَّكُمْ: تستجيرون به من عدوكم، وتدعونه للنصر عليهم. فاستجاب لكم يقول: فأجاب دعاءكم بأني ممدكم بالف من الملائكة يُرَدِّفُ بعضهم بعضا ويتلو بعضهم بعضا.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل وجاءت الرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر الأخبار بذلك.

12297- حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، عن عكرمة بن عمار، قال: ثني سماك الحنفي، قال: سمعت

ابن عباس يقول: ثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وعدتهم، ونظر إلى أصحابه نيفا على ثلاث مئة، فاستقبل القبلة، فجعل يدعو ويقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام، لا تبعث في الأرض» فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه، وأخذ أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فوضع رداءه عليه، ثم التزمه من ورائه، ثم قال: كفاك يا نبي الله بأبي وأمي مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ.

12298- حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قال: لما اصطف القوم، قال أبو جهل: اللهم أولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده، فقال: «يا رب إن تهلك هذه العصابة قلن تبعث في الأرض أبدا».

12299- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: قام النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «اللهم ربنا أترلت علي الكتاب، وأمرتني بالقتال، ووعدتني بالنصر، ولا تخلف الميعاد» فاتاه جبريل عليه السلام، فأنزل الله: أَلَمْ يَكْفِيكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ.

12300- حدثني أبو السائب، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن ابن إسحاق، عن زيد بن يثيع قال: كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يدعو، يقول: «اللهم انصر هذه العصابة، فإنك إن لم تفعل لن تبعث في الأرض» قال: فقال أبو بكر: بعض مناشدتك منجزك ما وعدك.

12301- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، قال: أقبل النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله ويستغيثه ويستنصره، فأنزل الله عليه الملائكة.

12302- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، قوله: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ قال: دعا النبي صلى الله عليه وسلم.

12303- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ: أي بدعائكم حين نظروا إلى كثرة عدوهم وقلة عددهم، فاستجاب لكم بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائكم معه.

12304- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي حصين، عن أبي صالح، قال: لما كان يوم بدر، جعل النبي صلى الله عليه وسلم يناشد ربه أشد النشدة، يدعو فاتاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله بعض نشدتك، فوالله ليفين الله لك بما وعدك.

وأما قوله: أَنِّي مُمِدِّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ فقد بينا معناه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12305- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن ابن عباس: أَنِّي مُمِدِّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ يقول: المزيد، كما تقول: أتت الرجل فزده كذا وكذا.

12306- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أحمد بن بشير, عن هارون بن عنتره, عن أبيه, عن ابن عباس: مُرْدِفِينَ قال: متتابعين.

قال: ثني أبي, عن سفيان, عن هارون بن عنتره, عن ابن عباس, مثله. 12307- حدثني سليمان بن عبد الجبار, قال: حدثنا محمد بن الصلت, قال: حدثنا أبو كدينة, عن قابوس, عن أبيه, عن ابن عباس: مُمِدِّكُمْ بِالْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ قال: وراء كل ملك ملك.

حدثني ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن أبي كدينة يحيى بن المهلب, عن قابوس, عن أبيه, عن ابن عباس: مُرْدِفِينَ قال: متتابعين.

12308- قال: حدثنا هانيء بن سعيد, عن حجاج بن أرطاة, عن قابوس, قال: سمعت أبا ظبيان يقول: مُرْدِفِينَ قال: الملائكة بعضهم على إثر بعض.

12309- قال: حدثنا المحاربي, عن جوير, عن الضحاك, قال: مُرْدِفِينَ قال: بعضهم على إثر بعض.

12310- حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد مثله.

12311- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريح, عن مجاهد, قوله: مُرْدِفِينَ قال: ممدين. قال ابن جريح, عن عبد

الله بن كثير قال: مُرْدِفِينَ الإرداف: الإمداد بهم. 12312- حدثني بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد, عن

قتادة: بِالْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ أي متتابعين. 12313- حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, قال:

حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: بِالْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ يتبع بعضهم بعضا.

12314- حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: مُرْدِفِينَ قال: المردفين بعضهم على إثر بعض, يتبع بعضهم بعضا.

12315- حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: بِالْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ يقول: متتابعين يوم بدر.

واختلفت القراء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قراء أهل المدينة: «مُرْدِفِينَ» بنصب الدال. وقرأه بعض المكيين وعامة قراء الكوفيين والبصريين: مُرْدِفِينَ. وكان أبو عمرو يقرؤه كذلك, ويقول فيما ذكر عنه:

هو من أردف بعضهم بعضا. وأنكر هذا القول من قول أبي عمرو بعض أهل العلم بكلام العرب, وقال: إنما الإرداف: أن يحمل الرجل صاحبه خلفه,

قال: ولم يسمع هذا في نعت الملائكة يوم بدر.

واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى ذلك إذا قرئ بفتح الدال أو بكسرها, فقال بعض البصريين والكوفيين: معنى ذلك إذا قرئ بالكسر أن الملائكة جاءت يتبع بعضهم بعضا على لغة من قال: أردفته وقالوا:

العرب تقول: أردفته وردفته, بمعنى: تبعته وأتبعته. واستشهد لصحة قولهم ذلك بما قال الشاعر:

إِذَا الْجَوْرَاءُ أُرْدَقَتِ التَّرِيَّاطَتْ بِآلِ فَاطِمَةَ الطُّنُونَا

قالوا: فقال الشاعر: «أردفت»، وإنما أراد «ردفت» جاءت بعدها، لأن الجوزاء تجيء بعد الثريا. وقالوا معناها إذا قرىء مُرْدَفِينِ أنه مفعول بهم، كأن معناه: بألف من الملائكة يُردف الله بعضهم بعضا. وقال آخرون: معنى ذلك إذا كسرت الدال: أردفت الملائكة بعضها بعضا، وإذا قرىء بفتحها: أردف الله المسلمين بهم.

والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأ: بِالْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ بكسر الدال لإجماع أهل التأويل على ما ذكرت من تأويلهم أن معناه: يتبع بعضهم بعضا ومتتابعين. ففي إجماعهم على ذلك من التأويل الدليل الواضح على أن الصحيح من القراءة ما اخترنا في ذلك من كسر الدال، بمعنى: أردف بعض الملائكة بعضا، ومسموع من العرب: جئت مُرْدِفًا لفلان: أي جئت بعده.

وأما قول من قال: معنى ذلك إذا قرىء «مُرْدَفِينِ» بفتح الدال: أن الله أردف المسلمين بهم، فقول لا معنى له إذ الذكر الذي في مردفين من الملائكة دون المؤمنين.

وإنما معنى الكلام: أن يمدكم بألف من الملائكة يردف بعضهم ببعض، ثم حذف ذكر الفاعل، وأخرج الخبر غير مسمى فاعله، ف قيل: مُرْدَفِينِ بمعنى: مردف بعض الملائكة ببعض، ولو كان الأمر على ما قاله من ذكرنا قوله وجب أن يكون في المردفين ذكر المسلمين لا ذكر الملائكة، وذلك خلاف ما دل عليه ظاهر القرآن.

وقد ذكر في ذلك قراءة أخرى، وهي ما:

12316- حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: قال عبد الله بن يزيد: «مُرْدَفِينِ»، ومُرْدَفِينِ و «مُرْدَفِينِ»، مثقل على معنى: مُرْدَفِينِ.

12317- حدثنا المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا يعقوب بن محمد الزهري، قال: ثني عبد العزيز بن عمران عن الربيعي، عن أبي الحويرث، عن محمد بن جبير، عن علي رضي الله عنه، قال: نزل جبريل في ألف من الملائكة عن ميمنة النبي صلى الله عليه وسلم، وفيها أبو بكر رضي الله عنه، ونزل ميكائيل عليه السلام في ألف من الملائكة عن ميسرة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنا فيها.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: { وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } ..

يقول تعالى ذكره: لم يجعل الله إرداف الملائكة بعضها بعضا وتتابعها بالمصير إليكم أيها المؤمنون مددا لكم إلا بشري لكم: أي بشارة لكم تبشركم بنصر الله إياكم على أعدائكم. وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ يقول: ولتسكن قلوبكم بمجيئها إليكم، وتوقن بنصرة الله لكم، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ: يقول: وما تُنصرون على عدوكم أيها المؤمنون إلا أن ينصركم الله عليهم، لا بشدة بأسكم وقواكم، بل بنصر الله لكم، لأن ذلك بيده وإليه، ينصر من يشاء من خلقه. إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ يقول: إن الله الذي ينصركم وبيده نصر من يشاء من خلقه، عزيز لا يقهره شيء، ولا يغلبه غالب، بل يقهر كل شيء ويغلبه، لأنه خلقه حكيم، يقول: حكيم في تدبيره ونصره من نصر، وخذلانه من خذل من خلقه، لا يدخل تدبيره وهن ولا خلل.

وَرُوِيَ عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد في ذلك ما:

12318_ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج عن ابن جريح, قال: أخبرني ابن كثير أنه سمع مجاهدا يقول: ما مَدَّ النبي صلي الله عليه وسلم مما ذكر الله غير ألف من الملائكة مردفين, وذكر الثلاثة والخمسة بشرى, ما مَدُّوا بأكثر من هذه الألف الذي ذكر الله عزَّ وجلَّ في الأنفال. وأما الثلاثة والخمسة, فكانت بشرى. وقد أتينا على ذلك في سورة آل عمران بما فيه الكفاية.

الآية : 11-12

القول في تأويل قوله تعالى: {إِذْ يُعَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ * إِذْ يُوجِي رَبِّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاصْرَبُوا قَوْقُ الْأَعْنَاقِ وَاصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ }..

يقول تعالى ذكره: ولتطمئن به قلوبكم إذ يعشيكم النعاس. ويعني بقوله: يُعَشِّيكُمُ النَّعَاسَ: يلقي عليكم النعاس, أَمَنَةً يقول: أمانا من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم, وكذلك النعاس في الحرب أمانة من الله عزَّ وجلَّ.

12319_ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو نعيم, قال: حدثنا سفيان, عن عاصم, عن أبي رزين, عن عبد الله, قال: النعاس في القتال أمانة من الله عزَّ وجلَّ, وفي الصلاة من الشيطان. حدثني الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوري, في قوله: يغشاكم النعاس أمانة منه, عن عاصم, عن أبي رزين, عن عبد الله, بنحوه, قال: قال عبد الله: فذكر مثله. حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن عاصم, عن أبي رزين, عن عبد الله بنحوه. والأمانة: مصدر من قول القائل: أمنت من كذا أَمَنَةً وأمانا وأمنا, وكل ذلك بمعنى واحد.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12320_ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أَمَنَةً مِنْهُ: أمانا من الله عزَّ وجلَّ. قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أَمَنَةً قال: أمانا من الله.

12321_ حدثني يونس, قال: حدثنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إِذْ يُعَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ قال: أنزل الله عزَّ وجلَّ النعاس أمانة من الخوف الذي أصابهم يوم أحد. فقرأ: ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا.

واختلفت القراء في قراءة قوله: «إِذْ يُعَشِّيكُمُ النَّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ» فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة «يُعَشِّيكُمُ النَّعَاسَ» بضم الياء وتخفيف الشين ونصب «النعاس», من أغشاهم الله النعاس, فهو يغشاهم. وقراءته عامة قراء الكوفيين: يُعَشِّيكُم بضم الياء وتشديد الشين من غشاهم الله النعاس, فهو يُعَشِّيهُم. وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين: «يَعْشَاكُمُ النَّعَاسُ» بفتح الياء ورفع «النعاس», بمعنى غشاهم النعاس, فهو

يغشاهم واستشهد هؤلاء لصحة قراءتهم كذلك بقوله في آل عمران: يَغْشَى طَائِفَةً.

وأولى ذلك بالصواب: إِذْ يُعْشِيكُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ قِرَاءَةِ الْكُوفِيِّينَ، لِإِجْمَاعِ جَمِيعِ الْقُرَّاءِ عَلَى قِرَاءَةِ قَوْلِهِ: وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِتُوجِيهِ ذَلِكَ إِلَيْهِ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَكَذَلِكَ الْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ: يُعْشِيكُمْ إِذْ كَانَ قَوْلُهُ: وَيُنزِّلُ عَطْفًا عَلَى «يُعْشَى»، لِيَكُونَ الْكَلَامُ مُتَسَقًا عَلَى نَحْوِ وَاحِدٍ.

وأما قوله: وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ فَإِنْ ذَلِكَ مَطَرٌ أَنْزَلَهُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ يَوْمَ بَدْرٍ، لِيُطَهِّرَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ لِصَلَاتِهِمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَصْبَحُوا يَوْمَئِذٍ مُجْنِبِينَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ اغْتَسَلُوا وَتَطَهَّرُوا. وَكَانَ الشَّيْطَانُ وَسَّوسَ لَهُمْ بِمَا حَزَنَهُمْ بِهِ مِنْ إِصْبَاحِهِمْ مُجْنِبِينَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ بِالْمَطَرِ فَذَلِكَ رَبَطَهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَتَقْوِيَتَهُ أَسْبَابُهُمْ وَتَشْبِيَتَهُ بِذَلِكَ الْمَطَرِ أَقْدَامُهُمْ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا التَّقْوَى مَعَ عَدُوِّهِمْ عَلَى رَمْلَةٍ هَشَّاءٍ فَلَبَّدَهَا الْمَطَرُ حَتَّى صَارَتْ الْأَقْدَامُ عَلَيْهَا ثَابِتَةً لَا تَسُوخُ فِيهَا، تَوَطُّةً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَوْلِيَائِهِ أَسْبَابَ التَّمَكُّنِ مِنْ عَدُوِّهِمْ وَالظَّفَرِ بِهِمْ. وَبِمِثْلِ الَّذِي قَلْنَا، تَتَابَعَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ. ذَكَرَ الْأَخْبَارُ الْوَارِدَةَ بِذَلِكَ:

12322- حدثنا هارون بن إسحاق، قال: حدثنا مصعب بن المقدام، قال: حدثنا إسرائيل، قال: حدثنا أبو إسحاق، عن حارثة، عن علي رضي الله عنه، قال: أصابنا من الليل طش من المطر يعني الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر فانطلقنا تحت الشجر والحجف، نستظل تحتها من المطر، ويات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به: «اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكُ هَذِهِ الْعِصَابَةُ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ» فلما أن طلع الفجر نادى: الصَّلَاةَ عِبَادَ اللَّهِ، فَجَاءَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ الشَّجَرِ وَالْحَجْفِ، فَصَلَّى بِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَرَّضَ عَلَى الْقِتَالِ.

12323- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا حفص بن غياث وأبو خالد، عن داود، عن سعيد بن المسيب: مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ قَالَ: طَشٌّ يَوْمَ بَدْرٍ.

حدثني الحسن بن يزيد، قال: حدثنا حفص، عن داود، عن سعيد، بنحوه. 12324- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا محمد أبي عدي وعبد الأعلى، عن داود، عن الشعبي وسعيد بن المسيب، قالوا: طَشٌّ يَوْمَ بَدْرٍ.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن الشعبي وسعيد بن المسيب في هذه الآية: يُنزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ، وَبُدِّهَبَ عَنْكُمْ رِجْرَ الشَّيْطَانِ قَالَا: طَشٌّ كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَثَبَتَ اللَّهُ بِهِ الْأَقْدَامَ.

12325- حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: «إِذْ يَغْشَاكُمْ الْبُغَايَةُ أُمَّتَهُ مِنْهُ»... الآية، ذَكَرْنَا لَنَا أَنَّهُمْ مَطَرُوا يَوْمَئِذٍ حَتَّى سَالَ الْوَادِي مَاءً، وَاقْتَتَلُوا عَلَى كَثِيبِ أَعْفَرٍ، فَلَبَّدَهُ اللَّهُ بِالْمَاءِ، وَشَرِبَ الْمُسْلِمُونَ وَتَوَضَّؤُوا وَسَقَّوْا، وَأَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَسْوَاسَ الشَّيْطَانِ.

12326- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قال: نزل النبي صلى الله عليه وسلم يعني حين سار إلى بدر والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دعة فأصاب

المسلمين ضعف شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ، فوسوس بينهم: تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون مجننين فأمطر الله عليهم مطرا شديدا، فشرّب المسلمون وتطهروا، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان. وثبت الرمل حين أصابه المطر، ومشى الناس عليه والدوابّ فساروا إلى القوم، وأمدّ الله نبيه بألف من الملائكة، فكان جبريل عليه السلام في خمسمائة من الملائكة مجنبة، وميكائيل في خمسمائة مجنبة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: «إِذْ يُغَشَاكُمُ النَّعَاسُ أَمْتَةً مِنْهُ»... إلى قوله: وَبَيَّنَّتْ بِهِ الْأَقْدَامَ وذلك أن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير ويقاتلوا عنها، نزلوا على الماء يوم بدر، فغلبوا المؤمنين عليه، فأصاب المؤمنين الظما، فجعلوا يصلون مجننين محدثين، حتى تعاضم ذلك في صدور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأنزل الله من السماء ماء حتى سال الوادي، فشرّب المسلمون وملئوا الأسقية، وسقوا الركاب واغتسلوا من الجنابة، فجعل الله في ذلك طهورا، وثبت الأقدام. وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رملة فبعث الله عليها المطر. فضربها حتى اشتدت، وثبتت عليها الأقدام.

حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فسبقهم المشركون إلى ماء بدر، فنزلوا عليه، وانصرف أبو سفيان وأصحابه تلقاء البحر، فانطلقوا. قال: فنزلوا على أعلى الوادي، ونزل محمد صلى الله عليه وسلم في أسفله. فكان الرجل من أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام يُجنب فلا يقدر على الماء، فيصلي جنباً، فألقى الشيطان في قلوبهم، فقال: كيف ترجون أن تطهروا عليهم وأحدكم يقوم إلى الصلاة جنباً على غير وضوء؟ قال: فأرسل الله عليهم المطر، فاغتسلوا وتوضئوا وشربوا، واشتدت لهم الأرض، وكانت بطحاء تدخل فيها أرجلهم، فاشتدت لهم من المطر واشتدوا عليها.

12327- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، قال: قال ابن عباس: غلب المشركون المسلمين في أول أمرهم على الماء فظمى المسلمون، وصلوا مجننين محدثين، وكانت بينهم رمال، فألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن، فقال: تزعمون أن فيكم نبياً وأنكم أولياء الله، وقد غلبتم على الماء وتصلون مجننين محدثين؟ قال: فأنزل الله ماء من السماء، فسال كل واد، فشرّب المسلمون وتطهروا، وثبتت أقدامهم، وذهبت وسوسة الشيطان.

12328- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: مَاءً لِيُطَهَّرَكُم بِهِ قَالَ: المطر أنزله عليهم قبل النعاس. رَجَرَ الشَّيْطَانِ قَالَ: وسوسته. قال: فأطفاً بالمطر الغبار، والتبتت به الأرض، وطابت به أنفسهم، وثبتت به أقدامهم.

حدثنا المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: مَاءً لِيُطَهَّرَكُم بِهِ أَنْزَلَهُ عَلَيْهِمْ قَبْلَ النَّعَاسِ، طَبَقَ الْمَطَرُ الْغَبَارَ، وَلَبَدَّ بِهِ الْأَرْضَ، وَطَابَتْ بِهِ أَنْفُسُهُمْ، وَثَبَّتْ بِهِ الْأَقْدَامَ.

حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد: ماءٌ لِيُطَهَّرَكُم بِهِ قال: القطر ويذهب عنكم رجز الشيطان وساوسه. أطفأ بالمطر الغبار، ولبد به الأرض، وطابت به أنفسهم، وثبتت به أقدامهم.

12329- حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، رجز الشيطان: وسوسته.

12330- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهَّرَكُم بِهِ قال: هذا يوم بدر أنزل عليهم القطر. وَيُذْهِبُ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ الَّذِي ألقى فِي قُلُوبِكُمْ لیس لكم بهؤلاء طاقة. وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيَثَبْتَ بِهِ الْأَقْدَامَ.

12331- حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: إِذْ يَعْشَاكُمُ النَّعَاسُ أَمَنَةٌ مِنْهُ... إلى قوله: وَيَثَبْتَ بِهِ الْأَقْدَامَ: إن المشركين نزلوا بالماء يوم بدر، وغلبوا المسلمين عليه، فأصاب المسلمين الظما، وصلوا محدثين مجنبيين، فألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن، ووسوس فيهم: إنكم تزعمون أنكم أولياء الله وأن محمداً نبي الله، وقد غلبتم على الماء وأنتم تصلون محدثين مجنبيين فأمطر الله السماء حتى سال كل واد، فشرب المسلمون وملئوا أسقيتهم وسقوا دوابهم واغتسلوا من الجنابة، وثبت الله به الأقدام وذلك أنهم كان بينهم وبين عدوهم رملة لا تجوزها الدواب، ولا يمشي فيها الماشي إلا بجهد، فضربها الله بالمطر حتى اشتدت وثبتت فيها الأقدام.

12332- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق: «إِذْ يَعْشَاكُمُ النَّعَاسُ أَمَنَةٌ مِنْهُ»: أي أنزلت عليكم الأمانة حتى نتم لا تخافون، ونزل عليكم من السماء المطر الذي أصابهم تلك الليلة، فحبس المشركون أن يسبقوا إلى الماء، وخُلي سبيل المؤمنين إليه. لِيُطَهَّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيَثَبْتَ بِهِ الْأَقْدَامَ: ليذهب عنهم شك الشيطان بتخويفه إياهم عدوهم، واستجلاد الأرض لهم، حتى انتهوا إلى منزلهم الذي سبق إليه عدوهم.

12333- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، قال: ثم ذكر ما ألقى الشيطان في قلوبهم من شأن الجنابة وقيامهم يصلون بغير وضوء، فقال: «إِذْ يَعْشَاكُمُ النَّعَاسُ أَمَنَةٌ مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهَّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيَثَبْتَ بِهِ الْأَقْدَامَ» حتى تشتدون على الرمل، وهو كهية الأرض.

12334- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن علية، قال: حدثنا داود بن أبي هند، قال: قال رجل عند سعيد بن المسيب، وقال مرة قرأ: وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهَّرَكُم بِهِ فقال سعيد: إنما هي: «وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهَّرَكُم بِهِ» قال: وقال الشعبي: كان ذلك طشاً يوم بدر.

وقد زعم بعض أهل العلم بالغريب من أهل البصرة، أن مجاز قوله: وَيَثَبْتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ويفرغ عليهم الصبر وينزله عليهم، فيثبتون لعدوهم. وذلك قول خلاف لقول جميع أهل التأويل من الصحابة والتابعين، وحسب

قول خطأ أن يكون خلافا لقول من ذكرنا. وقد بيّنا أقوالهم فيه، وأن معناه: وثبتت أقدام المؤمنين بتلبيد المطر الرمل حتى لا تسوخ فيه أقدامهم وحوافر دوابهم.

وأما قوله: إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ يَأْتِيَنَّكُمْ أَنْصَارَكُم، فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا يَقُولُ: قَوُّوا عَزْمَهُمْ، وصححوا نياتهم في قتال عدوهم من المشركين. وقد قيل: إن تثبتت الملائكة المؤمنين كان حضورهم حربهم معهم، وقيل: كان ذلك معونتهم إياهم بقتال أعدائهم، وقيل: كان ذلك بأن الملك يأتي الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقول: سمعت هؤلاء القوم، يعني المشركين يقولون: والله لئن حملوا علينا لننكشفن، فيحدث المسلمون بعضهم بعضا بذلك، فتقوى أنفسهم. قالوا: وذلك كان وحي الله إلى ملائكته.

وأما ابن إسحاق، فإنه قال بما:
12335- حدثنا بن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق: فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا أَي فَازَرُوا الَّذِينَ آمَنُوا.

القول في تأويل قوله تعالى: سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّغْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ.
يقول تعالى ذكره: سأرعب قلوب الذين كفروا بي أيها المؤمنون منكم، وأملؤها فَرَقًا حتى ينهزموا عنكم، فاضربوا فوق الأعناق واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: فَوْقَ الْأَعْنَاقِ فقال بعضهم: معناه: فاضربوا الأعناق. ذكر من قال ذلك:

12336- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن عطية: فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ قَالَ: اضربوا الأعناق.

12337- قال: حدثنا أبي، عن المسعودي، عن القاسم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ لِأَعْدَابِ بَعْدَابِ اللَّهِ، إِنَّمَا بُعِثْتُ لِضَرْبِ الْأَعْنَاقِ وَشَدِّ الْوَتَاقِ».

12338- حَدَّثَتْ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْفَرَجِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ سَلِيمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ يَقُولُ: اضربوا الرقاب.
واحتج قائلو هذه المقالة بأن العرب تقول: رأيت نفس فلان، بمعنى رأيت، قالوا: فكذلك قوله: فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ إِنَّمَا مَعْنَاهُ: فَاضْرِبُوا الْأَعْنَاقِ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فاضربوا الرءوس. ذكر من قال ذلك:
12339- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: وحدثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة: فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ قَالَ: الرءوس.
واعتل قائلو هذه المقالة بأن الذي فوق الأعناق: الرءوس، وقالوا: وغير جائز أن تقول: فوق الأعناق، فيكون معناه: الأعناق. قالوا: ولو جاز كان أن يقال تحت الأعناق، فيكون معناه: الأعناق. قالوا: وذلك خلاف المعقول من الخطاب، وقلب معاني الكلام.

وقال آخرون: معنى ذلك: فاضربوا على الأعناق. وقالوا: «على» و «فوق» معناهما متقاربان، فجاز أن يوضع أحدهما مكان الآخر.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أمر المؤمنين معلمهم كيفية قتل المشركين وضربهم بالسيف أن يضربوا فوق الأعناق منهم

والأيدي والأرجل وقوله: فَوْقَ الْأَعْنَاقِ محتمل أن يكون مراداً به الرعوس، ومحتمل أن يكون مراداً به فوق جلدة الأعناق، فيكون معناه: على الأعناق وإذا احتمل ذلك صحَّ قول من قال: معناه: الأعناق. وإذا كان الأمر محتملاً ما ذكرنا من التأويل، لم يكن لنا أن نوجهه إلى بعض معانيه دون بعض إلا بحجة يجب التسليم لها، ولا حجة تدلُّ على خصوصه، فالواجب أن يقال: إن الله أمر بضرب رعوس المشركين وأعناقهم وأيديهم وأرجلهم أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم الذين شهدوا معه بدرًا.

وأما قوله: وَاصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ فإن معناه: واضربوا أيها المؤمنون من عدوكم كلَّ طرف ومفصل من أطراف أيديهم وأرجلهم. والبنان: جمع بنانة، وهي أطراف أصابع اليدين والرجلين، ومن ذلك قول الشاعر:

أَلَا لَيْتَنِي قَطَعْتُ مَنِّي بِنَانَةً وَلَا قَيْئُهُ فِي الْبَيْتِ يَقْطَانًا حَادِرًا
يعني بالبنانة: واحدة البنان.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
12340- حدثنا أبو السائب، قال: حدثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن عطية:
وَاصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ قَالَ: كُلُّ مَفْصَلٍ.
حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن عطية: وَاصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ قَالَ: الْمَفَاصِلُ.
12341- قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُحَارِبِيُّ، عَنْ جُوَيْرٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ: وَاصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ قَالَ: كُلُّ مَفْصَلٍ.

12342- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا الحسن، عن يزيد، عن عكرمة: وَاصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ قَالَ: الْأَطْرَافُ، وَيُقَالُ: كُلُّ مَفْصَلٍ.

12343- حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: وَاصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ يعني بالبنان: الأطراف.
12344- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، قوله: وَاصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ قَالَ: الْأَطْرَافُ.
12345- حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ سَلِيمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: وَاصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ يعني الأطراف.

الآية : 13

القول في تأويل قوله تعالى: { دَلَّكَ يَأْتِيهِمْ سَأَقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } ..
يعني تعالى ذكره بقوله: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ هَذَا الْفِعْلُ مِنْ ضَرْبِ هَؤُلَاءِ الْكُفْرَةِ وَفَوْقِ الْأَعْنَاقِ، وَضَرْبُ كُلِّ بَنَانٍ مِنْهُمْ، جَزَاءٌ لَهُمْ بِشِقَاقِهِمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَعِقَابٌ لَهُمْ عَلَيْهِ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: سَأَقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَارْقُوا أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَعَصَوْهُمَا، وَأَطَاعُوا أَمْرَ الشَّيْطَانِ. وَمَعْنَى قَوْلِهِ: وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يَخَالَفُ أَمْرَ اللَّهِ وَأَمْرَ رَسُولِهِ، وَفَارِقُ طَاعَتَهُمَا. فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لَهُ، وَشَدَّةُ عِقَابِهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا: إِحْلَالُهُ بِهِ مَا كَانَ يَحِلُّ بِأَعْدَائِهِ مِنَ النِّقْمِ، وَفِي الْآخِرَةِ الْخُلُودُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. وَحَذَفَ «لَهُ» مِنَ الْكَلَامِ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهَا.

الآية : 14

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ} ..{

يقول تعالى ذكره: هذا العقاب الذي عجلته لكم أيها الكافرون المشاقون لله ورسوله في الدنيا، من الضرب فوق الأعناق منكم، وضرب كل بنان بأيدي أوليائي المؤمنين، فذوقوه عاجلاً، واعلموا أن لكم في الأجل والمعاد عذاب النار.

ولفتح «أن» من قوله: وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ من الإعراب وجهان: أحدهما الرفع، والآخر النصب. فاما الرفع فبمعنى: ذلكم فذوقوه، ذلكم وأن للكافرين عذاب النار بنية تكرير «ذلكم»، كأنه قيل: ذلكم الأمر وهذا. وأما النصب فمن وجهين: أحدهما: ذلكم فذوقوه، واعلموا، أو وأيقنوا أن للكافرين، فيكون نصبه بنية فعل مضمر، قال الشاعر:
ورأيت رَوْجَكِ في الوَعْمَتَقَلْدًا سَيْفًا وُرْمَحًا
بمعنى: وحاملاً رمحا. والآخر بمعنى: ذلكم فذوقوه، وبأن للكافرين عذاب النار، ثم حذفت الباء فنصبت.

الآية : 15-16

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحْفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ ذُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِعَصَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} ..{

يعني تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا في القتال رَحْفًا يقول: متزاحفا بعضكم إلى بعض، والمتزاحف: التداني والتقارب. فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ يقول: فلا تولوهم ظهوركم فتنهزموا عنهم، ولكن اثبتوا لهم فإن الله معكم عليهم. وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ ذُبْرَهُ يقول: ومن يولهم منكم ظهره إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ يقول: إلا مستطردا لقتال عدوه بطلب عورة له يمكنه إصابتها فيكفر عليه أو مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ أو إِلَّا أَنْ يُولِيَهُمْ ظَهْرَهُ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ، يقول: صائرا إلى حيز المؤمنين الذين يفتنون به معهم إليهم لقتالهم ويرجعون به معهم إليهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12346_ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبو خالد الأحمر، عن جويبر، عن الضحاك: إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ قال: المتحرف: المتقدم من أصحابه ليرى غرة من العدو فيصيبها. قال: والمتحيز: الفار إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكذلك من فر اليوم إلى أميره أو أصحابه. قال الضحاك: وإنما هذا وعيد من الله لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يفروا، وإنما كان النبي عليه الصلاة والسلام فتنهم.

12347_ حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ ذُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ أما المتحرف يقول: إلا مستطردا، يريد العودة. أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ قال: المتحيز إلى الإمام وجنده إن هو كفر فلم يكن لهم بهم طاقة، ولا يعذر الناس وإن كثروا أن يولوا عن الإمام.

واختلف أهل العلم في حكم قول الله عز وجل: وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ ذُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِعَصَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَاهُ جَهَنَّمَ هل هو خاص في أهل بدر، أم هو في المؤمنين جميعا؟ فقال قوم:

هو لأهل بدر خاصة، لأنه لم يكن لهم أن يتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عدوه وينهزموا عنه فاما اليوم فلهم الانهزام. ذكر من قال ذلك:

12348_ حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبد الأعلى، قال: حدثنا داود، عن أبي نضرة، في قول الله عز وجل: وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ بُرَّهُ قَالَ: ذلك يوم بدر، ولم يكن لهم أن ينحازوا، ولو انحاز أحدكم ينحز إلا إليّ. قال أبو موسى: يعني إلى المشركين.

12349_ حدثنا إسحاق بن شاهين، قال: حدثنا خالد، عن داود، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، قوله عز وجل: وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ بُرَّهُ ثم ذكر نحوه، إلا أنه قال: ولو انحازوا انحازوا إلى المشركين، ولم يكن يومئذٍ مسلم في الأرض غيرهم.

12350_ حدثنا حميد بن مسعدة، قال: حدثنا بشر بن مفضل، قال: حدثنا داود، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، قال: نزلت في يوم بدر: وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ بُرَّهُ.

حدثني ابن المثنى، وعليّ بن مسلم الطوسي، قال ابن المثنى: ثني عبد الصمد، وقال عليّ: حدثنا عبد الصمد، قال: حدثنا شعبة، عن داود، يعني ابن أبي هند، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد: وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ بُرَّهُ قال: يوم بدر. قال أبو موسى: حدثت أن في كتاب غندر هذا الحديث، عن داود، عن الشعبي، عن أبي سعيد.

حدثنا أحمد بن محمد الطوسي، قال: حدثنا عليّ بن عاصم، عن داود بن أبي هند، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، قال: إنما كان ذلك يوم بدر لم يكن للمسلمين فئة إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاما بعد ذلك، فإن المسلمين بعضهم فئة لبعض.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عبد الأعلى، قال: حدثنا داود، عن أبي نضرة: وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ بُرَّهُ قال: هذه نزلت في أهل بدر.

12351_ حدثنا يعقوب، قال: حدثنا ابن عليه، عن ابن عون، قال: كتبت إلى نافع أسأله، عن قوله: وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ بُرَّهُ أكان ذلك اليوم أم هو بعد؟ قال: وكتب إليّ: إنما كان ذلك يوم بدر.

12352_ حدثنا عليّ بن سهل، قال: حدثنا زيد، عن سفيان، عن جوبير، عن الضحاك، قال: إنما كان الفرار يوم بدر، ولم يكن لهم ملجأ يلجئون إليه، فاما اليوم فليس فرار.

12353_ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن الربيع، عن الحسن: وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ بُرَّهُ قال: كانت هذه يوم بدر خاصة، ليس الفرار من الزحف من الكبائر.

12354_ قال: حدثنا أبي، عن سفيان، عن رجل، عن الضحاك وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ بُرَّهُ قال: كانت هذه يوم بدر خاصة، قال: حدثنا روح بن عبادة، عن حبيب بن الشهيد، عن الحسن وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ بُرَّهُ قال: نزلت في أهل بدر.

12355_ حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ بُرَّهُ قال: ذلكم يوم بدر.

حدثني المثنى، قال: حدثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك عن المبارك بن فضالة، عن الحسن وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ بُرَّهُ قال: ذلك يوم بدر، فاما اليوم فإن انحاز إلى فئة أو مصر أحسبه قال: فلا بأس به.

حدثني المثنى، قال: حدثنا قبيصة بن عقبة، قال: حدثنا سفيان، عن ابن عون، قال: كتبت إلى نافع وَمَنْ يُؤْلَهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ؟ قال: إنما هذا يوم بدر.

12356- حدثني المثنى، قال: حدثنا سويد بن نصر، قال: حدثنا ابن المبارك، عن ابن لهيعة، قال: ثني يزيد بن أبي حبيب، قال: أوجب الله لمن فرّ يوم بدر النار، قال: وَمَنْ يُؤْلَهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالِ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أَحَدٍ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ: إِنَّمَا اسْتَرَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بَبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ثُمَّ كَانَ حَنِينَ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَبْعِ سِنِينَ، فَقَالَ ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ.

12357- حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عليه، قال: حدثنا ابن عون، عن محمد، أن عمر رضي الله عنه بلغه قتل أبي عبيد، فقال: لو تحيز إليّ لكنت له فئة.

12358- حدثني المثنى، قال: حدثنا سويد، قال: حدثنا ابن المبارك، عن جرير بن حازم، قال: ثني قيس بن سعيد، قال: سألت عطاء بن أبي رباح، عن قوله: وَمَنْ يُؤْلَهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ قال: هذه منسوخة بالآية التي في الأنفال: الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ صَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ صَايِرَةٌ يَعْلَبُوهَا مِثَّتَيْنِ قَالِ: وليس لقوم أن يفروا من مثلهم. قال: ونسخت تلك إلا هذه العدة.

حدثني المثنى، قال: حدثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان، قال: لما قتل أبو عبيد جاء الخبر إلى عمر، فقال: يا أيها الناس أنا فئتكم. قال ابن المبارك، عن معمر وسفيان الثوري وابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: قال عمر رضي الله عنه: أنا فئة كل مسلم. وقال آخرون: بل هذه الآية حكمها عام في كل من ولى الدبر عن العدو منهزماً. ذكر من قال ذلك.

12359- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: أكبر الكبائر: الشرك بالله، والفرار من الزحف لأن الله عز وجل يقول: وَمَنْ يُؤْلَهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ... فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَاهُ جَهَنَّمُ وَنَسَّ الْمَصِيرَ. وأولى التأويلين في هذه الآية بالصواب: عندي قول من قال: حكمها محكم، وأنها نزلت في أهل بدر، وحكمها ثابت في جميع المؤمنين، وأن الله حرم على المؤمنين إذا لقوا العدو أن يولوهم الدبر منهزمين، إلا لتحرف القتال، أو لتحيز إلى فئة من المؤمنين حيث كانت من أرض الإسلام، وأن من ولاهم الدبر بعد الزحف لقتال منهزماً بغير نية إحدي الخلتين اللتين أباح الله التولية بهما، فقد استوجب من الله وعيده إلا أن يتفضل عليه بعفوه.

وإنما قلنا هي محكمة غير منسوخة، لما قد بينا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره أنه لا يجوز أن يحكم لحكم آية بنسخ وله في غير النسخ وجه إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر يقطع العذر أو حجة عقل، ولا حجة من هذين المعنيين تدل على نسخ حكم قول الله عز وجل: وَمَنْ يُؤْلَهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالِ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ.

وأما قوله: فَقَدْ بَاءَ يَعْصِبُ مِنَ اللَّهِ يَقُولُ: فقد رجع بغضب من الله، وَمَا وَاهُ جَهَنَّمُ يَقُولُ: ومصيره الذي يصير إليه في معاده يوم القيامة جهنم وبئس المصير، يقول: وبئس الموضع الذي يصير إليه ذلك المصير.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: {قَلَمَ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }..

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ممن شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل أعداء دينه معه من كفار قريش: فلم تقتلوا المشركين أيها المؤمنون أنتم، ولكن الله قتلهم. وأضاف جل ثناؤه قتلهم إلى نفسه، ونفاه عن المؤمنين به الذين قاتلوا المشركين، إذ كان جل ثناؤه هو مسبب قتلهم، وعن أمره كان قتال المؤمنين إياهم، ففي ذلك أدل الدليل على فساد قول المنكرين أن يكون لله في أفعال خلقه صنع به وصلوا إليها. وكذلك قوله لنبيه عليه الصلاة والسلام: وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى فأضاف الرمي إلى نبي الله، ثم نفاه عنه، وأخبر عن نفسه أنه هو الرامي، إذ كان جل ثناؤه هو الموصل المرمي به إلى الذين رموا من به المشركين، والمسبب الرمية لرسوله. فيقال للمسلمين ما ذكرنا: قد علمتم إضافة الله رمى نبيه صلى الله عليه وسلم المشركين إلى نفسه بعد وصفه نبيه به وإضافته إليه ذلك فعل واحد كان من الله بتسبيه وتسديده، ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحذف والإرسال، فما تنكرون أن يكون كذلك سائر أفعال الخلق المكتسبة: من الله الإنشاء والإنجاز بالتسبيب، ومن الخلق الاكتساب بالقوى؟ فلن يقولوا في أحدهما قولاً إلا ألزموا في الآخر مثله.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12360- حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: قَلَمَ تَقْتُلُوهُمْ لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، حين قال هذا: قتلت، وهذا: قتلت. وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ قال لمحمد حين حصب الكفار. حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

12361- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى قال: رماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحصباء يوم بدر.

12362- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أيوب، عن عكرمة، قال: ما وقع منها شيء إلا في عين رجل.

12363- حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا قال: «هَذِهِ مَصَارِعُهُمْ». ووجد المشركون النبي صلى الله عليه وسلم قد سبقهم إليه ونزل إليه، فلما طلوعوا عليه زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ جَاءَتْ بِخَيْلِهَا وَقَحْرُهَا تَحَادُّكَ وَتُكَدِّبُ رَسُولَكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مَا وَعَدْتَنِي» فلما أقبلوا استقبلهم، فحنا في وجوههم، فهزمهم الله عز وجل.

12364- حدثنا أحمد بن منصور, قال: حدثنا يعقوب بن محمد, قال: حدثنا عبد العزيز بن عمران, قال: حدثنا موسى بن يعقوب بن عبد الله بن زمة, عن يزيد بن عبد الله, عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة, عن حكيم بن حزام, قال: لما كان يوم بدر, سمعنا صوتا وقع من السماء كأنه صوت حصاة وقعت في طست, ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية, فانهزمتنا.

12365- حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو معشر, عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي, قال: لما دنا القوم بعضهم من بعض, أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب فرمى بها في وجوه القوم, وقال: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ» فدخلت في أعينهم كلهم, وأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلونهم ويأسرونهم, وكانت هزيمتهم في رمية رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأنزل الله: وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى... الآية, إلى: إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.

12366- حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ... الآية, ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاثة أحجار ورمى بها في وجوه الكفار, فهزموا عند الحجر الثالث.

12367- حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين التقى الجمعان يوم بدر لعلي رضي الله عنه: «أَعْطِنِي حَصَا مِنْ الْأَرْضِ» فناوله حصى عليه تراب فرمى به وجوه القوم, فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه من ذلك التراب شيء. ثم ردّهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم. فذكر رمية النبي صلى الله عليه وسلم, فقال: قَلِمٌ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى.

12368- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى قال: هذا يوم بدر, أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات, فرمى بحصاة في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين أظهرهم وقال: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ» فانهزمتوا, فذلك قول الله عز وجل: وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى.

12369- حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس, قال: رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده يوم بدر, فقال: «يَا رَبِّ إِنَّ تَهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ فَلَنْ تُعْبَدَ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا» فقال له جبريل: خذ قبضة من التراب فأخذ قبضة من التراب, فرمى بها في وجوههم فما من المشركين من أحد إلا أصاب عينيه ومنخره وفمه تراب من تلك القبضة, فولوا مدبرين.

12370- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: قال الله عز وجل في رمي رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين بالحصباء من يده حين رامهم: وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى: أي لم يكن ذلك برميتك لولا الذي جعل الله فيها من نصرك, وما ألقى في صدور عدوك منها حين هزمتهم.

وَرُوِيَ عَنِ الزَّهْرِيِّ فِي ذَلِكَ قَوْلٌ خِلَافَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ, وَهُوَ مَا:

12371- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري: وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ قَالَ: جَاءَ أَبِي بِنِ خَلْفِ الْجَمْحِيِّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَظْمٍ حَائِلٍ، فَقَالَ: اللَّهُ مَحْيِي هَذَا يَا مُحَمَّدٌ وَهُوَ رَمِيمٌ؟ وَهُوَ يَفْتُّ الْعَظْمَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُحْيِيهِ اللَّهُ، ثُمَّ يُمِيتُكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ النَّارَ» قَالَ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أَحَدٍ، قَالَ: وَاللَّهِ لَأَقْتُلَنَّ مُحَمَّدًا إِذَا رَأَيْتَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «بَلْ أَنَا أَقْتُلُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

وأما قوله: وَلِيُبَلِّغِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا فَإِنْ مَعَنَاهُ: وَلِيَنْعَمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ بِالظَّفْرِ بِأَعْدَائِهِمْ، وَبِغَنَمِهِمْ مَا مَعَهُمْ، وَبُشِّرَهُمْ بِأَجْرِ أَعْمَالِهِمْ وَجِهَادِهِمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَذَلِكَ الْبَلَاءُ الْحَسَنُ، رَمَى اللَّهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ. وَبِعَنَى بِالْبَلَاءِ الْحَسَنِ: النِّعْمَةُ الْحَسَنَةُ الْجَمِيلَةُ، وَهِيَ مَا وَصَفَتْ، وَمَا فِي مَعَنَاهُ.

12372- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال في قوله: وَلِيُبَلِّغِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا: أَي لِيَعْرِفَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ نِعْمَةِ عَلَيْهِمْ فِي إِظْهَارِهِمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ مَعَ كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ وَقِلَّةِ عَدُوِّهِمْ، لِيَعْرِفُوا بِذَلِكَ حَقَّهُ وَلِيَشْكُرُوا بِذَلِكَ نِعْمَتَهُ.

وقوله: إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يعني: إِنَّ اللَّهَ سَمِعَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لِدَعَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُنَاشِدَتِهِ بِهِ وَمَسْئَلَتِهِ إِيَّاهُ إِهْلَاكَ عَدُوِّهِ وَعَدُوِّكُمْ وَلِقِيلِكُمْ وَقِيلَ جَمِيعَ خَلْقِهِ، عَلِيمٌ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَبِمَا فِيهِ صِلَاحُكُمْ وَصِلَاحُ عِبَادِهِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ مُحِيطٌ بِهِ، فَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ وَأَمْرَ رَسُولِهِ.

الآية : 18

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ} .. يعني جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ذَلِكُمْ: هَذَا الْفِعْلُ مِنْ قَتْلِ الْمُشْرِكِينَ وَرَمِيهِمْ حَتَّى انْهَزَمُوا، وَابْتِلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْبَلَاءِ الْحَسَنِ بِالظَّفْرِ بِهِمْ وَإِمْكَانِهِمْ مِنْ قَتْلِهِمْ وَأَسْرِهِمْ، فَعَلْنَا الَّذِي فَعَلْنَا. وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ يَقُولُ: وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ ذَلِكَ مُضْعَفٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ، يَعْنِي مَكْرَهُمْ، حَتَّى يَذْلُبُوا، وَيَنْقَادُوا لِلْحَقِّ وَيَهْلِكُوا. وَفِي فَتْحِ «أَنَّ» مِنَ الْوَجْهِ مَا فِي قَوْلِهِ: ذَلِكُمْ قَدْ وَوَقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ وَقَدْ بَيَّنَّتْ هُنَاكَ.

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله: مُوهِنٌ. فقراءته عامة قراء أهل المدينة وبعض المكيين والبصريين: «مُوهِنٌ» بالتشديد، من وهنت الشيء: ضَعَفْتَهُ. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين: مُوهِنٌ من أوهنته فأنا موهنه، بمعنى أضعفته. والتشديد في ذلك أعجب إلي لأن الله تعالى كان ينقض ما يبرمه المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، عقدا بعد عقد، وشيئا بعد شيء، وإن كان الآخر وجها صحيحا.

الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَبْتَهِوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ نُغْنِي عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ سَيِّئًا وَلَوْ كُنْتُمْ وَآَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} ..

يقول تعالى ذكره للمشركين الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر: إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ يعني: إِنْ تَسْتَحْكُمُوا اللَّهَ عَلَى أَقْطَعِ الْحَرْبِينَ لِلرَّحْمِ وَأَظْلَمِ الْفِتْنِينَ، وَتَسْتَنْصِرُوهُ عَلَيْهِ، فَقَدْ

جاءكم حكم الله ونصره المظلوم علي الظالم، والمحقّ على المبطل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12373- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك: **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْقَنْحُ** قال: **إِنْ تَسْتَقْضُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْقَضَاءُ.**

12374- قال: حدثنا سويد بن عمرو الكلبي، عن حماد بن زيد، عن أيوب، عن عكرمة: **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْقَنْحُ** قال: **إِنْ تَسْتَقْضُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْقَضَاءُ.**

12375- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْقَنْحُ** يعني بذلك المشركين، **إِنْ تَسْتَنْصِرُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْمَدَدُ.**

12376- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عبد الله بن كثير، عن ابن عباس، قوله: **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا** قال: **إِنْ تَسْتَقْضُوا الْقَضَاءُ، وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا تَعُدُّ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ سَيِّئًا قَلْتُ: لِلْمَشْرِكِينَ؟** قال: لا نعلمه إلا ذلك.

12377- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْقَنْحُ** قال: **كفار قريش في قولهم: ربنا افتح بيننا وبين محمد وأصحابه، ففتح بينهم يوم بدر.**

حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، نحوه.

12378- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري: **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْقَنْحُ** قال: **استفتح أبو جهل، فقال: اللهم يعني محمدا ونفسه أينما كان أفجر لك اللهم وأقطع للرحم فأجنته اليوم قال الله: إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْقَنْحُ.**

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، في قوله: **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْقَنْحُ** قال: **استفتح أبو جهل بن هشام، فقال: اللهم أينما كان أفجر لك وأقطع للرحم فأجنته اليوم يعني محمدا عليه الصلاة والسلام ونفسه. قال الله عز وجل: إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْقَنْحُ** فضربه ابنا عفراء: **عوف ومعوذ، وأجهز عليه ابن مسعود.**

12379- حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني الليث، قال: ثني عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عبد الله بن ثعلبة بن صعير العدويّ حليف بني زهرة، أن المستفتح يومئذ أبو جهل، وأنه قال حين التقى القوم: **أينما أقطع للرحم وآتانا بما لا يُعرف فأجنته الغداة فكان ذلك استفتاحه، فأنزل الله في ذلك: إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْقَنْحُ... الآية.**

12380- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْقَنْحُ... الآية، يقول: قد كانت بدر قضاء وعبرة لمن اعتبر.**

12381- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السديّ، قال: **كان المشركون حين خرجوا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم من مكة، أخذوا بأستار الكعبة، واستنصروا الله،**

وقالوا: اللهم انصر أعزّ الجندين، وأكرم الفئتين، وخير القبيلتين فقال الله: **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْقَتْحُ** يقول: نصرت ما قُلتُم، وهو محمد صلى الله عليه وسلم.

12382- حَدَّثَنَا عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ، يَقُولُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ بَيْدِ بْنِ سَلِيمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْقَتْحُ**... إِلَى قَوْلِهِ: وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَذَلِكَ حِينَ خَرَجَ الْمُشْرِكُونَ يَنْظُرُونَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ أَهْلَ الْعَبْرِ أَبَا سَفْيَانَ وَأَصْحَابَهُ أَرْسَلُوا إِلَى الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ يَسْتَنْصِرُونَهُمْ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيْنَا كَانَ خَيْرًا عِنْدَكَ فَانصُرْهُ وَهُوَ قَوْلُهُ: **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا يَقُولُ: تَسْتَنْصِرُوا.**

12383- حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْقَتْحُ** قَالَ: **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا الْعَذَابَ، فَعَذَّبُوا يَوْمَ بَدْرٍ، قَالَ: وَكَانَ اسْتَفْتَا حَمِيمًا بِمَكَّةَ، قَالُوا: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا جَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بَعْدَآبَ أَلِيمٍ** قَالَ: **فَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ يَوْمَ بَدْرٍ. وَأَخْبِرْ عَن يَوْمٍ أَحَدٍ: وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدُّ وَلَنْ نُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ سَيِّئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ.**

12384- حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، عَنِ مَطْرِفٍ، عَنِ عَطِيَّةٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ: اللَّهُمَّ انصُرْ أَهْدَى الْفِئَتَيْنِ، وَخَيْرَ الْفِئَتَيْنِ وَأَفْضَلَ فَنزَلَتْ: **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْقَتْحُ.**

قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، عَنِ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَنَّ أَبَا جَهْلٍ هُوَ الَّذِي اسْتَفْتَحَ يَوْمَ بَدْرٍ وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَيْنَا كَانَ أَفْجَرَ وَأَقْطَعَ لِرَحْمِهِ، فَأَجِنَهُ الْيَوْمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْقَتْحُ.**

قال: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ صَعِيرٍ: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ، قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: اللَّهُمَّ أَقْطَعْنَا لِرَحْمِهِ، وَأَتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُ، فَأَجِنَهُ الْغَدَاةَ وَكَانَ ذَلِكَ اسْتَفْتَا حَمِيمًا مِنْهُ، فَنزَلَتْ: **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْقَتْحُ... الْآيَةَ.**

قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، عَنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، عَنِ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ صَعِيرٍ، قَالَ: كَانَ الْمُسْتَفْتَحُ يَوْمَ بَدْرٍ أَبَا جَهْلٍ، قَالَ: اللَّهُمَّ أَقْطَعْنَا لِلرَّحْمِ، وَأَتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُ، فَأَجِنَهُ الْغَدَاةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْقَتْحُ.**

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: ثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيُّ، عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ صَعِيرٍ، حَلِيفِ بْنِ زَهْرَةَ، قَالَ: لَمَّا اتَّقَى النَّاسُ، وَدَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، قَالَ أَبُو جَهْلٍ: اللَّهُمَّ أَقْطَعْنَا لِلرَّحْمِ، وَأَتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُ، فَأَجِنَهُ الْغَدَاةَ فَكَانَ هُوَ الْمُسْتَفْتَحُ عَلَى نَفْسِهِ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَقَالَ اللَّهُ: **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْقَتْحُ** لِقَوْلِ أَبِي جَهْلٍ: اللَّهُمَّ أَقْطَعْنَا لِلرَّحْمِ، وَأَتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُ، فَأَجِنَهُ لِلْغَدَاةِ قَالَ: **الاسْتَفْتَا حَمِيمًا: الْإِنْصَافُ فِي الدَّعَاءِ.**

12385- حَدَّثَنَا الْحَرِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَعْشَرَ، عَنِ يَزِيدِ بْنِ رُومَانَ وَغَيْرِهِ، قَالَ أَبُو جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ: اللَّهُمَّ انصُرْ أَحَبَّ الدِّينِينَ إِلَيْكَ، دِينَنَا الْعَتِيقَ، أَمْ دِينَهُمُ الْحَدِيثَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْقَتْحُ**... إِلَى قَوْلِهِ: وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ.

وأما قوله: **وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ** فإنه يقول: **وَإِنْ تَنْتَهُوا يَا مَعْشَرَ قَرِيشَ وَجَمَاعَةَ الْكُفَّارِ عَنِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَقِتَالَ نَبِيَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

والمؤمنين به، فهو خير لكم في دنياكم وآخرتكم. وَإِنْ تَعُودُوا تَعُدُّ يَقُولُ: وَإِنْ تَعُودُوا لِحَرْبِهِ وَقِتَالِهِ وَقِتَالِ أَتْبَاعِهِ الْمُؤْمِنِينَ، تَعُدُّ: أَي بِمِثْلِ الْوَاقِعَةِ الَّتِي أَوْقَعْتَ بِكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ.

وقوله: وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ يَقُولُ: وَإِنْ تَعُودُوا نَعِدْ لِهَلَاكِكُمْ بِأَيْدِي أَوْلِيَائِي وَهَزِيمَتِكُمْ، وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ عِنْدَ عَوْدِي لِقِتَالِكُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَسَبِيكُمْ وَهَزِيمَتِكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ، يَعْنِي جَنْدَهُمْ وَجَمَاعَتَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، كَمَا لَمْ يَغْنُوا عَنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ مَعَ كَثْرَةِ عِدَدِهِمْ وَقِلَّةِ عِدَدِ الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا. وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ جَلَّ ذِكْرُهُ: وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ عِبَادِهِ عَلَى مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنْهُمْ، يَنْصُرُهُمْ عَلَيْهِمْ، أَوْ يَظْهَرُهُمْ كَمَا أَظْهَرَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ عَلَى الْمُشْرِكِينَ.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12386_ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، في قوله: وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ قَالَ: يَقُولُ لِقُرَيْشٍ: وَإِنْ تَعُودُوا نَعِدْ لِمِثْلِ الْوَاقِعَةِ الَّتِي أَصَابَتْكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ. وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ: أَي وَإِنْ كَثُرَ عِدَدُكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ لَنْ يَغْنِيَ عَنْكُمْ شَيْئًا، وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ يَنْصُرُهُمْ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ.

وقد قيل: إِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ: وَإِنْ تَعُودُوا تَعُدُّ وَإِنْ تَعُودُوا لِلِاسْتِفْتَاكِ نَعِدْ لِفَتْحِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَهَذَا الْقَوْلُ لَا مَعْنَى لَهُ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَانَ ضَمِنَ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حِينَ أَدْنَى لَهُ فِي حَرْبِ أَعْدَائِهِ إِظْهَارَ دِينِهِ وَإِعْلَاءَ كَلِمَتِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَسْتَفْتَحَ أَبُو جَهْلٍ وَحِزْبَهُ، فَلَا وَجْهَ لِأَنْ يُقَالَ وَالْأَمْرُ كَذَلِكَ إِنْ تَنْتَهُوا عَنِ الْاسْتِفْتَاكِ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعِدْ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ كَانَ وَعَدَ نَبِيَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَتْحَ بِقَوْلِهِ: أَدْنَى لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ اسْتَفْتَحَ الْمُشْرِكُونَ أَوْ لَمْ يَسْتَفْتَحُوا. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

12387_ حدثنا محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: وَإِنْ تَعُودُوا تَعُدُّ: إِنْ تَسْتَفْتَحُوا الثَّانِيَةَ نَفْتَحْ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ: مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ.

واختلفت القراء في قراءة قوله: وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ففتحتها عامة قراء أهل المدينة، بمعنى: وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ، وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ. فعطف بـ «أَنَّ» على موضع «ولو كثرت» كأنه قال: لكثرتها، ولأن الله مع المؤمنين ويكون موضع «أَنَّ» حينئذٍ نصبا على هذا القول. وكان بعض أهل العربية يزعم أن فتحها إذا فتحت على: وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِبٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ، وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ عطفًا بالأخرى على الأولى. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين والبصريين: «وَإِنَّ اللَّهَ» بكسر الألف على الابتداء، واعتلوا بأنها في قراءة عبد الله: «وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُؤْمِنِينَ». وأولى القراءتين بالصواب، قراءة من كسر «إِنَّ» للابتداء، لتقضي الخبر قبل ذلك عما يقتضي قوله: وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ.

الآية : 20

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلُّوا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ} ..

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله أطيعوا الله ورسوله فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه. وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ يَقُولُ: وَلَا تُدْبِرُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مخالفين أمره ونهيه، وأنتم تسمعون أمره وإياكم ونهيه، وأنتم به مؤمنون. كما:

12388- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله وَلَا تَوَلَّوْا وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ: أي لا تخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله، وترغمون أنكم مؤمنون.

الآية : 21

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} ..

يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم: لا تكونوا أيها المؤمنون في مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كالمشركين الذين إذا سمعوا كتاب الله يتلى عليهم، قالوا قد سمعنا بأذاننا وهم لا يسمعون يقول: وهم لا يعتبرون ما يسمعون بأذانهم. ولا ينتفعون به لإعراضهم عنه، وتركهم أن يوعوه قلوبهم ويتدبروه فجعلهم الله لما لم ينتفعوا بمواعظ القرآن وإن كانوا قد سمعوا بأذانهم، بمنزلة من لم يسمعها. يقول جل ثناؤه لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تكونوا أنتم في الإعراض عن أمر رسول الله وترك الانتهاء إليه وأنتم تسمعون بأذانكم كهؤلاء المشركين الذين يسمعون مواعظ كتاب الله بأذانهم، ويقولون: قد سمعنا، وهم عن الاستماع لها والاتعاظ بها معرضون، كمن لم يسمعها.

وكان ابن إسحاق يقول في ذلك، ما:

12389- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ: أي كالمناقضين الذين يظهرون له الطاعة، ويسرون المعصية.

12390- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ قال: عاصون.

12391- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

وللذي قال ابن إسحاق وجه، ولكن قوله: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ في سياق قصص المشركين، ويتلوه الخير عنهم بدمهم، وهو قوله: إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمَّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ فلأن يكون ما بينهما خبرا عنهم أولى من أن يكون خبرا عن غيرهم.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمَّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ} ..

يقول تعالى ذكره: إن شر ما دب على الأرض من خلق الله عند الله الذين يصغون عن الحق لئلا يستمعوه فيعتبروا به ويتعضوا به وينكصون عنه إن نطقوا به، الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيه، فيستعملوا بهما أبدانهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12392- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ قَالَ: الدَّوَابُّ: الخلق.**

12393- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريح, عن عكرمة, قال: وكانوا يقولون: **إنا صمّ بكم عما يدعوننا إليه محمد, لا نسمعه منه, ولا نجيبه به بتصديق.** فقتلوا جميعاً بأحد, وكانوا أصحاب اللواء.

12394- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: **الصمّ البكم: الذين لا يعقلون, قال: الذين لا يتبعون الحق.**

12395- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ البُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ** وليس بالأصمّ في الدنيا ولا بالأبكم, ولكن صمّ القلوب وبكمها وعميها. وقرأ: **فإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ.**

واختلف فيمن عني بهذه الآية, فقال بعضهم: عني بها نفر من المشركين. ذكر من قال ذلك:

12396- حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: قال ابن عباس: **الصمّ البكم الذين لا يعقلون: نفر من بني عبد الدار, لا يتبعون الحق.**

قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: **الصمّ البكم الذين لا يعقلون** قال: لا يتبعون الحق. قال: قال ابن عباس: هم نفر من بني عبد الدار.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريح, عن مجاهد, نحوه.

وقال آخرون: عني بها المنافقون. ذكر من قال ذلك:

12397- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ البُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ:** لا يعرفون ما عليهم في ذلك من النعمة والسعة.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال بقول ابن عباس, وأنه عني بهذه الآية مشركو قريش, لأنها في سياق الخبر عنهم.

الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى: { وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ } ..

اختلف أهل التأويل, فيمن عني بهذه الآية وفي معناها, فقال بعضهم: عني بها المشركون, وقال: معناه أنهم لو رزقهم الله الفهم لما أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم لم يؤمنوا به, لأن الله قد حكم عليهم أنهم لا يؤمنون. ذكر من قال ذلك:

12398- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريح, قوله: **وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَقَالُوا إِنَّمَا بُرِّئُوا بِغَيْرِ هَذَا وَقَالُوا: لَوْ لَا اجْتَبَيْتَهَا.** ولو جاءهم بقرآن غيره لتولّوا وهم مُّعْرِضُونَ.

12399- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: **وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ** قال: لو أسمعهم بعد أن يعلم أن لا خير فيهم ما انتفعوا بذلك, وتولوا وهم معرضون.
وحدثني به مرّة أخرى, فقال: لو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم, ولو أسمعهم بعد أن يعلم أن لا خير فيهم ما نفعهم بعد أن نفذ علمه بأنهم لا ينتفعون به.

وقال آخرون: بل عني بها المنافقون. قالوا: ومعناه: ما:
12400- حدثنا به ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: **وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ** لأنفذ لهم قولهم الذي قالوه بالسنتهم, ولكن القلوب خالفت ذلك منهم, ولو خرجوا معكم لتولوا وهم معرضون, فأوفوا لكم بشرّ مما خرجوا عليه.

وأولى القول في تأويل ذلك بالصواب عندي ما قاله ابن جريج وابن زيد لما قد ذكرنا قبل من العلة, وأن ذلك ليس من صفة المنافقين.
فتأويل الآية إذن: ولو علم الله في هؤلاء القائلين خيرا لأسمعهم مواظ القرآن وعبره, حتى يعقلوا عن الله حجه منه, ولكنه قد علم أنه لا خير فيهم وأنهم ممن كتب لهم الشقاء فهم لا يؤمنون. ولو أفهمهم ذلك حتى يعلموا ويفهموا لتولوا عن الله وعن رسوله, وهم معرضون عن الإيمان بما دلهم على حقيقته مواظ الله وعبره وحجه معاندون للحقّ بعد العلم به.

القول في تأويل قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}** ..

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: **إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** فقال بعضهم: معناه: استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم للإيمان. ذكر من قال ذلك:

12401- حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط عن السدي: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** قال: أما يحييكم فهو الإسلام, أحياءهم بعد موتهم, بعد كفرهم.

وقال آخرون: للحقّ. ذكر من قال ذلك:

12402- حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: **لِمَا يُحْيِيكُمْ** قال: الحقّ.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: **إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** قال: الحقّ.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا عنبة, عن محمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبي بزة, عن مجاهد, في قوله: **اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** قال: للحقّ.

وقال آخرون: معناه: إذا دعاكم إلى ما في القرآن. ذكر من قال ذلك:

12403- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم قال: هو هذا القرآن فيه الحياة والعفة والعصمة في الدنيا والآخرة. وقال آخرون: معناه: إذا دعاكم إلى الحرب وجهاد العدو. ذكر من قال ذلك:

12404- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق: يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم: أي للحرب الذي أعزكم الله بها بعد الذل، وقواكم بعد الضعف، ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر منهم لكم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: استجيبوا لله وللرسول بالطاعة إذا دعاكم الرسول لما يحييكم من الحق. وذلك أن ذلك إذا كان معناه كان داخلاً فيه الأمر بإجابتهم لقتال العدو والجهاد، والإجابة إذا دعاكم إلى حكم القرآن، وفي الإجابة إلى كل ذلك حياة المجيب. أما في الدنيا، فيقال: الذكر الجميل، وذلك له فيه حياة. وأما في الآخرة، فحياة الأبد في الجنان والخلود فيها.

وأما قول من قال: معناه الإسلام، فقول لا معنى له لأن الله قد وصفهم بالإيمان بقوله: يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم فلا وجه لأن يقال للمؤمن استجب لله وللرسول إذا دعاك إلى الإسلام والإيمان.

وبعد: ففيما:

12405- حدثنا أحمد بن المقدم العجلي، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا روح بن القاسم، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي وهو يصلي، فدعاه: «أي أبي» فالتفت إليه أبي، ولم يجبه. ثم إن أبيًا خفف الصلاة، ثم انصرف إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: السلام عليك أي رسول الله قال: «وعليك ما منعك إذ دعوتك أن تجيبني؟» قال: يا رسول الله كنت أصلي. قال: «أقلم تجد فيما أوجي إلي استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم؟» قال: بلى يا رسول الله، لا أعود.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا خالد بن مخلد، عن محمد بن جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي وهو قائم يصلي، فصرخ به، فلم يجبه، ثم جاء فقال: «يا أبي ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك، أليس الله يقول يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم؟» قال أبي: لا جرم يا رسول الله، لا تدعوني إلا أجبت، وإن كنت أصلي.

ما يبين عن أن المعنى بالآية هم الذين يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما فيه حياتهم بإجابتهم إليه من الحق بعد إسلامهم، لأن أبيًا لا شك أنه كان مسلماً في الوقت الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما ذكرنا في هذين الخبرين.

القول في تأويل قوله تعالى: وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: يحول بين الكافر والإيمان وبين المؤمن والكافر. ذكر من قال ذلك:

12406- حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله الرازي, عن سعيد بن جبير: يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ قَالَ: بين الكافر أن يؤمن, وبين المؤمن أن يكفر.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا وكيع, وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, وحدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: حدثنا الثوري, عن الأعمش, عن عبد الله بن عبد الله الرازي, عن سعيد بن جبير, بنحوه.

حدثني أبو زائدة زكريا بن أبي زائدة, قال: حدثنا أبو عاصم, عن سفيان, عن الأعمش, عن عبد الله بن عبد الله, عن سعيد بن جبير, مثله. حدثني أبو السائب وابن وكيع, قال: حدثنا أبو معاوية, عن المنهال, عن سعيد بن جبير: يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ قَالَ: يحول بين المؤمن وبين الكفر, وبين الكافر وبين الإيمان.

12407- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن فضيل, عن الأعمش, عن عبد الله بن عبد الله الرازي, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس: يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ يحول بين الكافر والإيمان وطاعة الله. قال: حدثنا حفص, عن الأعمش, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس: يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ قَالَ: يحول بين المؤمن والكفر, وبين الكافر والإيمان.

12408- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, وعبد العزيز بن أبي رواد, عن الضحاك, في قوله: يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ قَالَ: يحول بين الكافر وطاعته, وبين المؤمن ومعصيته. حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن أبي روق, عن الضحاك بن مزاحم, بنحوه.

قال: حدثنا المحاربي, عن جوير, عن الضحاك, قال: يحول بين المرء وبين أن يكفر, وبين الكافر وبين أن يؤمن. حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد, عن الضحاك بن مزاحم يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ قَالَ: يحول بين الكافر وبين طاعة الله, وبين المؤمن ومعصية الله. حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري, قال: حدثنا بن أبي رواد, عن الضحاك, نحوه.

وحدثنا عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك بن مزاحم, يقول: فذكر نحوه. حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج بن منهل, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, قال: سمعت عبد العزيز بن أبي رواد يحدث عن الضحاك بن مزاحم, في قوله: يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ قَالَ: يحول بين المؤمن ومعصيته.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس: وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ يقول: يحول بين المؤمن وبين الكفر, ويحول بين الكافر وبين الإيمان.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** يقول: يحول بين الكافر وبين طاعته، ويحول بين المؤمن وبين معصيته. 12409- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا المحاربي، عن ليث، عن مجاهد: **يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** قال: يحول بين المؤمن وبين الكفر، وبين الكافر وبين الإيمان.

قال: حدثنا أبي، عن ابن أبي رواد، عن الضحاك: **يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** يقول: يحول بين الكافر وبين طاعته، وبين المؤمن وبين معصيته. قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل، عن يعقوب القمي، عن جعفر، عن سعيد بن جبیر: **يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** يحول بين المؤمن والمعاصي، وبين الكافر والإيمان.

12410- قال: حدثنا عبدة، عن إسماعيل، عن أبي صالح: **يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** قال: يحول بينه وبين المعاصي. وقال آخرون: بل معنى ذلك: يحول بين المرء وعقله، فلا يدري ما يعمل. ذكر من قال ذلك:

12411- حدثنا عبدة بن محمد بن محمد الفريابي، قال: حدثنا عبد المجيد، عن ابن جريح، عن مجاهد، قوله: **يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** قال: يحول بين المرء وعقله.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** حتى يتركه لا يعقل. حدثنا المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** قال: هي يحول بين المرء وقلبه حتى يتركه لا يعقل.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا معقل بن عبدة، عن حميد، عن مجاهد: **يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** قال: إذا حال بينك وبين قلبك كيف تعمل.

قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا شريك، عن خصيف، عن مجاهد: **يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** قال: يحول بين قلب الكافر، وأن يعمل خيرا. وقال آخرون: معناه يحول بين المرء وقلبه أن يقدر على إيمان أو كفر إلا بإذنه. ذكر من قال ذلك:

12412- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن مفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** قال: يحول بين الإنسان وقلبه، فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه. وقال آخرون: معنى ذلك أنه قريب من قلبه لا يخفى عليه شيء أظهره أو أسرّه. ذكر من قال ذلك:

12413- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، قال: حدثنا معمر، عن قتادة، في قوله: **يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** قال: هي كقوله **أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**.

وأولِي الأقوال بالصواب عندي في ذلك أن يقال: إن ذلك خبر من الله عز وجل أنه أملك لقلوب عباده منهم، وإنه يحول بينهم وبينها إذا شاء،

حتى لا يقدر ذو قلب أن يدرك به شيئاً من إيمان أو كفر، أو أن يعي به شيئاً، أو أن يفهم إلاً بإذنه ومشيبته. وذلك أن الحول بين الشيء والشيء إنما هو الحجز بينهما، وإذا حجز جل ثناؤه بين عبد وقلبه في شيء أن يدركه أو يفهمه، لم يكن للعبد إلى إدراك ما قد منع الله قلبه إدراكه سبيل، وإذا كان ذلك معناه، دخل في ذلك قول من قال: يحول بين المؤمن والكافر وبين الكافر والإيمان، وقول من قال: يحول بينه وبين عقله، وقول من قال: يحول بينه وبين قلبه حتى لا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلاً بإذنه لأن الله عز وجل إذا حال بين عبد وقلبه، لم يفهم العبد بقلبه الذي قد حيل بينه وبينه ما منع إدراكه به على ما بينت. غير أنه ينبغي أن يقال: إن الله عم بقوله: **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** الخبر عن أنه يحول بين العبد وقلبه، ولم يخص من المعاني التي ذكرنا شيئاً دون شيء، والكلام محتمل كل هذه المعاني، فالخبر على العموم حتى يخصه ما يحب التسليم له.

وأما قوله: **وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** فإن معناه: واعلموا أيها المؤمنون أيضاً مع العلم بأن الله يحول بين المرء وقلبه، أن الله الذي يقدر على قلوبكم، وهو أملك بها منكم، إليه مصيركم ومرجعكم في القيامة، فيوفيكم جزاء أعمالكم، المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته، فاتقوه وراقبوه فيما أمركم ونهاكم هو ورسوله أن تضيعوه، وأن لا تستجيبوا لرسوله إذا دعاكم لما يحييكم، فيوجب ذلك سخطه، وتستحقوا به أليم عذابه حين تحشرون إليه.

الآية : 24

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ} ..

اختلف أهل التأويل، فيمن عني بهذه الآية وفي معناها، فقال بعضهم: عني بها المشركون، وقال: معناه أنهم لو رزقهم الله الفهم لما أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم لم يؤمنوا به، لأن الله قد حكم عليهم أنهم لا يؤمنون. ذكر من قال ذلك:

12398- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قوله: **وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَقَالُوا إِنَّمَا بُرِّئُوا بِعَلَمِ اللَّهِ** لولا اجتبتهم. ولو جاءهم بقرآن غيره لتولوا وهم **مُعْرِضُونَ**.

12399- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ** قال: لو أسمعهم بعد أن يعلم أن لا خير فيهم ما انتفعوا بذلك، ولتولوا وهم معرضون.

وحدثني به مرة أخرى، فقال: لو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم، ولو أسمعهم بعد أن يعلم أن لا خير فيهم ما نفعهم بعد أن نفذ علمه بأنهم لا ينتفعون به.

وقال آخرون: بل عني بها المنافقون. قالوا: ومعناه: ما:

12400- حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ** لأنفذ لهم قولهم الذي قالوه بالسنتهم، ولكن

القلوب خالفت ذلك منهم, ولو خرجوا معكم لتولوا وهم معرضون, فأوفوا لكم بشرّ مما خرجوا عليه.

وأولى القول في تأويل ذلك بالصواب عندي ما قاله ابن جريج وابن زيد لما قد ذكرنا قبل من العلة, وأن ذلك ليس من صفة المنافقين.

فتأويل الآية إذن: ولو علم الله في هؤلاء القائلين خيرا لأسمعهم مواعظ القرآن وعبره, حتى يعقلوا عن الله حجه منه, ولكنه قد علم أنه لا خير فيهم وأنهم ممن كتب لهم الشقاء فهم لا يؤمنون. ولو أفهمهم ذلك حتى يعلموا ويفهموا لتولوا عن الله وعن رسوله, وهم معرضون عن الإيمان بما دلهم على حقيقته مواعظ الله وعبره وحججه معاندون للحق بعد العلم به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ..

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ فقال بعضهم: معناه: استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم للإيمان. ذكر من قال ذلك:

12401- حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط عن السدي: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ قال: أما يحييكم فهو الإسلام, أحياءهم بعد موتهم, بعد كفرهم.

وقال آخرون: للحق. ذكر من قال ذلك:

12402- حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: لِمَا يُحْيِيكُمْ قال: الحق.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ قال: الحق.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا عنبة, عن محمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبي بزة, عن مجاهد, في قوله: اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ قال: للحق.

وقال آخرون: معناه: إذا دعاكم إلى ما في القرآن. ذكر من قال ذلك:

12403- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ قال: هو هذا القرآن فيه الحياة والعفة والعصمة في الدنيا والآخرة.

وقال آخرون: معناه: إذا دعاكم إلى الحرب وجهاد العدو. ذكر من قال ذلك:

12404- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ: أي للحرب الذي أعزكم الله بها بعد الذل, وقواكم بعد الضعف, ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر منهم لكم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: استجيبوا لله وللرسول بالطاعة إذا دعاكم الرسول لما يحييكم من الحق. وذلك أن ذلك إذا كان معناه كان داخلاً فيه الأمر بإجابتهم لقتال العدو والجهاد، والإجابة إذا دعاكم إلى حكم القرآن، وفي الإجابة إلى كل ذلك حياة المجيب. أما في الدنيا، فيقال: الذكر الجميل، وذلك له فيه حياة. وأما في الآخرة، فحياة الأبد في الجنان والخلود فيها.

وأما قول من قال: معناه الإسلام، فقول لا معنى له لأن الله قد وصفهم بالإيمان بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ فَلَا وَجْهَ لَأَن يُقَالَ لِلْمُؤْمِنِ اسْتَجِبْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ.

وبعد: ففيما:

12405- حدثنا أحمد بن المقدم العجلي، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا روح بن القاسم، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي وهو يصلي، فدعاه: «أي أبي» فالتفت إليه أبي، ولم يجبه. ثم إن أبيًا خفف الصلاة، ثم انصرف إلي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: السلام عليك أي رسول الله قال: «وَعَلَيْكَ مَا مَنَعَكَ إِذْ دَعَوْتُكَ أَنْ تُجِيبَنِي؟» قال: يا رسول الله كنت أصلي. قال: «أَقْلَمَ تَحَدُّ فِيمَا أَوْحِيَ إِلَيَّ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ؟» قال: بلى يا رسول الله، لا أعود.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا خالد بن مخلد، عن محمد بن جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي وهو قائم يصلي، فصرخ به، فلم يجبه، ثم جاء فقال: «يا أبي ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك، أليس الله يقول يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم؟» قال أبي: لا جرم يا رسول الله، لا تدعوني إلا أجبت، وإن كنت أصلي.

ما يبين عن أن المعنى بالآية هم الذين يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما فيه حياتهم بإجابتهم إليه من الحق بعد إسلامهم، لأن أبيًا لا شك أنه كان مسلمًا في الوقت الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما ذكرنا في هذين الخبرين.

القول في تأويل قوله تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ يُحْشَرُونَ.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: يحول بين الكافر والإيمان وبين المؤمن والكافر. ذكر من قال ذلك:

12406- حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله الرازي، عن سعيد بن جبيرة: يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ قَالَ: بَيْنَ الْكَافِرِ أَنْ يُؤْمِنَ، وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَكْفُرَ.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا وكيع، وحدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان، وحدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: حدثنا الثوري، عن الأعمش، عن عبد الله بن عبد الله الرازي، عن سعيد بن جبيرة، بنحوه.

حدثني أبو زائدة زكريا بن أبي زائدة، قال: حدثنا أبو عاصم، عن سفيان، عن الأعمش، عن عبد الله بن عبد الله، عن سعيد بن جبير، مثله.

حدثني أبو السائب وابن وكيع، قال: حدثنا أبو معاوية، عن المنهال، عن سعيد بن جبير: يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ قَالَ: يحول بين المؤمن وبين الكفر، وبين الكافر وبين الإيمان.

12407- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا محمد بن فضيل، عن الأعمش، عن عبد الله بن عبد الله الرازي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ يحول بين الكافر والإيمان وطاعة الله.

قال: حدثنا حفص، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ قَالَ: يحول بين المؤمن والكفر، وبين الكافر والإيمان.

12408- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا عبيد بن سليمان، وعبد العزيز بن أبي رواد، عن الضحاك، في قوله: يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ قَالَ: يحول بين الكافر وطاعته، وبين المؤمن ومعصيته.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبو أسامة، عن أبي روق، عن الضحاك بن مزاحم، بنحوه.

قال: حدثنا المحاربي، عن جوير، عن الضحاك، قال: يحول بين المرء وبين أن يكفر، وبين الكافر وبين أن يؤمن.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد، عن الضحاك بن مزاحم يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ قَالَ: يحول بين الكافر وبين طاعة الله، وبين المؤمن ومعصية الله.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري، قال: حدثنا بن أبي رواد، عن الضحاك، بنحوه.

وحدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك بن مزاحم، يقول: فذكر نحوه.

حدثني المثنى، قال: حدثنا الحجاج بن منهال، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت عبد العزيز بن أبي رواد يحدث عن الضحاك بن مزاحم، في قوله: يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ قَالَ: يحول بين المؤمن ومعصيته.

حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس: وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ يقول: يحول بين المؤمن وبين الكفر، وبحول بين الكافر وبين الإيمان.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ يقول: يحول بين الكافر وبين طاعته، ويحول بين المؤمن وبين معصيته.

12409- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا المحاربي، عن ليث، عن مجاهد: يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ قَالَ: يحول بين المؤمن وبين الكفر، وبين الكافر وبين الإيمان.

قال: حدثنا أبي، عن ابن أبي رواد، عن الضحاك: يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ يقول: يحول بين الكافر وبين طاعته، وبين المؤمن وبين معصيته.

قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل، عن يعقوب القمي، عن جعفر، عن سعيد بن جبير: يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ يَحُولُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْمَعَاصِي، وَبَيْنَ الْكَافِرِ وَالْإِيمَانِ.

12410_ قال: حدثنا عبدة، عن إسماعيل، عن أبي صالح: يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: يحول بينه وبين المعاصي.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: يحول بين المرء وعقله، فلا يدري ما يعمل.
ذكر من قال ذلك:

12411_ حدثنا عبدة بن محمد الفريابي، قال: حدثنا عبد المجيد، عن ابن جريح، عن مجاهد، قوله: يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: يحول بين المرء وعقله.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ حتى يتركه لا يعقل.
حدثنا المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: هي يحول بين المرء وقلبه حتى يتركه لا يعقل.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا معقل بن عبدة، عن حميد، عن مجاهد: يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: إذا حال بينك وبين قلبك كيف تعمل.

قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا شريك، عن خصيف، عن مجاهد: يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: يحول بين قلب الكافر، وأن يعمل خيراً.
وقال آخرون: معناه يحول بين المرء وقلبه أن يقدر على إيمان أو كفر إلا بإذنه. ذكر من قال ذلك:

12412_ حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن مفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: يحول بين الإنسان وقلبه، فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه.
وقال آخرون: معنى ذلك أنه قريب من قلبه لا يخفى عليه شيء أظهره أو أسرّه. ذكر من قال ذلك:

12413_ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، قال: حدثنا معمر، عن قتادة، في قوله: يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ قال: هي كقوله أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ.

وأولى الأقوال بالصواب عندي في ذلك أن يقال: إن ذلك خبر من الله عز وجل أنه أملك لقلوب عباده منهم، وإنه يحول بينهم وبينها إذا شاء، حتى لا يقدر ذو قلب أن يدرك به شيئاً من إيمان أو كفر، أو أن يعي به شيئاً، أو أن يفهم إلا بإذنه ومشئته. وذلك أن الحول بين الشيء والشيء إنما هو الحجز بينهما، وإذا حجز جل ثناؤه بين عبد وقلبه في شيء أن يدركه أو يفهمه، لم يكن للعبد إلى إدراك ما قد منع الله قلبه إدراكه سبيل، وإذا كان ذلك معناه، دخل في ذلك قول من قال: يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والإيمان، وقول من قال: يحول بينه وبين عقله، وقول من قال: يحول بينه وبين قلبه حتى لا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه لأن الله عز وجل إذا حال بين عبد وقلبه، لم يفهم العبد بقلبه

الذي قد حيل بينه وبينه ما منع إدراكه به على ما بينت. غير أنه ينبغي أن يقال: إن الله عم بقوله: **وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** الخبر عن أنه يحول بين العبد وقلبه, ولم يخص من المعاني التي ذكرنا شيئاً دون شيء, والكلام محتمل كل هذه المعاني, فالخبر على العموم حتى يخصه ما يحب التسليم له.

وأما قوله: **وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** فإن معناه: واعلموا أيها المؤمنون أيضاً مع العلم بأن الله يحول بين المرء وقلبه, أن الله الذي يقدر على قلوبكم, وهو أملك بها منكم, إليه مصيركم ومرجعكم في القيامة, فيوفيكم جزاء أعمالكم, المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته, فاتقوه وراقبوه فيما أمركم ونهاكم هو ورسوله أن تضعوه, وأن لا تستجيبوا لرسوله إذا دعاكم لما يحييكم, فيوجب ذلك سخطه, وتستحقوا به أليم عذابه حين تحشرون إليه.

الآية : 25

القول في تأويل قوله تعالى: **{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}**.. يقول تعالى ذكره للمؤمنين به ورسوله: اتقوا أيها المؤمنون فتنه, يقول: اختباراً من الله يختبركم, وبلاء يتليكم, لا تصيبن هذه الفتنه التي حذرتكموها الذين ظلموا, وهم الذين فعلوا ما ليس لهم فعله, إما أجرام أصابوها وذنوب بينهم وبين الله ركبوها, يحذرهم جل ثناؤه أن يركبوا له معصية أو يأتوا ماثماً يستحقون بذلك منه عقوبة. وقيل: إن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم, وهم الذين عنوا بها. ذكر من قال ذلك:

12414- حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن إبراهيم, قال: حدثنا الحسن بن أبي جعفر, قال: حدثنا داود بن أبي هند, عن الحسن, في قوله: **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً** قال: نزلت في عليّ وعثمان وطلحة والزبير, رضي الله عنهم.

12415- حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر: **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً** قال قتادة: قال الزبير بن العوام: لقد نزلت وما نرى أحداً منا يقع بها, ثم خصتنا في إصابتنا خاصة.

حدثني المثنى, قال: حدثنا زيد بن عوف أبو ربيعة, قال: حدثنا حماد, عن حميد, عن الحسن, أن الزبير بن العوام, قال: نزلت هذه الآية: **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً** وما نزلنا أهلها, ونحن عنينا بها. قال: حدثنا قبيصة, عن سفيان, عن الصلت بن دينار, عن ابن صبهان, قال: سمعت الزبير بن العوام يقول: قرأت هذه الآية زماناً وما أرانا من أهلها, فإذا نحن المعنيون بها **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً** و**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً** وأن الله شديد العقاب.

12416- حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً** قال: هذه نزلت في أهل بدر خاصة, وأصابتهم يوم الجمل فاقتلوا.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن ابن أبي خالد، عن السدي: وَاتَّقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ قَالَ: أصحاب الجمل.

12417- حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو صالح، قال: حدثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس: وَاتَّقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً قَالَ: أمر الله المؤمنين أن لا يقرّوا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب.

12418- قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: وَاتَّقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً قَالَ: هي أيضا لكم.

12419- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَاتَّقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً قَالَ: الفتنة: الضلالة.

12420- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن المسعودي، عن القاسم، قال: قال عبد الله: ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، إن الله يقول: إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ.

12421- حدثني الحرث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا مبارك بن فضالة، عن الحسن، قال: قال الزبير: لقد خوّفنا بها، يعني قوله: وَاتَّقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً.

واختلف أهل العربية في تأويل ذلك، فقال بعض نحويي البصرة: اتَّقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلَهُ: لا تصيبن، ليس بجواب، ولكنه نهي بعد أمر، ولو كان جوابا ما دخلت النون. وقال بعض نحويي الكوفة: قَوْلَهُ: وَاتَّقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَمْرُهُمْ ثُمَّ نَهَاهُمْ، وَمِنْكُمْ ظَرْفٌ مِنَ الْجَزَاءِ وَإِنْ كَانَ نَهْيًا. قَالَ: ومثله قوله: يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانٌ أَمْرُهُمْ ثُمَّ نَهَاهُمْ، وفيه تأويل الجزاء. وكان معنى الكلام عنده: اتقوا فتنة إن لم تتقوها أصابتكم.

وأما قوله: وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ فَإِنَّهُ تَحذِيرٌ مِنَ اللَّهِ وَوَعِيدٌ لِمَنْ وَاقَعَ الْفِتْنَةَ الَّتِي حَذَرَهُ إِيَّاهَا بِقَوْلِهِ: وَاتَّقُوا فِتْنَةَ، يَقُولُ: اعْلَمُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ رَبَّكُمْ شَدِيدٌ عِقَابُهُ لِمَنْ اقْتَنَى بِظُلْمِ نَفْسِهِ وَخَالَفَ أَمْرَهُ، فَاتَمَّ بِهِ.

الآية : 26

القول في تأويل قوله تعالى: {وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مَسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطِفَكُمْ النَّاسُ وَآوَاكُمْ وَأَيْدِيكُمْ يُنْصِرُهُ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} ..

وهذا تذكير من الله عز وجل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومناصحة. يقول: أطيعوا الله ورسوله أيها المؤمنون، واستجيبوا له إذا دعاكم لما يحييكم ولا تخالفوا أمره، وإن أمركم بما فيه عليكم المشقة والشدة، فإن الله يهونه عليكم بطاعته إياه ويعجل لكم منه ما تحبون، كما فعل بكم إذ آمنتم به واتبعتموه وأنتم قليل يستضعفكم الكفار فيفتنونكم عن دينكم وينالونكم بالمكروه في أنفسكم وأعراضكم تخافون منهم أن يخطفوك فيقتلوك ويصلحوا جميعكم فأوأكم يقول: فجعل لكم ماوى تأوون إليه منهم. وَأَيْدِيكُمْ يُنْصِرُهُ يَقُولُ: وَقِوَاكُمْ بِنَصْرِهِ عَلَيْهِمْ، حَتَّى قَتَلْتُمْ مِنْهُمْ مَنْ قَتَلْتُمْ بِيَدِهِ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ يَقُولُ: وَأَطْعَمَكُمْ غَنِيمَتَهُمْ حَلَالًا طَيِّبًا. لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ يَقُولُ: لِكَيْ تَشْكُرُوا عَلَى مَا رَزَقَكُمْ وَأَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ مِنْ نِعْمِهِ عِنْدَكُمْ.

واختلف أهل التأويل في الناس الذين عنوا بقوله: أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فقال بعضهم: كفار قريش. ذكر من قال ذلك.

12422- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، عن عكرمة، قوله: وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ قال: يعني بمكة مع النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من قريش وحلفائها ومواليها قبل الهجرة.

12423- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الكلبى أو قتادة أو كليهما: وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ أَنهَا نَزَلَتْ فِي يَوْمِ بَدْرٍ، كَانُوا يَوْمئِذٍ يَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَهُمُ النَّاسُ، فَأَوَاهُمُ اللَّهُ وَأَيْدَهُمْ بَنَصْرَهُ.

12424- حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، بنحوه.

وقال آخرون: بل عني به غير قريش. ذكر من قال ذلك.

12425- حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرني أبي، قال: سمعت وهب بن منبه يقول في قوله عز وجل: تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ قال: فارس.

12426- قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: ثني عبد الصمد، أنه سمع وهب بن منبه يقول، وقرأ: وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ وَالنَّاسُ إِذْ ذَاكَ: فارس، والروم.

12427- قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ قال: كان هذا الحى من العرب أذل الناس ذلاً، وأشقاء عيشاً، وأجوعه بطوناً، وأعرأه جلوداً، وأبينه ضللاً من عاش منهم عاش شقياً، ومن مات منهم ردى في الناس، يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلاً من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشد منهم منزلاً. حتى جاء الله بالإسلام، فمكّن به في البلاد، ووسّع به في الرزق، وجعلكم به ملوكاً على رقاب الناس، فبالإسلام أعطى الله ما رأيتم، فاشكروا الله على نعمه، فإن ربكم منعم يحبّ الشكر وأهل الشكر في مزيد من الله تبارك وتعالى.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: عني بذلك مشركو قريش لأن المسلمين لم يكونوا يخافون على أنفسهم قبل الهجرة من غيرهم، لأنهم كانوا أدنى الكفار منهم إليهم، وأشدّهم عليهم يومئذ مع كثرة عددهم وقلة عدد المسلمين.

وأما قوله: فَأَوَاكُمُ فَإِنَّهُ يَعْنِي: أَوَاكُمُ الْمَدِينَةَ، وكذلك قوله: وَأَيْدِكُمْ بِنَصْرِهِ بِالْأَنْصَارِ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12428- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن مفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: فَأَوَاكُمُ قال: إلى الأنصار بالمدينة. وَأَيْدِكُمْ بِنَصْرِهِ وهؤلاء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، أيدهم بنصره يوم بدر.

12429- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، عن عكرمة: فَأَوَاكُمُ وَأَيْدِكُمْ بِنَصْرِهِ، وَرَزَقَكُمُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ يَعْنِي بِالْمَدِينَةِ.

الآية : 27

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ..

يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبيه صلى الله
عليه وسلم: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا تخونوا الله. وخيانتهم الله
ورسوله كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين الإيمان في الظاهر والنصيحة، وهو يستسر الكفر والغش لهم
في الباطن، يدلون المشركين على عورتهم، ويخبرونهم بما خفي عنهم
من خبرهم.

وقد اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية، وفي السبب الذي نزلت
فيه، فقال بعضهم: نزلت في منافق كتب إلى أبي سفيان يطلعه على
سر المسلمين. ذكر من قال ذلك.

12430- حدثنا القاسم بن بشر بن معروف، قال: حدثنا شبابة بن سوار،
قال: حدثنا محمد بن المحرم، قال: لقيت عطاء بن أبي رباح، فحدثني،
قال: ثني جابر بن عبد الله أن أبا سفيان خرج من مكة، فأتى جبريل
النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا.
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «إِنَّ أبا سُفْيَانَ فِي مَكَانٍ كَذَا
وَكَذَا فَاحْرُجُوا إِلَيْهِ وَاكْتُمُوا» قال: فكتب رجل من المنافقين إلى أبي
سفيان: إن محمدا يريدكم، فخذوا حذرکم فأنزل الله عز وجل: لا تخونوا
الله والرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ.

وقال آخرون: بل نزلت في أبي لبابة الذي كان من أمره وأمر بني
قريظة. ذكر من قال ذلك.

12431- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني أبو سفيان، عن
معمر، عن الزهري، قوله: لا تخونوا الله والرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ قال:
نزلت في أبي لبابة، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار إلى
حلقة أنه الذبح. قال الزهري: فقال أبو لبابة: لا والله لا أذوق طعاما ولا
شرابا حتى أموت أو يتوب الله عليّ فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا
شرابا، حتى خرّ مغشياً عليه، ثم تاب الله عليه، فقيل له: يا أبا لبابة قد
تیب عليك قال: والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده. ثم قال أبو لبابة: إن من توبتي
أن أهجّر دار قومي التي أصبت بها الذنب وأن أنخلع من مالي، قال:
«يُجْزِيكَ التُّلْتُ أَنْ تَصَدَّقَ بِهِ».

12432- حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله بن
الزبير، عن ابن عينة، قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، قال: سمعت
عبد الله بن أبي قتادة، يقول: نزلت: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ في أبي لبابة.

وقال آخرون: بل نزلت في شأن عثمان رضي الله عنه. ذكر من قال ذلك.
12433- حدثني الحرث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا يونس بن

الحرث الطائفي، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن عون الثقفي، عن
المغيرة بن شعبة، قال: نزلت هذه الآية في قتل عثمان رضي الله عنه: يا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ... الآية.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله نهى المؤمنين عن خيانتهم وخیانة رسوله وخیانة أمانته. وجائز أن تكون نزلت في أبي لبابة، وجائز أن تكون نزلت في غيره، ولا خبر عندنا بأي ذلك كان يجب التسليم له بصحته، فمعنى الآية وتأويلها ما قدمنا ذكره.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12434- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول قال: نهاكم أن تخونوا الله والرسول، كما صنع المنافقون.

12435- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن مفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: لا تخونوا الله والرسول... الآية، قال: كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين.

واختلفوا في تأويل قوله: وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون فقال بعضهم: لا تخونوا الله والرسول، فإن ذلك خيانة لأماناتكم وهلاك لها. ذكر من قال ذلك.

12436- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن مفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم فإنهم إذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم.

12437- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق: يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون: أي لا تظهروا لله من الحق ما يرضى به منكم ثم تخالفوه في السر إلى غيره، فإن ذلك هلاك لأماناتكم وخیانة لأنفسكم.

فعلى هذا التأويل، قوله: وتخونوا أماناتكم في موضع نصب على الظرف، كما قال الشاعر:

لَا تَنَّهُ عَن خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُعَارُ عَلَيَّكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمًا

ويروي: «وتأتي مثله».

وقال آخرون: معناه: لا تخونوا الله والرسول، ولا تخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون. ذكر من قال ذلك.

12438- حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس: قوله: يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم يقول: لا تخونوا: يعني لا تنقصوها.

فعلى هذا التأويل: لا تخونوا الله والرسول، ولا تخونوا أماناتكم.

واختلف أهل التأويل في معنى الأمانة التي ذكرها الله في قوله: وتخونوا أماناتكم فقال بعضهم: هي ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله. ذكر من قال ذلك.

12439- حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: وتخونوا أماناتكم والأمانة: الأعمال التي أمن الله عليها العباد، يعني: الفريضة. يقول: لا تخونوا: يعني لا تنقصوها.

12440- حدثنا علي بن داود، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله يقول: بترك فرائضه والرسول يقول: بترك سننه وارتكاب معصيته. قال: وقال

مرّة أخرى: لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَالْأَمَانَ: الأعمال. ثم ذكر نحو حديث المثنى.

وقال آخرون: معنى الأمانات ههنا: الدين. ذكر من قال ذلك.
12441- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ دِينَكُمْ. وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ قَالَ: قد فعل ذلك المنافقون وهم يعلمون أنهم كفار، يظهرن الإيمان. وقرأ: وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالِي... الآية، قال: هؤلاء المنافقون أمنهم الله ورسوله على دينه فخانوا، أظهروا الإيمان وأسروا الكفر.
فتأويل الكلام إذن: يا أيها الذين آمنوا لا تنقصوا الله حقوقه عليكم من فرائضه ولا رسوله من واجب طاعته عليكم، ولكن أطيعوهما فيما أمركم به ونهياكم عنه، لا تنقصوهما، وتخونوا أماناتكم، وتنقصوا أديانكم، وواجب أعمالكم، ولازمها لكم، وأنتم تعلمون أنها لازمة عليكم وواجبة بالحجج التي قد ثبتت لله عليكم.

الآية : 28

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} ..

يقول تعالى ذكره للمؤمنين: وأعلموا أيها المؤمنون أنما أموالكم التي خولكموها الله وأولادكم التي وهبها الله لكم اختبار وبلاء أعطاكموها ليختبركم بها وبيتليكم لينظر كيف أنتم عاملون من أداء حق الله عليكم فيها والانتهاة إلى أمره ونهيه فيها. وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ يقول: واعلموا أن الله عنده خير وثواب عظيم على طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم في أموالكم وأولادكم التي اختبركم بها في الدنيا، وأطيعوا الله فيما لكم فيها تنالوا به الجزيل من ثوابه في معادكم.

12442- حدثني الحرث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا المسعودي، عن القاسم، عن عبد الرحمن، عن ابن مسعود، في قوله: إِنَّمَا آَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ قَالَ: ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، فمن استعاذ منكم فليتعذ بالله من مُضِلَّاتِ الفتن.

12371- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: {وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ قَالَ: فتنة الاختبار، اختبارهم. وقرأ: وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْحَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ.

الآية : 29

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّبِعُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} ..

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله إن تَتَّبِعُوا اللَّهَ بطاعته، وأداء فرائضه واجتناب معاصيه، وترك خيانته، خيانة رسوله وخيانة أماناتكم يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا: يقول: يجعل لكم فصلاً وفرقا بين حقكم وباطل من يبيغكم السوء من أعدائكم المشركين بنصره إياكم عليهم، وإعطائكم الظفر بهم. وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ يقول: ويمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم بينكم وبينه. وَيَغْفِرْ لَكُمْ يقول: ويغطيها، فيسترها عليكم، فلا يؤاخذكم بها. وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ يقول: والله الذي يفعل ذلك بكم، له الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه بفعله ذلك وفعل أمثاله، وإن فعله

جزاء منه لعبده على طاعته إياه، لأنه الموفق عبده لطاعته التي اكتسبها حتى استحق من ربه الجزاء الذي وعده عليها.

وقد اختلف أهل التأويل في العبارة عن تأويل قوله: **يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا** فقال بعضهم: مخرج، وقال بعضهم: نجاه، وقال بعضهم: فصلاً. وكلُّ لك متقارب المعنى وإن اختلفت العبارات عنها، وقد بينت صحة ذلك فيما مضى قبل بما أغني عن إعادته. ذكر من قال: معناه المخرج:

12443- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد: **إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا** قال: مخرجاً.

قال: حدثنا أبي، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد: **إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا** قال: مخرجاً.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام عن عنبسة، عن جابر، عن مجاهد: **فُرْقَانًا**: مخرجاً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **فُرْقَانًا** قال: مخرجاً في الدنيا والآخرة.

حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا هانيء بن سعيد، عن حجاج، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **فُرْقَانًا** قال: الفرقان المخرج.

12444- حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: **فُرْقَانًا** يقول: مخرجاً.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن منصور، عن مجاهد: **فُرْقَانًا**: مخرجاً.

حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن رجاء البصري، قال: حدثنا زائدة، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

12445- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك: **فُرْقَانًا** قال: مخرجاً.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ قال: سمعت عبيداً يقول: سمعت الضحاك يقول: **فُرْقَانًا**: مخرجاً.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

12446- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا حميد، عن زهير، عن جابر: عن عكرمة، قال: الفرقان: المخرج. ذكر من قال: معناه النجاه:

12447- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عنبسة، عن جابر، عن عكرمة: **إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا** قال: نجاه.

12448- حدثني الحرث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا إسرائيل، عن رجل، عن عكرمة ومجاهد، في قوله: **يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا** قال عكرمة: المخرج، وقال مجاهد: النجاه.

12449- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن مفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: **يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا** قال: نجاه.

12450- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن ابن عباس، **يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا** يقول: يجعل لكم نجاه.

12451- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا: أي نجاه.

ذكر من قال فصلاً:
12452- ... يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا قال: فرقان يفرق في قلوبهم بين الحقِّ والباطل, حتى يعرفوه ويهتدوا بذلك الفرقان.

12453- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا: أي فصلاً بين الحقِّ والباطل, يظهر به حكم ويخفي به باطل من خالفكم.

والفرقان في كلام العرب مصدر, من قولهم: فرقت بين الشيء والشيء أفرق بينهما قَرَقًا وقُرْقَانًا.

الآية : 30

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} ..

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم مذكره نعمه عليه: واذكر يا محمد, إذ يمكر بك الذين كفروا من مشركي قومك كي يثبوتك. واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: لِيُثْبِتُوكَ فقال بعضهم: معناه: ليقيدوك. ذكر من قال ذلك.

12454- حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس, قوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ يعني: ليوثقوك.

12455- قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: لِيُثْبِتُوكَ ليوثقوك.

12456- حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ... الآية, يقول: ليشدوك وثاقا, وأرادوا بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ بمكة.

12457- حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة ومقسم, قالوا: أوثقوه بالوثاق

12458- حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: لِيُثْبِتُوكَ قال: الإثبات: هو الحبس والوثاق. وقال آخرون: بل معناه الحبس. ذكر من قال ذلك.

12459- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: سألت عطاء عن قوله: لِيُثْبِتُوكَ قال: يسجنوك. وقالها عبد الله بن كثير.

12460- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, قالوا: أسجنوه

وقال آخرون: بل معناه: ليسحروك. ذكر من قال ذلك.

12461- حدثني محمد بن إسماعيل البصري المعروف بالوساوسي, قال: حدثنا عبد المجيد بن أبي رواد, عن ابن جريج, عن عطاء, عن عبيد بن عمير عن المطلب بن أبي وداعة, أن أبا طالب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما ياتمر به قومك؟ قال: «يُرِيدُونَ أَنْ يَسْحَرُونِي وَيَقْتُلُونِي وَيُخْرِجُونِي» فقال: من أخبرك بهذا؟ قال: «ربي» قال: نعم

الرَّبِّ رَبِّكَ، فاستوص به خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا أَسْتَوْصِي بِهِ؟ بَلْ هُوَ يَسْتَوْصِي بِي خَيْرًا». فنزلت: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ... الآية.

12462- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريح، قال عطاء: سمعت عبيد بن عمير يقول: لما ائتمروا بالنبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَقْتُلُوهُ أَوْ يَثْبُتُوهُ أَوْ يَخْرِجُوهُ، قَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ: هَلْ تَدْرِي مَا ائْتَمَرُوا لَكَ؟ قَالَ: «تَعَمُّ». قَالَ: فَأَخْبِرْهُ. قَالَ: مَنْ أَخْبَرَكَ؟ قَالَ: «رَبِّي». قَالَ: نَعَمْ الرَّبُّ رَبِّكَ، اسْتَوْصِ بِهِ خَيْرًا قَالَ: «أَنَا أَسْتَوْصِي بِهِ، أَوْ هُوَ يَسْتَوْصِي بِي؟».

وكان معنى مكر قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم به ليثبته، كما:
12463- حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: ثني أبي، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: وحدثني الكلبي، عن زاذان مولى أم هانئ، عن ابن عباس: أن نفرا من قريش من أشرف كل قبيلة، اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال: شيخ من نجد، سمعت أنكم اجتمعتم، فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم مني رأي ونصح. قالوا: أجل ادخل فدخل معهم، فقال: انظروا في شأن هذا الرجل، والله ليوشكن أن يواثبكم في أموركم بأمره قال: فقال قائل: احبسوه في وثاق، ثم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء، زهير والنابغة، إنما هو كأحدهم قال: فصرخ عدو الله الشيخ النجدي، فقال: والله ما هذا لكم رأي، والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم قالوا: فانظروا في غير هذا. قال: فقال قائل: أخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه، فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم وكان أمره في غيركم فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه؟ والله لئن فعلتم ثم استعرض العرب، لتجتمعن عليكم، ثم ليأتينن إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم قالوا: صدق والله، فانظروا رأيا غير هذا قال: فقال أبو جهل: والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد ما أرى غيره. قالوا: وما هو؟ قال: ناخذ من كل قبيلة غلاما وسطا شابا نهذا، ثم يعطى كل غلام منهم سيفا صارما، ثم يضربونه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها، فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقدرون علي حرب قريش كلها، فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا وقطعنا عنا أذاه. فقال الشيخ النجدي: هذا والله الرأي القول ما قال الفتى، لا أرى غيره. قال: فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له. قال: فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، فأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه تلك الليلة، وأذن الله له عند ذلك بالخروج، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة الأنفال يذكره نعمه عليه وبلاءه عنده: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ خَيْرٌ وَاللَّهُ الْمَاكِرِينَ وَأَنْزَلَ فِي قَوْلِهِمْ: «تَرَبَّصُوا بِهِ رَبِّبِ السَّمُونِ» حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء: أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَتَرَبَّصُ بِهِ رَبِّبِ

المَثُونِ وكان يسمى ذلك اليوم: «يوم الزحمة» للذي اجتمعوا عليه من الرأي.

12464- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ومقسم، في قوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ قَالَ: تشاوروا فيه ليلة وهم بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأوثقوه بالوثاق وقال بعضهم: بل اقتلوه وقال بعضهم: بل اخرجوه فلما أصبحوا رأوا علياً رضي الله عنه، فردّ الله مكرهم.

12465- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرني أبي، عن عكرمة، قال: لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار، أمر علي بن أبي طالب، فنام في مضجعه، فبات المشركون يحرسونه. فإذا رأوه نائمًا حسبوا أنه النبي صلى الله عليه وسلم، فتركوه. فلما أصبحوا ثاروا إليه وهم يحسبون أنه النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا هم بعلي، فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري. قال: فركبوا الصعب والدلول في طلبه.

12466- حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، قال: أخبرني عثمان الجريري: أن مقسماً مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس، في قوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ قَالَ: تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبي صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: بل اقتلوه وقال بعضهم: بل اخرجوه فأطلع الله نبيه على ذلك، فبات علي رضي الله عنه على فراش النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون علياً، يحسبون أنه النبي صلى الله عليه وسلم. فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوه علياً رضي الله عنه، ردّ الله مكرهم، فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري. فاقترضوا أثره فلما بلغوا الجبل ومروا بالغار، رأوا على بابه نسج العنكبوت، قالوا: لو دخل ههنا لم يكن نسج على بابه فمكث فيه ثلاثاً.

12467- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن مفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ قَالَ: اجتمعت مشيخة قريش يتشاورون في النبي صلى الله عليه وسلم بعدما أسلمت الأنصار وفرقوا أن يتعالى أمره إذا وجد ملجأ لجأ إليه. فجاء إبليس في صورة رجل من أهل نجد، فدخل معهم في دار الندوة فلما أنكروه قالوا: من أنت؟ فوالله ما كل قومنا أعلمناهم مجلسنا هذا قال: أنا رجل من أهل نجد أسمع من حديثكم وأشير عليكم. فاستحيوا فخلوا عنه. فقال بعضهم: خذوا محمداً إذا اصطحب على فراشه، فاجعلوه في بيت نترى به ريب المنون والريب: هو الموت، والمنون: هو الدهر قال إبليس: بئسما قلت، تجعلونه في بيت فيأتي أصحابه فيخرجونه فيكون بينكم قتال قالوا: صدق الشيخ. قال: أخرجوه من قريبتكم قال إبليس: بئسما قلت، تخرجونه من قريبتكم وقد أفسد سفهاءكم فيأتي قرية أخرى فيفسد سفهاءهم فيأتيكم بالخيال والرجال. قالوا: صدق الشيخ. قال أبو جهل، وكان أولاهم بطاعة إبليس: بل نعمد إلى كل بطن من بطون قريش، فنخرج منهم رجلاً فنعطيهم السلاح، فيشدون على محمد جميعاً

فيضربونه ضربة رجل واحد، فلا يستطيع بنو عبد المطلب أن يقتلوا قريشاً، فليس لهم إلا الدية. قال إبليس: صدق، وهذا الفتى هو أجودكم رأياً. فقاموا على ذلك، وأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم، فنام على الفراش، وجعلوا عليه العيون. فلما كان في بعض الليل، انطلق هو وأبو بكر إلى الغار، ونام علي بن أبي طالب على الفراش، فذلك حين يقول الله: لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَإِثْبَاتِ: هو الحبس والوثاق، وهو قوله: وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِنْ لَا يَلْبِثُونَ خَلَقَكَ إِلَّا قَلِيلًا يقول: يهلكهم. فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لقيه عمر، فقال له: ما فعل القوم؟ وهو يرى أنهم قد أهلكوا حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم، وكذلك كان يصنع بالأمم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أخزوا بالقتال».

12468- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ قال: كفار قريش أرادوا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرج من مكة. حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد نحوه.

حدثني ابن وكيع، قال: حدثنا هاني بن سعيد، عن حجاج، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد نحوه إلا أنه قال: فعلوا ذلك بمحمد.

12469- حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ... الآية، هو النبي صلى الله عليه وسلم مكروا به وهو بمكة.

12470- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ... إلى آخر الآية، قال: اجتمعوا فتشاوروا في رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: اقتلوا هذا الرجل فقال بعضهم: لا يقتله رجل إلا قُتل به قالوا: خذوه فاسجنوه واجعلوا عليه حديدا قالوا: فلا يدعكم أهل بيته. قالوا: أخرجه قالوا: إذا استغوي الناس عليكم. قال: وإبليس معهم في صورة رجل من أهل نجد. واجتمع رأيهم أنه إذا جاء يطوف البيت ويستسلم أن يجتمعوا عليه فَيَغْمُوهُ ويقتلوه، فإنه لا يدري أهله من قتله، فيرضون بالعقل فنقتله ونستريح ونعقله. فلما أن جاء يطوف بالبيت اجتمعوا عليه، فغموه. فأتى أبو بكر، فقيل له ذاك، فأتى فلم يجد مدخلا فلما أن لم يجد مدخلا، قال: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ؟ قال: ثم فرجها الله عنه فلما أن كان الليل أتاه جبريل عليه السلام، فقال: من أصحابك؟ فقال: فلان وفلان وفلان. فقال: لا نحن أعلم بهم منك يا محمد، هو ناموس ليل قال: وأخذ أولئك من مضاجعهم وهم نيام. فأتى بهم النبي صلى الله عليه وسلم، فقدم أحدهم إلى جبريل، فكحله، ثم أرسله، فقال: «ما صَوَّرْتُهُ يَا جِبْرِيلُ؟» قال: كفيته يا نبي الله. ثم قدم آخر فنقر فوق رأسه بعصا نقرة، ثم أرسله فقال: «ما صَوَّرْتُهُ يَا جِبْرِيلُ؟» فقال: كفيته يا نبي الله. ثم أتى بآخر فنقر في ركبته، فقال: «ما صَوَّرْتُهُ يَا جِبْرِيلُ؟» قال: كفيته. ثم أتى بآخر، فسقاه مذقة، فقال: «ما صَوَّرْتُهُ يَا جِبْرِيلُ؟» قال: كفيته يا نبي الله. وأتى بالخامس. فلما غدا من بيته مرّ بنبال، فتعلق مشقص بردائه

فالتوى، فقطع الأكل من رجله. وأما الذي كحلت عيناه فأصبح وقد عمي وأما الذي سقي مذقة فأصبح وقد استسقى بطنه وأما الذي نقر فوق رأسه فأخذته النقدة والنقدة: فرحة عظيمة أخذته في رأسه وأما الذي طعن في ركبته، فأصبح وقد أقعد. فذلك قول الله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ.

12471- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قوله: وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ: أي فمكرت لهم بكيدي المتين حتى خلصتك منهم.

12472- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريح، عن عكرمة، قوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا قال: هذه مكية. قال ابن جريح: قال مجاهد: هذه مكية.

فتأويل الكلام إذن: واذكريا محمد نعمتي عندك بمكري بمن حاول المكر بك من مشركي قومك، بإثباتك، أو قتلك، أو إخراجك من وطنك، حتى استنفذتك منهم وأهلكتهم، فأمض لأمري في حرب من حاربك من المشركين، وتولى عن إجابة ما أرسلتك به من الدين القيم، ولا يرعبك كثرة عددهم، فإن ربك خير الماكرين بمن كفر به وعبد غيره وخالف أمره ونهيه. وقد بيّنا معنى المكر فيما مضى بما أغني عن إعادته في هذا الموضوع.

الآية : 31

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } ..

يقول تعالى ذكره: وإذا تلى على هؤلاء الذين كفروا آيات كتاب الله الواضحة لمن شرح الله صدره لفهمه قالوا جهلاً منهم وعناداً للحق وهم يعلمون أنهم كاذبون في قيلهم: لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا الذي تلي علينا، إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ: يعني أنهم يقولون ما هذا القرآن الذي يتلى عليهم إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ. والأساطير: جمع أسطر، وهو جمع الجمع، لأن واحد الأسطر: سطر، ثم يجمع السطر: أسطر وسطور، ثم يجمع الأسطر: أساطير وأساطير. وقد كان بعض أهل العربية يقول: واحد الأساطير: أسطورة.

وإنما عنى المشركون بقولهم: إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ: إن هذا القرآن الذي تتلوه علينا يا محمد إلا ما سطر الأولون وكتبوه من أخبار الأمم. كأنهم أضافوه إلى أنه أخذ عن بني آدم، وأنه لم يوحه الله إليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12473- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريح، قوله: وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا قال: كان النضر بن الحرث يختلف تاجراً إلى فارس، فيمرّ بالعباد وهم يقرءون الإنجيل، ويركعون ويسجدون. فجاء مكة، فوجد محمداً صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه وهو يركع ويسجد، فقال النضر: قد سمعنا، لو نشاء لقلنا مثل هذا للذي سمع من العباد. فنزلت: وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا قال: فقصّ ربنا ما كانوا قالوا بمكة، وقصّ قولهم: إِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ ... الآية.

12474- حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي, قال: كان النضر بن الحرث بن علقمة أخو بني عبد الدار يختلف إلى الحيرة, فيسمع سجع أهلها وكلامهم. فلما قدم مكة, سمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن, فقال: قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ: يقول: أساجيع أهل الحيرة. 12475- حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جبير قال: قتل النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر صبرا: عقبة بن أبي معيط, وطعيمة بن عدي, والنضر بن الحرث وكان المقداد أسر النضر, فلما أمر بقتله قال المقداد: يا رسول الله أسيري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا يَقُولُ». فأمر النبي صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ أَعِنِ الْمُقَدَّادَ مِنْ قَضِيكَ» فقال المقداد: هذا الذي أردت. وفيه نزلت هذه الآية: وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا... الآية.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا أبو بشر, عن سعيد بن جبير: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل يوم بدر ثلاثة رهط من قريش صبرا المطعم بن عدي, والنضر بن الحرث, وعقبة بن أبي معيط. قال: فلما أمر بقتل النضر, قال المقداد بن الأسود: أسيري يا رسول الله قال: «إِنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَفِي رَسُولِهِ مَا كَانَ يَقُولُ». قال: فقال ذلك مرتين أو ثلاثا, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ أَعِنِ الْمُقَدَّادَ مِنْ قَضِيكَ» وكان المقداد أسر النضر.

الآية : 32

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بَعْدَابٍ أَلَيْمٌ} . يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد أيضا ما حلَّ بمن قال: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بَعْدَابٍ أَلَيْمٌ إذ مكرت لهم, فأتيهم بعداب أليم. وكان ذلك العذاب: قتلهم بالسيف يوم بدر. وهذه الآية أيضا ذكر أنها نزلت في النضر بن الحرث. ذكر من قال ذلك.

12476- حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: حدثنا أبو بشر, عن سعيد بن جبير, في قوله: وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ قال: نزلت في النضر بن الحرث.

12477- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ قال: قول النضر بن الحرث بن علقمة بن كعدة.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ قول النضر بن الحرث بن علقمة بن كعدة من بني عبد الدار.

قال: أخبرنا إسحاق, قال: أخبرنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ قال: هو النضر بن الحرث بن كعدة.

12478- حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا طلحة بن عمرو, عن عطاء, قال: قال رجل من بني عبد الدار, يقاله النضر بن كعدة: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنْتِنَا بَعْدَابٍ أَلِيمٍ فَقَالَ اللَّهُ: وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ وَقَالَ: وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَقَالَ: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ قَالَ عَطَاءٌ: لَقَدْ نَزَلَ فِيهِ بضع عشرة آية من كتاب الله.

12479- حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي, قال: فقال يعني النضر بن الحرث: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنْتِنَا بَعْدَابٍ أَلِيمٍ قَالَ اللَّهُ: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ.

12480- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن ليث, عن مجاهد, في قوله: إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ... الآية, قال: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ.

12481- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ... الآية, قال: قال ذلك سفهة هذه الأمة وجهلتها, فعاد الله بعائده ورحمته على سفهة هذه الأمة وجهلتها.

12482- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثم ذكر غيرة قريش واستفتحهم على أنفسهم, إذ قالوا: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ أَي مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ, فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ كَمَا أَمْطَرْتَهَا عَلَى قَوْمِ لُوطٍ أَوْ أُنْتِنَا بَعْدَابٍ أَلِيمٍ أَي ببعض ما عذبت به الأمم قبلنا.

واختلف أهل العربية في وجه دخول «هو» في الكلام. فقال بعض البصريين نصب «الحق», لأن «هو» والله أعلم حوّلت زائدة في الكلام صلة توكيد كزيادة «ما», ولا تزداد إلا في كل فعل لا يستغني عن خبر, وليس هو بصفة لهذا, لأنك لو قلت: «رأيت هذا هو» لم يكن كلاما, ولا تكون هذه المضمرة من صفة الظاهرة, ولكنها تكون من صفة المضمرة, نحو قوله: وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا لَأَنَّكَ تَقُولُ: «وجدته هو وإياي» فتكون «هو» صفة. وقد تكون في هذا المعنى أيضا غير صفة, ولكنها تكون زائدة كما كان في الأول. وقد تجري في جميع هذا مجرى الاسم, فيرفع ما بعدها إن كان بعدها ظاهرا أو مضمرا في لغة بني تميم, يقولون في قوله: إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ وَ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا كَمَا تَقُولُ: كَانُوا آبَاءَهُمُ الظَّالِمُونَ, جعلوا هذا المضمرة نحو «هو» و «هما» و «أنت» زائدا في هذا المكان. ولم تجعل مواضع الصفة, لأنه فصل أراد أن يبين به أنه ليس ما بعده صفة لما قبله, ولم يحتج إلى هذا في الموضوع الذي لا يكون له خبر.

وكان بعض الكوفيين يقول: لم تدخل «هو» التي هي عماد في الكلام إلا لمعنى صحيح. وقال: كأنه قال: زيد قائم, فقلت أنت: بل عمرو هو القائم فهو لمعهود الاسم والألف, واللام لمعهود الفعل التي هي صلة في الكلام مخالفة لمعنى «هو», لأن دخولها وخروجها واحد في الكلام,

وليس كذلك هو وأما التي تدخل صلة في الكلام، فتوكيد شبيهه بقولهم: «وجدته نفسه» تقول ذلك، وليس بصفة كالظريف والعاقل.

الآية : 33-34

القول في تأويل قوله تعالى: { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } ..

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: تأويله: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ: أي وأنت مقيم بين أظهرهم. قال: وأنزلت هذه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة. قال: ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم، فاستغفر من بها من المسلمين، فأنزل بعد خروجه عليه حين استغفر أولئك بها: وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ. قال: ثم خرج أولئك البقية من المسلمين من بينهم، فعذب الكفار. ذكر من قال ذلك.

12483- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن ابن أبي زي، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، فأنزل الله: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ. قال: فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فأنزل الله: وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ. قال: فكان أولئك البقية من المسلمين الذين بقوا فيها يستغفرون، يعني بمكة فلما خرجوا أنزل الله عليه: وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ قَالَ: فأذن الله له في فتح مكة، فهو العذاب الذي وعدهم.

12484- حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن أبي مالك، في قوله: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ يعني النبي صلى الله عليه وسلم. وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ يعني: من بها من المسلمين. وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ يعني مكة، وفيها الكفار. حدثني المثنى، قال: حدثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن حصين، عن أبي مالك، في قول الله: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ يعني: أهل مكة. وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وفيهم المؤمنون، يستغفرون يغفر لمن فيهم من المسلمين.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل الرازي وأبو داود الحفري، عن يعقوب، عن جعفر، عن ابن أبي زي: وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ قال: بقية من بقي من المسلمين منهم، فلما خرجوا، قال: وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ.

قال: حدثنا عمران بن عينة، عن حصين، عن أبي مالك: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ قال: أهل مكة.

12485- وأخبرنا أبي، عن سلمة بن نبيط، عن الضحاك: وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ قال: المؤمنون من أهل مكة. وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ قال: المشركون من أهل مكة.

12486- قال: حدثنا أبو خالد، عن جوير، عن الضحاك: وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ قال: المؤمنون يستغفرون بين ظهرانيهم.

12487- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن ابن عباس قوله: وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ يقول: الذين آمنوا معك يستغفرون بمكة، حتى أخرجك والذين آمنوا معك.

12488- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال: ابن عباس: لم يعذب قرية حتى يخرج النبي منها والذين آمنوا معه ويلحقه بحيث أمر. وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ يعني المؤمنين. ثم أعاد إلى المشركين، فقال: وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ.

12489- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ قال: يعني أهل مكة. وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما كان الله ليعذب هؤلاء المشركين من قريش بمكة وأنت فيهم يا محمد، حتى أخرجك من بينهم. وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهؤلاء المشركون يقولون: يَا رَبِّ غفرانك وما أشبه ذلك من معاني الاستغفار بالقول. قالوا: وقوله: وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ في الآخرة. ذكر من قال ذلك.

12490- حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا عكرمة، عن أبي زميل، عن ابن عباس: إن المشركين كانوا يطوفون بالبیت يقولون: لبيك لا شريك لك لبيك، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: «قَدْ قَدْ» فيقولون: لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك، ويقولون: غفرانك غفرانك. فأنزل الله: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ. فقال ابن عباس: كان فيهم أمانان: نبي الله والاستغفار، قال: فذهب النبي صلى الله عليه وسلم، وبقي الاستغفار. وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّفُونَ قال: فهذا عذاب الآخرة، قال: وذاك عذاب الدنيا.

12491- حدثني الحرث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا أبو معشر، عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس قالوا: قالت قريش بعضها لبعض: محمد أكرمه الله من بيننا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأَمْطِرْ عَلَيْنَا... الآية فلما أمسوا ندموا على ما قالوا، فقالوا: غفرانك اللهم فأنزل الله: وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ... إلى قوله: لَا يَعْلَمُونَ.

12492- حدثني ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كانوا يقولون يعني المشركين: والله إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفر، ولا يعذب أمة ونبيها معها حتى يخرجها عنها وذلك من قوله ورسول لله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم، فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكر له جهالتهم وغررتهم واستفتاحهم على أنفسهم، إذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ كَمَا أَمْطَرْتَهَا عَلَى قَوْمِ لُوطٍ، وقال حين نعى عليهم سوء أعمالهم: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ، أي بقولهم، وإن كانوا يستغفرون كما قال: وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِنْ أَمَنِ اللَّهِ وَعَبْدِهِ، أي أنت ومن تبعك.

12493- حدثنا الحسن بن الصباح البزار، قال: حدثنا أبو بردة، عن أبي موسى، قال: إنه كان فيكم أمانان: قوله: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ

فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ قَالَ: أَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ مَضَى، وَأَمَا الْإِسْتِغْفَارُ فَهُوَ دَائِرُ فَيْكُم إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

12494- حدثني الحرث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا يونس بن أبي إسحاق، عن عامر أبي الخطاب الثوري قال: سمعت أبا العلاء يقول: كان لامة محمد صلى الله عليه وسلم أمنتاه: فذهبت إحداهما، وبقيت الأخرى: وَمَا كَانَ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ... الآية.

وقال آخرون: معنى ذلك: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد، وما كان الله معذب المشركين وهم يستغفرون، أي: لو استغفروا. قالوا: ولم يكونوا يستغفرون فقال جل ثناؤه إذ لم يكونوا يستغفرون: وَمَالَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. ذكر من قال ذلك.

12495- حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ قَالَ: إِنْ الْقَوْمَ لَمْ يَكُونُوا يَسْتَغْفِرُونَ، وَلَوْ كَانُوا يَسْتَغْفِرُونَ مَا عَذَّبُوا. وكان بعض أهل العلم يقول: هما أمانان أنزلهما الله، فأما أحدهما فمضى نبي الله، وأما الآخر فأبقاه الله رحمة بين أظهركم، الاستغفار والتوبة.

12496- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، قال: قال الله لرسوله: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ قَالَ: ما كنت أعذبهم وهم يستغفرون، ولو استغفروا وأقروا بالذنوب لكانوا مؤمنين، وكيف لا أعذبهم وهم لا يستغفرون، وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن محمد وعن المسجد الحرام

12497- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ قَالَ: يقول: لو استغفروا لم أعذبهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: وما كان الله ليعذبهم وهم يسلمون. قالوا: واستغفارهم كان في هذا الموضع: إسلامهم. ذكر من قال ذلك.

12498- حدثنا سوار بن عبد الله، قال: حدثنا عبد الملك بن الصباح، قال: حدثنا عمران بن حدير، عن عكرمة، في قوله: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ. قال: سألو العذاب، فقال: لم يكن ليعذبهم وأنت فيهم، ولم يكن ليعذبهم وهم يدخلون في الإسلام.

12499- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: وَأَنْتَ فِيهِمْ قَالَ: بين أظهرهم. وقوله: وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ قَالَ: يسلمون.

حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم بين أظهرهم وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ قَالَ: وهم يسلمون. وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

حدثني الحرث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا محمد بن عبيد الله، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ قَالَ:

بين أظهرهم. وما كان الله مُعَذِّبَهُمْ وهم يَسْتَغْفِرُونَ قال: دخولهم في الإسلام.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وفيهم مَنْ قد سبق له من الله الدخول في الإسلام. ذكر من قال ذلك.

12500- حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ يقول: ما كان الله سبحانه يعذب قوما وأنبياءهم بين أظهرهم حتى يخرجهم. ثم قال: وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ يقول: ومنهم من قد سبق له من الله الدخول في الإيمان، وهو الاستغفار، ثم قال: وَمَالَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ فَعَذَّبَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ بِالسَّيْفِ.

وقال آخرون: بل معناه: وما كان الله معذبهم وهم يصلون. ذكر من قال ذلك.

12501- حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ يعني: يصلون، يعني بهذا أهل مكة.

12502- حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: حدثنا حسين الجعفي، عن زائدة، عن منصور، عن مجاهد، في قول الله: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ قال: يصلون.

12503- حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاک بن مزاحم يقول في قوله: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ يعني: أهل مكة، يقول: لم أكن لأعذبكم وفيكم محمد. ثم قال: وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ يعني: يؤمنون ويصلون.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ قال: وهم يصلون.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما كان الله ليعذب المشركين وهم يستغفرون. قالوا: ثم نسخ ذلك بقوله: وَمَالَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. ذكر من قال ذلك.

12504- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، عن الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة والحسن البصري، قالوا: قال في الأنفال: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ فنسختها الآية التي تليها: وَمَالَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ... إلى قوله: قَدُّوْا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ فقتلوا بمكة، وأصابهم فيها الجوع والحصر.

وأولى هذه الأقوال عندي في ذلك بالصواب قول من قال: تأويله: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد وبين أظهرهم مقيم، حتى أخرجك من بين أظهرهم لأنني لا أهلك قرية وفيها نبيها. وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون من ذنوبهم وكفرهم، ولكنهم لا يستغفرون من ذلك، بل هم مصرون عليه، فهم للعذاب مستحقون، كما يقال: ما كنت لأحسن إليك وأنت تسيء إلي، يراد بذلك: لا أحسن إليك إذا أسأت إلي ولو أسأت إلي لم أحسن إليك، ولكن أحسن إليك لأنك لا تسيء إلي وكذلك ذلك. ثم قيل: وَمَالَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

بمعنى: وما شأنهم وما يمنعهم أن يعذبهم الله وهم لا يستغفرون الله من كفرهم فيؤمنوا به، وهم يصدّون المؤمنين بالله ورسوله عن المسجد الحرام.

وإنما قلنا هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأن القوم أعني مشركي مكة كانوا استعجلوا العذاب، فقالوا: اللهم إن كان ما جاء به محمد هو الحق، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فقال الله لنبيه: ما كنت لأعذبهم وأنت فيهم وما كنت لأعذبهم لو استغفروا، وكيف لا أعذبهم بعد إخراجك منهم وهم يصدّون عن المسجد الحرام فأعلمه جل ثناؤه أن الذين استعجلوا العذاب حائق بهم ونازل، وأعلمهم حال نزوله بهم، وذلك بعد إخراجه إياه من بين أظهرهم. ولا وجه لإبعادهم العذاب في الآخرة، وهم مستعجلوه في العاجل، ولا شك أنهم في الآخرة إلى العذاب صائرون، بل في تعجيل الله لهم ذلك يوم بدر الدليل الواضح على أن القول في ذلك ما قلنا. وكذلك لا وجه لقول من وجه قوله: وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون إلى أنه عني به المؤمنين، وهو في سياق الخبر عنهم وعمّا الله فاعل بهم، ولا دليل على أن الخبر عنهم قد قصي، وعلى أن ذلك به عنوا، ولا خلاف في تأويله من أهله موجود. وكذلك أيضا لا وجه لقول من قال: ذلك منسوخ بقوله: وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدّون عن المسجد الحرام... الآية، لأن قوله جل ثناؤه: وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون خبر، والخبر لا يجوز أن يكون فيه نسخ، وإنما يكون النسخ للأمر والنهي.

واختلف أهل العربية في وجه دخول «أن» في قوله: وما لهم ألا يعذبهم الله فقال بعض نحويي البصرة: هي زائدة ههنا، وقد عملت كما عملت «لا» وهي زائدة، وجاء في الشعر:

لَوْ لَمْ تَكُنْ عَطْفَانُ لَا دُتُوبَ لَهَا إِلَيَّ لَمْ دَوُّ أَحْسَابِهَا عُمَرَا
وقد أنكر ذلك من قوله بعض أهل العربية، وقال: لم تدخل «أن» إلا لمعنى صحيح، لأن معنى وما لهم ما يمنعهم من أن يعذبوا، قال: فدخلت «أن» لهذا المعنى، وأخرج ب «لا»، ليعلم أنه بمعنى الجحد، لأن المنع جحد. قال: و «لا» في البيت صحيح معناها، لأن الجحد إذا وقع عليه جحد صار خبرا. وقال: ألا ترى إلى قولك: ما زيد ليس قائما، فقد أوجبت القيام؟ قال: وكذلك «لا» في هذا البيت.

القول في تأويل قوله تعالى: وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون.

يقول تعالى ذكره: وما لهؤلاء المشركين ألا يعذبهم الله وهم يصدّون عن المسجد الحرام، ولم يكونوا أولياء الله إن أولياؤه يقول: ما أولياء الله إلا المتقون، يعني: الذين يتقون الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه. ولكن أكثرهم لا يعلمون يقول: ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن أولياء الله المتقون، بل يحسبون أنهم أولياء الله.

وبنحو ما قلنا قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 12505- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

12506- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: **إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ** مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

12507- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: **وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ** الَّذِينَ يَخْرُجُونَ مِنْهُ, وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ عِنْدَهُ, أَي: أَنْتَ يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ آمَنَ بِكَ. وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.

الآية : 35

القول في تأويل قوله تعالى: **{وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}** ..

يقول تعالى ذكره: وما لهؤلاء المشركين ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام الذي يصلون لله فيه ويعبدونه, ولم يكونوا لله أولياء, بل أولياؤه الذين يصدونهم عن المسجد الحرام وهم لا يصلون في المسجد الحرام. **وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ** يعني: بيت الله العتيق, **إِلَّا مُكَاءً** وهو الصفير, يقال منه: **مَكَأَ** يَمْكُو مَكْوًا وَمُكَاءً, وقد قيل: إن المكو: أن يجمع الرجل يديه ثم يدخلهما في فيه ثم يصيح, ويقال منه: **مَكَتَ** اسْتُ الدابة **مُكَاءً**: إذا نفخت بالريح, ويقال: إنه لا يَمْكُو إِلَّا اسْتُ مَكشوفة, ولذلك قيل **لِلْأَسْتِ الْمَكْوَةِ**, سميت بذلك ومن ذلك قول عنترة: **وَحَلِيلَ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلَاتَمْكُو قَرَبَصْتُهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ** وقول الطرماح:

فَتَحَا لِوَالِهَا يَطْعَنَةً مُحْفَظْتَمْكُو جَوَانِبُهَا مِنَ الْإِنْهَارِ
بمعنى: تصوت. وأما التصدية فإنها التصفيق, يقال منه: **صَدَّى** يُصَدِّي **تَصَدِيَةً**, و**صَفَّقَ** و**صَفَّحَ** بمعنى واحد.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12508- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن موسى بن قيس, عن حجر بن عبيس: **إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً** قال: المكاء: التصفير, والتصدية: التصفيق.

12509- حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس: قوله: **وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً** المكاء: التصفير, والتصدية: التصفيق.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: **وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً** يقول: كانت صلاة المشركين عند البيت مكاء, يعني: التصفير, وتصدية يقول: التصفيق.

12510- حدثني محمد بن عمارة الأسدي, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا فضيل, عن عطية: **وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً** قال: التصفيق والتصفير.

12511- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن قرّة بن خالد, عن عطية, عن ابن عمر, قال: المكاء: التصفيق, والتصدية: الصفير. قال: وأمال ابن عمر خده إلى جانب.

12512- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا وكيع, عن قرّة بن خالد, عن عطية, عن ابن عمر: وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً قَالَ: الْمَكَاءُ وَالتَّصَدِيَةُ: الصَّغِيرُ وَالتَّصْفِيقُ.

حدثني الحرث, قال: حدثنا القاسم, قال سمعت محمد بن الحسين يحدث عن قرّة بن خالد, عن عطية العوفي, عن ابن عمر, قال: الْمَكَاءُ: الصَّغِيرُ, وَالتَّصَدِيَةُ: التَّصْفِيقُ.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا قرّة, عن عطية, عن ابن عمر, في قوله: وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً قَالَ: الْمَكَاءُ: الصَّغِيرُ, وَالتَّصَدِيَةُ: التَّصْفِيقُ. وَقَالَ قَرَّةٌ: وَحَكَى لَنَا عَطِيَّةُ فَعَلَ ابْنُ عَمْرٍو فَصَفَّرَ وَأَمَالَ خَدَّهُ وَصَفَّقَ بِيَدَيْهِ.

12513- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني بكر بن مضر, عن جعفر بن ربيعة, قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف يقول في قول الله: وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً قَالَ بَكْرٌ: فَجَمَعَ لِي جَعْفَرٌ كَفَيْهِ, ثُمَّ نَفَخَ فِيهِمَا صَفِيرًا, كَمَا قَالَ لَهُ أَبُو سَلْمَةَ. حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا إسرائيل, عن ابن أبي نجیح, عن مجاهد, عن ابن عباس, قال: الْمَكَاءُ: الصَّغِيرُ, وَالتَّصَدِيَةُ: التَّصْفِيقُ.

قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سلمة بن سابور, عن عطية, عن ابن عمر: وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً قَالَ تَصْفِيرٌ وَتَصْفِيقٌ. قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا فضيل بن مرزوق, عن عطية, عن ابن عمر, مثله.

12514- حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حبوبة أبو يزيد, عن يعقوب, عن جعفر, عن سعيد بن جبیر, عن ابن عباس, قال: كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون, فأنزل الله: قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ فَاْمُرُوا بِالتَّيْبِ.

12515- حدثني المثنى, قال: حدثنا الحمانى, قال: حدثنا شريك, عن سالم, عن سعيد, قال: كانت قريش يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف يستهزئون به, يصفرون به ويصفقون, فنزلت: وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد: إِلَّا مُكَاءً قَالَ: كَانُوا يَنْفَخُونَ فِي أَيْدِيهِمْ, وَالتَّصَدِيَةُ: التَّصْفِيقُ.

12516- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجیح, عن مجاهد: إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً قَالَ: الْمَكَاءُ: إِدْخَالُ أَصَابِعِهِمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ, وَالتَّصَدِيَةُ: يَخْلُطُونَ بِذَلِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

حدثنا المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجیح, عن مجاهد, مثله, إلا أنه لم يقل صلاته.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قال: الْمَكَاءُ: إِدْخَالُ أَصَابِعِهِمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ, وَالتَّصَدِيَةُ: التَّصْفِيقُ. قَالَ نَفَرٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ كَانُوا يَخْلُطُونَ بِذَلِكَ كُلَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

12517- حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا طلحة بن عمرو, عن سعيد بن جبیر: وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً

قال: من بين الأصابع. قال أحمد: سقط عليّ حرف وما أراه إلا الخذف والنفخ والصفير منها وأراني سعيد بن جبير حيث كانوا يمكنون من ناحية أبي قبيس.

حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق بن سليمان، قال: أخبرنا طلحة بن عمرو، عن سعيد بن جبير، في قوله: وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً قال: المكاء: كانوا يشبكون بين أصابعهم ويصفرون بها، فذلك المكاء. قال: وأراني سعيد بن جبير المكان الذي كانوا يمكنون فيه نحو أبي قبيس.

حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا محمد بن حرب، قال: حدثنا ابن لهيعة، عن جعفر بن ربيعة، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، في قوله: مُكَاءً وَتَصْدِيَةً قال: المكاء: النفخ، وأشار بكفه قبل فيه، والتصديع: التصفيق.

12518- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا المحاربي، عن جوير، عن الضحاك، قال: المكاء: الصفير، والتصديع: التصفيق. حدثني المثنى، قال: حدثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن جوير، عن الضحاك، مثله.

12519- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً قال: كنا نجدت أن المكاء: التصفيق بالأيدي، والتصديع: صياح كانوا يعارضون به القرآن.

12520- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: مُكَاءً وَتَصْدِيَةً قال: المكاء: الصفير، والتصديع: التصفيق.

12521- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً والمكاء: الصفير، على نحو طير أبيض يقال له المكاء يكون بأرض الحجاز والتصديع: التصفيق.

12522- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً قال: المكاء: صفير كان أهل الجاهلية يعلنون به. قال: وقال في المكاء أيضا: صفير في أيديهم ولعب.

وقد قيل في التصديع: إنها الصدّ عن بيت الله الحرام. وذلك قول لا وجه له لأن التصديع مصدر من قول القائل: صدّيت تصديع. وأما الصدّ فلا يقال منه: صدّيت، إنما يقال منه صدّدت، فإن صدّدت منها الدال على معنى تكرير الفعل، قيل: صدّدت تصديدا، إلا أن يكون صاحب هذا القول وجه التصديع إلى أنه من صدّدت، ثم قلبت إحدى داليه ياء، كما يقال: تظنيت من ظننت، وكما قال الراجز:

(تَقْصِي الْبَارِي إِذَا الْبَارِي كَسِرُ)

يعني: تق البازي، فقلب إحدى ضاديه ياء، فيكون ذلك وجهها يوجه إليه. ذكر من قال ما ذكرنا في تأويل التصديع:

12523- حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا طلحة بن عمرو، عن سعيد بن جبير: وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً: صدّهم عن بيت الله الحرام.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق بن سليمان, قال: أخبرنا طلحة بن عمرو, عن سعيد بن جبیر. وَتَصَدِيَّةٌ قَالَ: التَّصَدِيَّةُ: صَدَّهِمُ النَّاسَ عَنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ.

12524- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَتَصَدِيَّةٌ قَالَ: التَّصَدِيَّةُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ, وَصَدَّهِمُ عَنِ الصَّلَاةِ وَعَنِ دِينِ اللَّهِ.

12525- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَّةً قَالَ: مَا كَانَ صَلَاتُهُمُ الَّتِي يَزْعَمُونَ أَنَّهَا يَدْرَأُ بِهَا عَنْهُمْ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَّةً, وَذَلِكَ مَا لَا يَرْضَى اللَّهُ وَلَا يَحِبُّ, وَلَا مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ وَلَا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ.

وأما قوله: فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ فإنه يعني العذاب الذي وعدهم به بالسيف يوم بدر, يقول للمشركين الذين قالوا: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ... الآية, حين أتاهم بما استعجلوه من العذاب: ذوقوا: أي اطعموا, وليس بذوق بضم, ولكنه ذوق بالحس, ووجود طعم ألمه بالقلوب. يقول لهم: فذوقوا العذاب بما كنتم تجحدون أن الله معذبكم به على جحودكم توحيد ربكم ورسالة نبيكم صلى الله عليه وسلم.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
12526- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ: أي ما أوقع الله بهم يوم بدر من القتل.

12527- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريح: فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ قَالَ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَدْرِ يَوْمَ عَذَابِهِمُ اللَّهُ.

12528- حدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ يعني أهل بدر عذبهم الله يوم بدر بالقتل والأسر.

الآية : 36

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} ..

يقول تعالى ذكره: إن الذين كفروا بالله ورسوله ينفقون أموالهم, فيعطونها أمثالهم من المشركين ليتقوا بها على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به, ليصدوا المؤمنين بالله ورسوله, عن الإيمان بالله ورسوله, فسينفقون أموالهم في ذلك ثم تكون نفقتهم تلك عليهم حسرة يقول: تصير ندامة عليهم, لأن أموالهم تذهب, ولا يظفرون بما يأملون ويطمعون فيه من إطفاء نور الله, وإعلاء كلمة الكفر على كلمة الله, لأن الله معلي كلمته, وجاعل كلمة الكفر السفلى, ثم يغلبهم المؤمنون, ويحشر الله الذين كفروا به ورسوله إلى جهنم, فيعذبون فيها, فأعظم بها حسرة وندامة لمن عاش منهم ومن هلك أما الحي فخرّب ماله وذهب باطلاً في غير درك ولا نفع ورجع مغلوباً مقهوراً محزوناً مسلوباً وأما الهالك: فقتل وسلب وعجل به إلى نار الله يخلد

فيها، نعوذ بالله من غضبه وكان الذي تولى النفقة التي ذكرها الله في هذه الآية فيما ذكر أبا سفيان. ذكر من قال ذلك.

12529- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، في قوله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ... الآية وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْسَرُونَ قَالَ: نزلت في أبي سفيان بن حرب استاجر يوم أحد ألفين من الأحابيش من بني كنانة، فقاتل بهم النبي صلى الله عليه وسلم، وهم الذين يقول فيهم كعب بن مالك:

وَجِئْنَا إِلَىٰ مَوْجِ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطَهَا حَابِيشٌ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَعِّعٌ
ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَتَحْنُ تَصِيَّةٌ ثَلَاثُ مِئِينَ إِنْ كَثَرْنَا قَارِعٌ

12530- حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل، عن يعقوب القمي، عن جعفر، عن ابن أزي: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ: نزلت في أبي سفيان، استاجر يوم أحد ألفين ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب.

12531- قال: أخبرنا أبي عن خطاب بن عثمان العصفري، عن الحكم بن عتيبة: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ: نزلت في أبي سفيان، أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية من ذهب، وكانت الأوقية يومئذ اثنتين وأربعين مثقالاً.

12532- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ... الآية، قال: لما قدم أبو سفيان بالغير إلى مكة، أنشد الناس ودعاهم إلى القتال حتى غزا نبي الله من العام المقبل، وكانت بدر في رمضان يوم الجمعة صبيحة سابع عشرة من شهر رمضان، وكانت أحد في شوال يوم السبت لإحدى عشرة خلت منه في العام الرابع.

12533- حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، قال: قال الله فيما كان المشركون ومنهم أبو سفيان يستأجرون الرجال يقاتلون محمداً بهم: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَقُولُ: ندامة يوم القيامة وويلاً ثم يُعْلَبُونَ.

12534- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ... الآية، حتى يقول: أَوْلَيْكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ قَالَ: في نفقة أبي سفيان على الكفار يوم أحد.

حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

12535- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حدثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ قالوا: لما أصابت المسلمون يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القليب ورجع قلوبهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بغيره، مشى عبد الله بن ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش

أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر, فكلّموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له في تلك العير من قريش تجارة, فقالوا: يا معشر قريش, إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم, فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأراً يمين أصيب منا ففعلوا. قال: ففيهم كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ... إلى قوله: وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ.

12536- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ... إلى قوله: يُحْشَرُونَ يعني النفر الذين مشوا إلى أبي سفيان وإلى من كان له مال من قريش في تلك التجارة, فسألوه أن يعينوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ففعلوا.

12537- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني سعيد بن أبي أيوب, عن عطاء بن دينار, في قول الله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ... الآية, نزلت في أبي سفيان بن حرب.

وقال بعضهم: عني بذلك المشركون من أهل بدر. ذكر من قال ذلك. 12538- حدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ... الآية, قال: هم أهل بدر. والصواب من القول في ذلك عندي ما قلنا, وهو أن يقال: إن الله أخبر عن الذين كفروا به من مشركي قريش أنهم ينفقون أموالهم, ليصدوا عن سبيل الله, لم يخبرنا بأي أولئك عني, غير أنه عم بالخبر المذنبين كفروا, وجائز أن يكون عني: المنفقين أموالهم لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأحد, وجائز أن يكون عني المنفقين منهم ذلك ببدر, وجائز أن يكون عني القريشيين.

وإذا كان ذلك كذلك, فالصواب في ذلك أن يعم كما عمّ جل ثناؤه الذين كفروا من قريش.

الآية : 37

القول في تأويل قوله تعالى: {لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}..

يقول تعالى ذكره: يحشر الله هؤلاء الذين كفروا بربه, وينفقون أموالهم للصد عن سبيل الله إلى جهنم, ليفرق بينهم وهم أهل الخبث كما قال وسماهم الخبيث, وبين المؤمنين بالله وبرسوله, وهم الطيبون, كما سماهم جل ثناؤه. فميز جل ثناؤه بينهم بأن أسكن أهل الإيمان به وبرسوله جناته, وأنزل أهل الكفر ناره.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12539- حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس, قوله: لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ فميز أهل السعادة من أهل الشقاوة.

12540- حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي, قال: ثم ذكر المشركين, وما يصنع بهم يوم

القيامة, فقال: لِيَمِيرَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ يَقُولُ: يَميز المؤمن من الكافر. فَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ.

وبعني جل ثناؤه بقوله: ويجعل الخبيث بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فيجعل الكفار بعضهم فوق بعض. فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا يَقُولُ: فنجعلهم ركاماً, وهو أن يجمع بعضهم إلى بعض حتى يكثرُوا, كما قال جل ثناؤه في صفة السحاب: ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا: أي مجتمعاً كثيفاً. وكما:

12541_ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا قَالَ: فيجمعه جميعاً بعضه على بعض.

وقوله: فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ يَقُولُ: فيجعل الخبيث جميعاً في جهنم, فوحد الخبر عنهم لتوحيد قوله: لِيَمِيرَ اللَّهُ الْخَبِيثَ, ثم قال: أَوْلَيْكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ فجمع ولم يقل: ذلك هو الخاسر, فردّه إلى أول الخبر. ويعني ب «أولئك» الذين كفروا, وتأويله: هؤلاء الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله هم الخاسرون. ويعني بقوله: الْخَاسِرُونَ الَّذِينَ غَنَبْتُمْ صَفَقَتَهُمْ وَخَسِرْتُمْ تِجَارَتَهُمْ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ شَرَوْا بِأَمْوَالِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ, وتعجلوا بإنفاقهم إياها فيما أنفقوا من قتال نبي الله والمؤمنين به الخزي والذل.

الآية : 38

القول في تأويل قوله تعالى: { قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُعَفَّرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأُولِينَ } ..

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للذين كفروا من مشركي قومك: إن ينتهوا عما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله ورسوله وقتالك وقتال المؤمنين فينبوا إلى الإيمان, يغفر الله لهم ما قد خلا ومضى من ذنوبهم قبل إيمانهم وإنابتهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله بإيمانهم وتوبتهم. وَإِنْ يَعُودُوا يَقُولُ: وإن يعد هؤلاء المشركون لقتالك بعد الوقعة التي أوقعتها بهم يوم بدر, فقد مضت سنتي في الأولين منهم بيد ومن غيرهم من القرون الخالية إذ طغوا وكذبوا رسلي ولم يقبلوا نصحتهم من إحلال عاجل النقم بهم, فأحلّ بهؤلاء إن عادوا لحربك وقتالك مثل الذين أحللت بهم.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12542_ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأُولِينَ فِي قَرِيشٍ يَوْمَ بَدْرٍ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأُمَّمِ قَبْلَ ذَلِكَ.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد مثله.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثني المثنى, قال: حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير, عن ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأُولِينَ قَالَ: فِي قَرِيشٍ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأُمَّمِ قَبْلَ ذَلِكَ.

12543_ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال في قوله: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُعَفَّرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا لِحَرْبِكُمْ, فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأُولِينَ: أي من قُتِلَ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ.

12544- حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: وإن يعودوا لقتالك, فقد مضت سنة الأولين من أهل بدر.

الآية : 39

القول في تأويل قوله تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } ..

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: وإن يعد هؤلاء لحربك, فقد رأيتم سنتي فيمن قاتلكم منهم يوم بدر, وأنا عائد بمثلها فيمن حاربكم منهم, فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ولا يُعبد إلا الله وحده لا شريك له, فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض وهو الفتنة, ويكون الدين كله لله يقول: حتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

12545- حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس, قوله: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ يَعْنِي: حتى لا يكون شرك.

12546- حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن يونس, عن الحسن, في قوله: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ قال: الفتنة: الشرك.

12547- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ: يقول: قاتلوهم حتى لا يكون شرك, و وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ حَتَّى يَقَالَ: لا إله إلا الله, عليها قاتل النبي صلى الله عليه وسلم, وإليها دعا.

12548- حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ قال: حتى لا يكون شرك.

12549- حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا مبارك بن فضالة, عن الحسن, في قوله: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ قال: حتى لا يكون بلاء.

12550- حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ: أي لا يفتر مؤمن عن دينه, ويكون التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك, وبخلع ما دونه من الأنداد.

12551- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ قال: حتى لا يكون كفر, وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ لا يكون مع دينكم كفر.

12552- حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا أبان العطار, قال: حدثنا هشام بن عروة, عن أبيه, أن عبد الملك بن مروان كتب إليه يسأله عن أشياء, فكتب إليه عروة: سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو أما بعد: فإنك كتبت إلي تسألني عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة, وسأخبرك به, ولا حول ولا قوة إلا بالله:

كان من شأن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، أن الله أعطاه النبوة، فنعم النبي ونعم السيد، ونعم العشيرة فجزاه الله خيرا وعرفنا وجهه في الجنة، وأحيانا على ملته، وأمانتنا عليها، وبعثنا عليها. وأنه لما دعا قومه لما بعثه الله له من الهدى والنور الذي أنزل عليه، لم ينفروا منه أول ما دعاهم إليه، وكانوا يسمعون له حتى ذكر طواغيتهم. وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال، أنكر ذلك عليه ناس، واشتدوا عليه، وكرهوا ما قال، وأغروا به من أطاعهم، فانعطف عنه عامة الناس، فتركوه، إلا من حفظه الله منهم وهم قليل. فمكث بذلك ما قدر الله أن يمكث، ثم ائتمرت رءوسهم بأن يفتنوا من اتبعه عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم، فكانت فتنة شديدة الزلزال، فافتتن من افتتن، وعصم الله من شاء منهم. فلما فعل ذلك بالمسلمين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا إلى أرض الحبشة، وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي لا يظلم أحد بأرضه، وكان يئتي عليه مع ذلك. وكانت أرض الحبشة متجرا لقريش يتجرون فيها، ومساكن لتجارهم يجدون فيها رتاعا من الرزق وأمانا ومتجرا حسنا. فأمرهم بها النبي صلى الله عليه وسلم فذهب إليها عامتهم لما قهروا بمكة، وخافوا عليهم الفتن، ومكث هو فلم يبرح، فمكث ذلك سنوات يشتدون على من أسلم منهم. ثم إنه فشا الإسلام فيها، ودخل فيه رجال من أشرفهم ومنعتهم فلما رأوا ذلك استرخوا استرخاءة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه، وكانت الفتنة الأولى هي أخرجت من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أرض الحبشة مخافتها وفرارا مما كانوا فيه من الفتن والزلزال. فلما استرخى عنهم ودخل في الإسلام من دخل منهم، تحدث بهذا الاسترخاء عنهم، فبلغ ذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد استرخى عمن كان منهم بمكة وأنهم لا يفتنون، فرجعوا إلى مكة وكادوا يأمنون بها، وجعلوا يزدادون ويكثرون. وأنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير، وفشا بالمدينة الإسلام، وطفق أهل المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فلما رأت قريش ذلك، توأمرت على أن يفتنوهم، ويشدوا عليهم، فأخذوهم وحرصوا على أن يفتنوهم، فأصابهم جهد شديد، وكانت الفتنة الآخرة، فكانت ثنتين: فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وأذن لهم في الخروج إليها، وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة. ثم إنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سبعون نفسا رءوس الذين أسلموا، فوافوه بالحج، فبايعوه بالعقبة، وأعطوه على: أنا منك وأنت منا، وعلى: أن من جاء من أصحابك أو جئتنا فإننا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا. فاشتدت عليهم قريش عند ذلك، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يخرجوا إلى المدينة، وهي الفتنة الآخرة التي أخرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وخرج هو، وهي التي أنزل الله فيها: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَهُ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن عروة بن الزبير، أنه كتب إلى الوليد: أما بعد، فإنك كتبت إلي تسألني عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة،

وعندي بحمد الله من ذلك علم بكل ما كتبت تسألني عنه, وسأخبرك إن شاء الله, ولا حول ولا قوة إلا بالله, ثم ذكر نحوه.

12553- حدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا قيس, عن الأعمش, عن مجاهد: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً قَالَ: يَسَافِ وَنَائِلَةٌ صِنْمَانٍ كَانَا يُعْبَدَانِ.

وأما قوله: فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنْ مَعْنَاهُ: فَإِنْ انْتَهَوْا عَنِ الْفِتْنَةِ, وهي الشرك بالله, وصاروا إلى الدين الحق معكم. فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ يَقُولُ: فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا يَعْمَلُونَ مِنْ تَرْكِ الْكُفْرِ وَالْمَدْخُولِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ لِأَنَّهُ يَبْصُرُكُمْ وَيَبْصُرُ أَعْمَالَكُمْ وَالْأَشْيَاءَ كُلَّهَا مُتَجَلِيَةً لَهُ لَا تَغِيبُ عَنْهُ وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ.

وقد قال بعضهم: معنى ذلك: فَإِنْ انْتَهَوْا عَنِ الْقِتَالِ. والذي قلنا في ذلك أولى بالصواب, لأن المشركين وإن انتهوا عن القتال, فإنه كان فرضاً على المؤمنين قتالهم حتى يسلموا.

الآية : 40

الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاَعْلَمُوْا اَنَّ اللّٰهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلٰى وَنِعْمَ النَّصِيْرُ} ..

يقول تعالى ذكره: وَإِنْ أَدْبَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ عَمَّا دَعَوْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَرَكُوا قِتَالَكُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ, فَأَبَوْا إِلَّا الْإِصْرَارَ عَلَى الْكُفْرِ وَقِتَالَكُمْ, فَقَاتِلُوهُمْ وَأَيُّقِنُوا أَنَّ اللَّهَ مَعِينُكُمْ عَلَيْهِمْ وَنَاصِرُكُمْ. نِعْمَ الْمَوْلَى هُوَ لَكُمْ, يَقُولُ: نَعْمَ الْمَعِينُ لَكُمْ وَالْأَوْلِيَاءُ, وَنِعْمَ النَّصِيرُ وَهُوَ النَّاصِرُ.